جامعة علي لونيسي - البليدة 2 - الجزائر
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

مجلة

اللغة العربية وآدابها

مجلّة أكاديمية فصلية محكّمة

تعنى بعلوم اللغة العربية وآدابها

العدد الرابع عشر

جمادى الثاني **1437**هـ الموافق لـ مارس **2016**م

ر.د.م.د: **ISSN:2352 -9830**

رقم الإيداع القانوني: **8004- 2013**

مجلة
اللغة العربية وآدابها

مجلّة أكاديمية فصلية محكّمة
تصدر عن قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب واللغات
جامعة علي لونيسي - البليدة 2- ، الجزائر

الرئيس الشرفي للمجلة:
أ. د/ أحمد شعلال
رئيس جامعة
علي لونيسي- البليدة 2

مدير المجلّة:
أ. د/ محمد السعيد عبدلي
عميد كلية الآداب واللّغات

رئيس المجلة مسؤول النّشر:
د/ خليفة قرطي
رئيس قسم اللغة العربية وآدابها

عنوان المجلة: *مجلة اللغة العربية وآدابها ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب واللغات، جامعة علي لونيسي، - البليدة 2- ، العفرون، البليدة، الجزائر*
الهاتف:35- 01- 58- 020 الناسوخ: 05- 01- 25- 025
البريد الإلكتروني: dirassat@yahoo.com

الهيئة العلمية:

أ. د/عمار ساسي (جامعة البليدة2)

أ. د/ بوجمعة الوالي (جامعة البليدة2)

أ. د/ محمد السعيد عبدلي (جامعة البليدة2)

أ. د/ محجوب بلمحجوب (جامعة البليدة2)

أ. د/ نصر الدّين بوحساين (جامعة البليدة2)

د/ حفيظ ملواني (جامعة البليدة 2)

د/ علي حميداتو (جامعة البليدة2)

د/ إبراهيم فضالة (جامعة البليدة2)

د/ امحمد العماري (جامعة البليدة2)

د/ فوزية عبد اللّه سرير(جامعة البليدة2)

د/ أنيسة بن تريدي(جامعة البليدة2)

د/ نعيمة بوزيدي (جامعة البليدة2)

د/ سليمة مدلفاف(جامعة البليدة2)

د / عبد الملك كجور (/ جامعة البليدة2)

د/ عماد بن عامر (جامعة البليدة2)

د/ حسيبة حسين (جامعة البليدة2)

رئيس التحرير

د. أنيسة بن تريدي

أمانة التحرير:

سعيد تومي .

هيئة التحرير:

علي منصوري

نصيرة بودينة

نسيمة لوح

العيدية رحموني

❖- مجلة اللغة العربية وآدابها مجلّة أكاديمية ومحكّــمة تصدر عن قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب واللغات، جامعة البليدة 2، علي لونيسي (العفرون، البليدة، الجزائر)

❖- تعنى المجلة بنشر البحوث العلمية الأصيلة في مجال اللغة العربية وآدابها.

شروط و قواعد النشر في المجلة:

تنشر مجلة اللغة العربية وآدابها الأبحاث والدّراسات العلمية المتخصصة التي تهتم باللغة والأدب العربي،وباللغة العربية وفق الشروط والقواعد التالية:

1- عدم نشر البحث المقدم في أيّ مجلة أخرى.

2- الالتزام بالتحليل العلمي والتقيد بالشروط العلمية و الأكاديمية.

3- يكتب في الصفحة الأولى من المقال: الاسم واللقب، الدرجة العلمية،المؤسسة، الهاتف، البريد الإلكتروني، عنوان المقال، سيرة ذاتية مختصرة.

4 – يرفق البحث بملخص باللغة العربية في حدود 100 كلمة و آخر باللغة الإنجليزية، مرفقا بالكلمات المفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية.

5- إدراج الهوامش و قائمة المراجع في آخر المقال مبينا كافة البيانات اللازمة.

6- وجب ألا يتعدى عدد صفحات المقال20 صفحة بما فيها الهوامش والمراجع؛ و ألا يقل عن 10صفحات.

7- يحرر المقال وفق برنامج Microsoft Word بخط traditional arabic مقاس 14 ومقاس 10 بالنسبة للهوامش. حجم الصفحة: الطول 23 سم، العرض 17 سم مع ترك 2 سم للهوامش، المسافة بين الأسطر: Simple. وترقم الصفحات في الوسط أسفل الصفحة.

8- أن يكون المقال خاليا من الأخطاء اللغوية و المطبعية.

9- تخضع جميع المقالات المرسلة إلى المجلة للتقييم من طرف أعضاء اللجنة العلمية للمجلة، ويبلغ الباحث إلكترونيا بنتيجة التقييم.

10- الأعمال التي تصل المجلة لا تردّ إلى أصحابها نشرت أم لم تُنشر

11- الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة لا تلزم سوى أصحابها.

12- المجلة ليست مسؤولة عن كل الأخطاء المحتمل ورودها في المقالات .

13 ويرسل إلى عنوان المجلة في نسختين ورقيتين مرفوقتين بقرص مضغوط (CD)، كما يجب إرسال المقال عبر البريد الإلكتروني للمجلة: dirassat@yahoo.com

المراسلات

مجلة اللغة العربية وآدابها

قسم اللغة العربية وآدابها

كلــية الآداب واللغات

جامعة علي لونيسي - البليدة 2- ، العفرون، البليدة، الجزائر

مجلة اللغة العربية وآدابها
قسم اللغة العربية وآدابها - كلــية الآداب واللغات
جامعة علي لونيسي-   البليدة 2-   ،   العفرون، البليدة، الجزائر

العدد الرابع عشر

جمادى الثاني 1437هـ الموافق لـ مارس 2016م

الافتتاحية...9

دراسات لغوية

المعجم الدلالي لأسماء الأعلام المصغرة في كتاب (الاشتقاق لابن دريد)
د. وداد بنت أحمد بن عبد الله القحطاني، جامعة الملك سعود.............13

دليل الاستصحاب وعلاقته بأصل الوضع وبمفاهيم الرّد إلى الأصل والعدول عنه
أ: عبد الرحمان بلحنيش جامعة ابن خلدون بتيارت...........................59

الصوت اللغوي والدرس اللساني الحديث
أ. زاوي عبد الرحمن جامعة المدية..81

إشكالية التّداخل اللّغوي وأثره في شخصية الطّالب الجامعي الجزائري .
د/ يوسف بن نافلة (جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف)......................99

علاقة التضمن عند الراغب الأصفهاني من خلال كتاب المفردات في غريب القرآن
أ. حسين قاضي جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة- الجزائر...............111

جهود اللغويين الجزائريين في حقل تعليـمية اللغة من المنظـور اللساني
د. رحموني العيدية جامعة البليدة ـ02 ـ...............................125

المنهج النحوي عند ابن جنّي من خلال كتابه المحتسب "سورة الفاتحة أنموذجا"
أ.فايزة حريزي جامعة البليدة -2 -.......................................139

دراسات أدبية ونقدية

"الأرض" و"المنفى" في شعر محمود درويش
د. علاَّل سنقوقة جامعة الجزائر(2).......................................155

فن الاتصال ودوره في تأسيس الحوار الحضاري
-دراسة في نماذج من الشعر الصوفي النسوي-
د/ ليلى جودي ـ جامعة الجزائر 02 ـ......................................167

إشكاليات الترجمة في النصوص النقدية
د. سليمة عذاوري جامعة بومرداس..185

وسائل تشكيل الصورة الشعرية قديما
أ. آسية داحو جامعة - البليدة2-..199

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

بفضل الله وحمده نضع بين أيدي قرائنا الكرام العدد الرابع عشر من مجلة اللغة العربية وآدابها، صدور هذا العدد ينبئ أن المجلة قد قطعت أشواطا كبيرة نحو التميز والخبرة وأصبحت عنوانا ينتظره الجميع، كما يخبر صدور العدد بأن الثقل أصبح كبيرا أيضا لتحمل المسؤوليات لتكون المجلة في مستوى تطلع قرائها دوما، واختيار الأفضل من المقالات خدمة للقراء ولكل مستزيد، وبالفعل لقد اتخذنا هذا شعارا في المجلة.

وهنا يمكننا أن نقدم لكم المقالات التي سيضمها هذا العدد، ففي البداية نورد لكم مقال الدكتورة وداد القحطاني الذي وسمته بـ: المعجم الدلالي لأسماء الأعلام المصغرة في كتاب الاشتقاق لابن دريد، وهو مقال حافل بالكثير بل إن القارئ سيجد متعة في مطالعته والاستزادة منه، يليه مقال دليل الاستصحاب وعلاقته بأصل الوضع وبمفاهيم الرّد إلى الأصل والعدول عنه لصاحبه أ: عبدالرحمان بلحنيش، وهو مقال يجمع فيه بين النحو والبلاغة، أما الأستاذ عبد الرحمن زاوي فيجمع بين الصوتيات واللسانيات في مقاله: الصوت اللغوي والدرس اللساني الحديث.

ويكلمنا الدكتور يوسف بن نافلة عن إشكالات التداخل اللغوي عند الطالب الجزائري، والدكتور رحموني العيدية رصدت لنا قضية جهود اللغويين الجزائريين

في حقل التعليمية. وأخيرا الأستاذة فايزة حريزي بمقالها المنهج النحوي عند ابن جني.

هذا في جانب الدراسات اللغوية أما في جانب الدراسات الأدبية والنقدية، فبدأنا بمقال الدكتور علال سنقوقة الموسوم بـ الأرض والمنفى في شعر محمود درويش، وتلته الدكتورة ليلى جودي بمقالها فن الاتصال ودوره في تأسيس الحوار الحضاري، وفي مجال الترجمة الأدبية والنقدية ، اخترنا مقال الدكتورة سليمة عذاوري الذي عنونته بـ: إشكالية الترجمة في النصوص النقدية، وأخيرا نورد مقال الأستاذة آسية داحو ، وسائل تشكيل الصورة الشعرية قديما.

دعاؤنا أن نكون قد وفقنا في اختيارنا وأن نكون عند مستوى تطلعات قرائنا وكل مستزيد ينتظرنا، ومع هذا نمتلك صدرا رحبا لانتقاداتكم ومقترحاتكم، ننتظرها لنكون في مرتبة أحسن.

والله ولي التوفيق

هيئة التحرير

دراسات لغوية

المعجم الدلالي لأسماء الأعلام المصغرة
في كتاب (الاشتقاق لابن دريد)

الدكتورة : وداد بنت أحمد بن عبد الله القحطاني

الأستاذ المساعد ــ قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب

جامعة الملك سعود

ملخص البحث

يعد كتاب (الاشتقاق) لابن دريد مرجعا مهما لكل باحث في دراسة الأعلام واشتقاقاتها اللغوية.
وقد عُنيت هذه الدراسة بمادة الكتاب وخاصة أسماء الأعلام المصغرة؛ لما يُحدثه التصغير من تغيير في اللفظ والمعنى. وهدف البحث جمع هذه الأعلام في معجم مرتبة حسب الحقول الدلاليَّة، وعنوانه:" المعجم الدلالي لأسماء الأعلام المصغرة في كتاب الاشتقاق لابن دريد".

وخلصت الدراسة لنتائج منها:

ـ مجيء الأسماء كلها على بنية التصغير المشهورة في العربية.وأغلب الأسماء المصغرة من أصول ثلاثية على وزن (فُعيل). كما أن غالب الأسماء المصغرة كانت للرجال دون النساء.

Abstract

(Al-Istiqaq) book for Ibn Duraid is an important reference for any researcher in Media Study and its language derivations. This study is concerned by the book subject especially the diminutive banners names, due to the change that caused by this diminutive in vocalization and meaning. The research aimed to collect these banners in a wordbook that ordered according to the indicative rights, and titled: "the indicative wordbook for the diminutive banners names in AlIstiqaq Book for Ibn Duraid".

The most important results of this study:

- All names are mentioned on famous diminutive structure in Arabic, and the ost diminuend names are from triple origins; moreover, the most diminuend names were for men not for women.

المقدمة

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على خير مُعَلِّم، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم ... وبعد .

فإن دراسة أسماء الأعلام من المسائل التي اهتم بها علماؤنا،فالتسمية تكشف عن تفكير الأمم وعاداتها، وأساليب حياتها.وكان لابن دُريد اليد الطُولى في العناية بذلك العلم ضمّنها كتابه (الاشتقاق) ، فغدا

كتابه مرجعًا مهمًّا لا يستغني عنه أي باحث في دراسة الأعلام والأنساب. وإن كان الأصمعي قد سبقه بتأليف كتاب (اشتقاق الأسماء) ، إلا أنَّ (اشتقاق) ابن دريد كان أوسع وأعمق، وفيه من الظواهر اللغوية والنحوية والصرفية ما يُغري الدارسين للارتشاف من معينه.فأردتُ أن أنال نصيبًا منه، وأُدْلِي بدلوِي فيه، فاهتديْتُ بعد توفيق الله إلى بحث عنوانه " المعجم الدلالي للأسماء المصغرة في كتاب الاشتقاق لابن دريد" .

وسبب اختياري ترتيبه على هيئة معجم؛ فلأنَّ الكتاب في صورته الأصلية يسرد المواد اللغوية سردا قد لا يحقق الفائدة المرجوّة منه، فهو يذكر اشتقاق الأسماء حسب القبائل، مُبتدئًا بذكر اشتقاق اسم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم باشتقاق أسماء آبائه من عدنان إلى حيث انتهى نسبه صلى الله عليه وسلم، ثم أتبعه باشتقاق أسماء قبائل قحطان.فرغبتُ في أن يظهر بثوب جديد يُسَهِّل النظر فيه، ويكون معجما خاصا للأعلام .

وأمّا ترتيبه دلاليًّا فلأنَّ الحقول الدلاليَّة نظريَّة لها أهميتها في دراسة الألفاظ في وحدة لغوية متكاملة، ولها جذور في تراثنا، وابن دريد نفسه له مؤلفات نستظهر منها تنبهه لفكرة الحقول الدلالية، وإن لم يُشر إلى المصطلح ، كما في كتابه مثلا: " صفة السَّرج واللِّجام"، فقد جمع الألفاظ التي لها دلالات متقاربة في حقل واحد (1).واقتصرتُ في الدراسة على الأسماء المصغَّرة التي صرَّح بتصغيرها، دون غيرها؛ نظرا لكثرتها، ولأثر دلالة التصغير على الاسم لفظا ومعنى.

ومن أهم المراجع التي اعتمدتُ عليها: جمهرة اللغة لابن دريد، ومقاييس اللغة لابن فارس، إذ كانا مرجعين أساسيين في توضيح ما أشكل من المعاني ، إضافة إلى معاجم وكتب ودراسات سابقة أفدتُ منها في هذه الدراسة.

وقد رأيْتُ أنْ أُقَدِّم للبحث بتعريفٍ موجزٍ لشخصية عالمنا العربي الفذ ابن دريد، وتعريف بكتابه الاشتقاق، ومنهجه في تأليفه. ثم نبذة عن مفهوم نظرية الحقول الدلاليَّة، ومُنجزات علمائنا الأوائل فيها.

وقد جمعتُ المفردات، وصنَّفتها حسب الحقل الدلالي الذي تنتمي له ، وموزع على الفروع الدلالية الخاصة بكل اسم منها. وجاءت هذه الحقول مرتبة حسب الأكثر ألفاظا ثم الأقل فالأقل، وشملت الدراسة إحصاءات لعدد الأسماء في كل حقل، والنسبة المئوية لها، وعدد أسماء الرجال والنساء، وعدد الأسماء التي جاءت على أوزان التصغير.

أمَّا الجدول الآتي فيوضح عدد الحقول والأسماء المصغرة التي تضمنتها، والنسبة المئوية لكل منها. وقد جاءت على النحو التالي:

الحقول الدلاليَّة	عدد الأسماء المصغرة	النسبة المئوية
حقل الإنسان	31	**٪22.3**
حقل الأحداث	**30**	**٪21.6**
حقل المشترك اللفظي	**29**	**٪20.9**
حقل الحيوان	**15**	**٪10.8**
حقل الألوان	11	**٪7.9**
حقل الطبيعة	11	**٪ 7.9**
حقل الأدوات والألبسة والحلي	**8**	**٪5.7**
حقل النبات	**4**	**٪2.9**
المجموع	**139**	٪100

ثم ختمتُ البحث بأهم نتائج الدراسة، ثم فهرسة للمصادر والمراجع.

وبالله التوفيق، هو نِعْمَ المولى ونِعْم النَّصِير.

التعريف بابن دُرَيْد :

هو أبو بكر محمَّد بن الحسن بن دُريْدالأزدي اللُّغَويّ الشَّافِعِي، وُلد بالبصْرَة سنة(223) ه، ونشأ بعُمَان، وطلب علم النَّحو، وأخذ عن أبي حاتم السَّجستاني، وأبي الفضل الريَّاشيّ ، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، وهو من أكابر علماء العربيَّة مُقَدَّمًا في اللغة وأنساب العرب وأشعارهم، وأحد علماء العربيَّة اللامعين، وممَّن انكبوا على دراسة اللغة ومعاجمها وأصولها واشتقاقاتها، أخذ عنه: أبو سعيد السِّيرافيّ، وأبو عبيد الله المرزبانيّ، وأبو الفرج الأصْبَهانيّ. روى من أخبار العرب وأشعارها كثيرا. كان شاعرا كثير الشعر، وله قصيدة المقصورة المشهورة. وقد ألَّف كتبًا كثيرة منها على سبيل المثال: كتاب الجمهرة في اللغة، وكتاب الاشتقاق، وصفة السرج واللجام، والخيل الكبير، والخيل الصغير، و الأنواء، والملاحن، وأدب الكُتَّاب ، وكتاب المجتبى، وكتاب المقتنى. توفي ـرحمه الله ـــ سنة (321)هـ (2) .

كتاب الاشتقاق، ومنهج ابن دريد في تأليفه:

يعدّ الكتاب مرجعًا مهمًّا في الدين،والتاريخ والأنساب واللغة والنَّوادر؛ لما يحويه من مادة علميَّة ثريَّة، فهو كتاب جامع لمعارف شتَّى،وتحدَّث فيه عن أسماء القبائل والعمائر، وأفخاذها وبطونها وأسماء ساداتها وثنيَّاتها، وشعرائها وفرسانها، واشتقاقاتها ولم يتطرَّق إلى اشتقاق أسماء النبات والجماد.وقد ذكر ابن دريد في مقدمة كتابه الدافع لتأليفه هو جهل بعض الأقوام باللسان العربي وتصريفه في اللغة، واستغراب هؤلاء الناس لهذه الأسماء التي أطلقها العرب على بنيهم وذراريهم وفرسانهم (3) . كما بيَّن مذاهب العرب في التسمية" فمنها ما سَمَّوه تفاؤلا على أعدائهم، نحو: غالِب وغلَّاب، وظالم ، وعارم... ومنها ما تفاءلوا به للأبناء، نحو: نائل، ووائل، وناجٍ... ومنها ما سُمِّي بالسِّباع ترهيبًا

لأعدائهم، نحو: أسد، وليث ، وفرَّاس ... ومنها ما سُمِّي بما غلُظ وخَشُنَ من الشَّجَر تفاؤلا أيضًا، نحـو: طلحة، وسمُرَة، وسَلَمَة...ومنها ما سُـمِّي بمـا غلُـظ مـن الأرض وخشُـن لمسُـه وموطئـه، مثـل: حَجَـر وحُجَيْر، وصَخْر وفِهر، وجَندل وجَرْوَل، وحَزْن وحَزْم.ومنها أنَّ الرجل كان يخـرج مـن منزلـه وامرأتـه تمخض، فيُسَمِّي ابنه بأوَّل مايلقاه، من ذلك: ثعلب وثعلبة، وضب وضبّة، وخُـزَر، وضُـبَيْعَة... وكـذلك تُسَمِّي بأوَّل ما يسنح أو يبْرَح لها من الطَّيْر، نحو: غُرَابٍ وصُرَد، وما أشبه ذلك" (4).

وأمَّا منهجه في عرض المادة اللغوية فقد بدأ كتابه باشتقاق اسم النبي صلى الله عليه وسلم، وفصّل في سبب تسمية محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم(5).وقد سار في مثل ذلك وما تبعه من الأسماء على النحو الآتي:

ـــــ ذكر الاشتقاق اللغوي للاسم، وبسط المادة اللغوية التي اشتُقّ منها، وذكر ما يمكن أن يكون تطورا دلاليًّا للكلمة(6).

ـــــ الظواهر اللغوية والصرفية واضحة في كتابه، إذ يهتم بذكر الوزن الصرفي للفظة (7)، ويشير إلى اللغات الواردة في الأسماء(8)، ويورد أصل الكلمة إن كانت غير عربية(9).

ـــــ تقديمه الشواهد المختلفة من القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف، والشعر والأمثال العربية لاشتقاقات الأسماء (10).

ـــــ تُلحظ أمانته العلميَّة، ودقَّته في النقل والإسناد، فيذكر مصادره التي أخذ عنها مادته، مثل قوله: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة(11)، وقال الأصمعي رحمه الله (12). وقال أبو عبيدة(13).

مفهوم الحقول الدلالية، وجذورها في التراث العربي

تعـد من أقدم النظريَّات في تحليل عناصر المعنى اللغوي، واحتلَّت مكانًا بارزًا في الدراسات اللغويَّة الحديثة، ويقصد به:" مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها"(14) ، فالنظرية تتألف من عنصرين أساسيين:

<u>الأول:</u> تقسيم الألفاظ إلى مجموعاتٍ دلاليةٍ.

<u>والثاني:</u> تحديد دلالة اللفظة داخل كل مجموعة ببحثها مع أقرب الألفاظ إليها، وبيـان أنـواع العلاقـاتُ بين الكلمات داخل المجموعة الدلاليةِ الواحدةِ . ولا تخـرج هـذه العلاقـات في أي حقـل معجمـي عمـا يأتي:

الترادف، والاشتمال أو التضمن، علاقة الجزء بالكل، التضاد، التنافر(15)، وليس من الضـروري أن يكون كلُّ حقل مشتملا عليها جميعا؛ لأنَّه قد تضمُّ بعض الحقول كثيرًا منها، على حين تقلّ بعـض منهـا في حقول أخرى(16).وتقوم هذه النظرية على عدد من الأسس والمبادئ ، وهي(17) :

ـــــ لا وحدة معجميَّة عضو في أكثر من حقل.

ـــــ لا وحدة معجميَّة لا تنتمي إلى حقل معيَّن

ـــــ لا يصح إغفال السِّياق الذي ترد فيه الكلمة

ــــ استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النَّحْويّ.
ويُلاحظ بأنَّ الكلمات داخل الحقل الواحد ليست ذات وضع متساو، وكلّ حقل منها يحتوي على المجموعة التي تخصه، ثم تدخل تحت كل قسم من الأقسام أقسام صُغرى تتفرع عن الكبرى؛ ولذا كانت هناك كلمات أساسية أو مفاهيم مركزية بالنسبة للحقول الدلالية، تتحكم في التقابلات الهامة داخل الحقل، وأخرى هامشية تزودنا بالبنية الداخلية لهذه الحقول(18).
وهناك اتجاهات متعددة حول تصنيف المفاهيم، فمنها مَنْ يرى وجود مجموعة من المفاهيم العامة المشترك بين لغات البشر، فعلى هذا الرأي توجد مجموعات من التصنيفات الدلالية العالمية إلى مثل: حي وغير حي، حسي ومعنوي، بشري وغير بشري(19)
ولعل أشمل التصنيفات التي قدمت الآن، وأكثرها منطقية التصنيف الذي اقترحه معجم
Greek New Testament ، ويقوم على الأقسام الأربعة الرئيسية:
1ـ الموجودات
2ــ الأحداث.
3ــ المجردات.
4ــ العلاقات.
وتحت كل قسم أقسام أصغر، ثم يقسم كل قسم إلى أقسام فرعية (20). وهذا التقسيم بعمومه هو الذي اعتمدت عليه في ترتيب الحقول، مع مراعاة تقسيم الحقول حسب المادة اللغوية التي توفرت في البحث.
والمتأمل في هذه النظرية يلحظ أنَّ علماء العربية قد فطنوا لها منذ وقت مبكر، يقول الدكتور محمود سليمان ياقوت:" هناك حقيقة نريد التأكيد عليها هي أن نظرية المجالات الدلالية إنَّما هي ذات أصول عربية، ويتضح ذلك في المنهج الذي اتبعه أصحاب الرسائل اللغويَّة ومعاجم الموضوعات في جمع ألفاظ اللغة التي تندرج تحت معنى واحد" (21)
ومعرفة علماء العربية بالحقول الدلالية انطلقت من اللغة نفسها، إذ استطاعوا أن يصنفوا الألفاظ تصنيفا شاملا دقيقا، فنجد ألفاظا تدل على الموجودات بمجموعها كلفظ العالَم والعالَمين، ويشتمل على الخلق كلِّه، ثم تجد تقسيمًا للوجود إلى ما يدرك بالحس وهو عالم الشهادة، وما هم مغيب عن الحس وهو عالم الغيب، وتجد في العربية ما يدل على أنواع الموجودات كالإنسان والنبات والحيوان، ويضم التصنيف على ألفاظ الأخلاق والمشاعر، مثل المكارم، والمثالب، والمحاسن، والمساوئ، والفرح والحزن، كما اشتملت على الكلمات الدالة على الطباع كالذكاء والحزم والحلم والشجاعة ،غيرها من التصنيفات، كل ذلك يدعو إلى الدهشة والإعجاب و يبين المستوى الفكري الذي بلغه علماؤنا ، قلَّمَا وصلت إليها الأمم في مثل هذا الطور المبكر من تاريخ حياتها (22)وجاء التأليف عندهم في مراحله الأولى بتصنيف الرسائل الكثيرة التي احتوى كل منها على ألفاظ خاصة في مجموعات دلاليَّة صغيرة

تتعلّق كلّ منها بموضوع واحد، فقد ألَّفُوا على سبيل المثال في خلق الإنسان، وفي الشاء، والإبل، والخيل، والحشرات، والسباع والهوام، والنبات، والشجر، والنخل، والنحل والعسل، ولابن دُريد كتب في هذا المجال فقد ألَّف صفة السَّرج واللّجام ـــ وقد سبق ذكره ـــ وكتاب وصف المطر والسحاب، وكان له جهد في باب الحقول الصَّرفيَّة بتأليفه شرح المقصور والممدود، وقد تطوَّر التصنيف الدِّلالي إلى انتقاء ألفاظ مُعينة لمعان محددة تحديدا دقيقًا فكان من ذلك كتاب " جواهر الألفاظ" لقدامة بن جعفر، والألفاظ الكتابية للهمذاني. ثمَّ تتابعت الرسائل الموضوعيَّة وكثُرت وتنوَّعت فظهرت موسوعة (الغريب المصنف) لأبي عبيد القاسم بن سلام، وفقه اللغة للثعالبي، والمخصص لابن سيده وهو أشمل معجم رُتِّب حسب المعاني، وله أهميَّة؛ لوفرة مادته، ونُضْج منهجه. ومع إجلالنا لجهود علمائنا، إلا أنَّ عملهم يختلف عن مثيله لدى الأوروبيين في العصر الحديث، لأسباب أهمها: الزمان، وتوسُّع آفاق الدرس، وعمق تقنياته ومناهجه، وليس في هذا جير يلحق بهم، إذ كانوا في عصرهم سبَّاقين مُبتكرين، ومازال في آثارهم كثير من الأفكار الرائدة التي تحتاج أجيال الأمَّة العربيَّة دراستها، والدِّعاية لها حتى تصل إلى حلقات الدرس اللِّساني المُعاصر، وتوضيحها للذي لم يتمكَّن من الاطلاع على تراثهم في أصله ؛وذلك بترجمته ونقل معارفهم بأنفسهم إلى غيرهم من الأمم حتى لا يصيبها التشويه، وتكون إنتاجاتهم المعرفية بين غيرهم، ويشعرون بمساهمتهم في الثقافة الإنسانية(3 2).

التصنيف الحقلي للأسماء المصغرة في كتاب الاشتقاق .

شكَّلتْ المواد اللغوية لأسماء الأعلام المصغرة في كتاب الاشتقاق حقولا تجمع بينها، وتندرج تحتها. تمثلت في ثمانية حقول هي:

الحقل الأول : الإنسان.

سمَّت العرب أعلامًا مصغَّرة مأخوذة من جسم الإنسان، وصفاته الخِلْقيَّة والخُلُقيَّة ، وما يفرع عنه من علاقات، وتأتي هذه التسمية في الغالب حسب مظهر المولود؛ لأنَّ صاحب الاسم كان يلفت الأنظار(4 2)، إمَّا لكبر حجم العضو كخُثَيم، أو لصغره كأُذَيْنَة ، وقد توزعت ألفاظ هذا الحقل في فروع، والجدول الآتي يوضحها مع النسبة المئوية وبعض التفصيلات .

الفروع	عدد الأسماء	النسبة المئوية	أسماء الذكور	أسماء الإناث	ما جاء على فُعَيل	ما جاء على فُعَيْعِيل
ألفاظ دالة على أعضاء الإنسان	**9**	**29٪**	**9**	**0**	**9**	**0**
ما يستقبح من الصفات الخِلْقيَّة	**7**	**22.6٪**	**7**	**0**	**7**	**0**

والخُلُقيَّة						
ألفاظ القرابة والعلاقات	6	٪19.4	5	1	5	1
ما يُستحسن من الصفات الخِلقية والخُلُقية	5	٪16.1	4	1	5	0
ألفاظ دالة على الأمراض	4	٪ 12.9	4	0	4	0
المجموع	31	٪100	29	2	30	1

الفرع الأول: ألفاظ أعضاء الإنسان .

(الرأس وما حوى)

ـــــ صُلَيْع: تصغير أَصْلَع، وأرض صلعاء : لانبت فيها ، وجبل صَلِيع : أَمْلَس(25).

ويقول ابن سيده:" الصَّلَع: ذهاب الشَّعْر من مُقدَّم الرأس" (26).

ـــــ سُوَيْط(27): تصغيرسابط، واشتقاقه من السُّبُوطَة والسِّبَاط، من قولهم: رجل سَبْط الأنامل: إذا كان جَوَادًا. ويُقال: ضَرَبه حتَّى أسبَطَ،أي:ألصقه بالأرض. وهو راجع إلى السَّبَاطة والاسترخاء(28). ويوضّح معنى الكلمة بقوله في الجمهرة:" ورجُل سِبْط الشَّعَر وسَبْط الشَّعَر: خلاف الجَعْد بَيِّن السَّبَاطة والسُّبُوطة من قوم سِبَاط" (29).

ـــــ جُهَيْم: تصغير جَهْم، والجَهْم: الغليظ الوجه، وبه سُمِّي الأسد جَهْمًا، وكُلّ كثيف جَهْم ومنه الجَهَام مِنَ السَّحاب: الذي قد هَراق ماءه. ومنه تجهَّمْتُ الرجلَ: إذا أغْلَظْتَ له. وقد سمَّت العرب جَهْمًا، وجُهَيْمًا، وجَاهمة، وجَيْهَمًا الياء زائدة، وجَهْمَنًا النون زائدة كزيادتها في رَعْشَنٍ، وهو اسم بطن من العرب (30).

ـــــ أُذَيْنَة (31): تصغير أُذُن(32).

وفي المقاييس:" (أذن) الهمزة والذال والنون أصلان متقاربان في المعنى، متباعدان في اللفظ. أحدهما: أُذُن كلِّ ذي أُذُن، والآخر: العلم.." (33).

ـــــ شُرَيْف : تصغير أَشْرف، يقال للرجل العظيم الأذنين: أَشْرَف. والشَّرف في النَّسب معروف. والناقة الشارف: المُسنَّة. والشَّرَفُ والشُّرَيف: موضعان بنجد(34).

وفي الجمهرة يقول ابن دريد:" والرجل الأَشْرَف: الطويل الأذنين، وبه سُمِّي الرجل : أَشْرَف..... وأُذُن شُرَافِيَّة وشُفَارِيَّة: إذا كانت عالية طويلة وعليها شَعَر" (35).

ــــ عُيَيْنَة : تصغير عين. وكان عُيَيْنَة يحمَّق، وهو الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم:" الأحمق المُطاع في قومه" (36).

ــــ أُنَيْف: تصغير أَنْف. ويُقال: روضةٌ أُنُف: إذا لم تُرعَ. وكلُّ شيء استأنفته فهو أُنُف. ويُقال: نَيَّفَ على كذا وكذا، أي: زاد عليه (37). ويقول ابن سيده:" الأنف: جميع المَنْخَر، سُمِّي بذلك لتقدُّمه"(38).

(البطن وماحوى).

ــــ قُتَيْبَة": تصغير قِتْب البَطن ، والأقتاب: الأمعاء، ويمكن أن يكون القَتَب أيضًا(39). ولم يبيِّن معنى القَتَب (بفتح القاف)، ولكنَّه يُفسِّره في الجمهرة بقوله: " القَتَب: قَتَب البعير، والجمع : أقْتاب ، إذا كان مما يُحمل عليه" (40). ثم يُصَرِّح بأنَّ الاسم مشتق من القِتْب بمعنى المِعى، فقال:" والقِتْب: المِعَى، بكسر القاف، والجمع أقتاب... وقِتْب البطن، مؤنثه تصغيرها قُتَيْبَة، وبها سُمِّي الرجل قُتَيْبَة" (41).

ــــ مُعَيَّة: تصغير مِعًى(42)، وهو الواحد من أمعاء البطن(43).

الفرع الثاني: ما يُستقبح من الصفات الخِلْقِيّة والخُلُقِيَّة.

ــــ حُمَيّ (44): فإمَّا أن يكون مِنْ هذا ــــ أي:الحَمِيَّة من الغضب ــــ ، وإمَّا أن يكون تصغير أَحَمّ. والأَحَمُّ: الأسود يضرب إلى حُمرة، وفرسٌ أحمّ كذلك. وحُمَيَّا الخمر: سَورتُها.(45).

ــــ خُثَيْم: تصغير أَخْثَم، والأخثم: العريض الأنف، ومنه اشتقاق خَيْثَمَة (46).

ــــ شُتَيْر: تصغير أَشْتَر، والشَّتَر: انشقاق جَفْن العين، وبه سُمِّي الأَشْتَر النَّخَعي(47).

ــــ عُرَيْج: تصغير أَعْرَج، عَرِجَ الرجل يعْرَج عَرَجًا، إذا صار أعرج. وعَرَج يعْرُج عُرُوجًا: إذا صعد والمعارج: الأسباب التي يُصعَد فيها. والعُرَيْجَاء: ظِمءٌ مِن أظْماء الإبل، وهو أنْ ترد في كل يوم. والمِعْراج ــــ والله عز وجل أعلم ــــ : شيء يراه المُحتَضر فيشخص إليه ببصره. وما كانت لي على فلان عُرْجَة، أي: عَطفه. وما كان لي عليه تعريج، مثله قال الشاعر:

يا حادِيَيْ بنتِ فضَّاضٍ أَمَا لكما حتَّى تُكلِّمَنا هَمٌّ بتعريجِ

والعرجاء: الضَّبُع. فأمَّا قول العامة: الضَّبْعَةُ العرجاء، فخطأ. والعَرْج: موضع. (48). وجاء في المقاييس:" (عرج) العين والراء والجيم ثلاثة أصول: الأول : يدل على مَيْل ومَيَل، والآخر على عدد، والآخِر على سُمُوّ وارتقاء.." (49)

ــــ فُقَيْم: تصغير أَفْقَم (50). ولم يوضح ابن دريد معنى الكلمة ، ولكنَّه في الجمهرة يفسر معنى الكلمة بقوله: " الفَقَم في الفم : أنْ تدخل الأسنان العليا إلى الفم، فَقِمَ الرجل يَفْقَم فَقْمًا فهو أَفْقَم ثم كَثُر

ذلك حتى صار كُلّ معوجّ أَفْقَم، ومِن ذلك قالوا : تَفَاقَم الأمر ، إذا لم يجْرِ على استواء، وقد سمَّت العرب أَفْقَم وفُقَيْمًا" (1 5).

ـــ كُهَيْم: تصغير كَهْم بَيِّن الكَهَامَة والكهُومَة، وكَهْم السَّيْف: إذا كَلَّ، فهو كَهَام وكَهِيم، ورجل كَهْم وكَهِيم: إذا كان عَيِيًّا(2 5).

وجاء في المقاييس:" (كَهَمَ) الكاف والهاء والميم أُصَيْل يدلُّ على كَلال وبُطْء، من ذلك الفَرس الكَهَام: البطيء. والسَّيْف الكَهَام: الكليل، واللِّسان الكَهام: العيي. ثم يُقال للمُسِنّ: كَهْكَم. ويقولون: أَكْهَم بصره: إذا رقّ" (3 5).

ـ هنَيٌّ(4 5).: تصغير هَنٍ، من قولهم: يا هَنُو يَا هَنَ(5 5). ويقول في آخر:" وأما (هُنَيٌّ) فتصغير هَنٍ، من قولهم: يا هَنُ أَقْبِلْ. ويقولون: فلانٌ هُنَيٌّ من الرِّجال: إذا أومئوا إلى الدَّمامة والقِلَّة" (6 5).وفي المقاييس: " وهَنٌ: كلمة كناية، تقول: أتاه هَنٌ، وفي فلان هَنَاتٌ، أي: خَصَلات شرّ،ولايُقال في الخير" (7 5).

الفرع الثالث: ألفاظ القرابة والعلاقات .

ـــ أُبَيّ(8 5): تصغير أَبٍ مُخَفَّف؛ لأنَّه كان أصله أَبَوٌ، فأمَّا الأبُّ بالتثقيل فالمرْعَى من قوله عزَّ وجلّ: ﭼ ﯘ ﯙ ﭼعبس: ٣١(9 5) . وجاء في المقاييس:" (أبو) الهمزة والباء والواو يدل على التربية والغَذْو، أَبَوتُ الشيء آبُوه أَبْوًا: إذا غذوته؛ وبذلك سُمِّي الأبُ أَبًا." (0 6)

ـــ أُمَيَّة (1 6): تصغير أَمَة، والنسب إليه أُمَوِيّ بضم الهمزة، فأمَّا مَنْ قال: أَمَوِيٌّ فقد أخطأ، وفي بني كنانة أو في بني نصر بن معاوية بطن يقال لهم بنو أَمَة، والنسب إلى أولئك أَمَوِيّ (2 6). وفي المقاييس:" (أموى) وأما الهمزة والميم وما بعدهما من المعتل فأصل واحد، وهو: عُبُودِيَّة المملُوكة.." (3 6).

ـــ أُمَيْمَة:(4 6). مِن قولهم: أَمَّهُ يَؤُمُّه أَمًّا، أو يكون تصغير أُمّ (5 6). ويُفَسِّر ابن دُرَيْد معنى(أَمَّه) في الجمهرة بقوله :" أَمَّ يَؤُمُّ أَمًّا: إذا قصد للشئ، وأَمَّ رأسه بالعصا يَؤُمُّه: إذا أصاب أُمّ راسه.... والأُمّ : معروفة" (6 6).

ـــ الطُّفَيْل: تصغير طِفْل، والطِّفْل: الوليد، طِفْل من الطفولة. قال الأصمعي: لا أدري ما حدُّ الطفولة والطفل . ويُقال: امرأة طَفْلَة: رَخْصَة اللَّحْم بيِّنَة الطَّفَالة، وقالوا الطُّفُولة أيضًا. وقال يونس: طفلت المرأة طفالة: إذا صارت طَفْلَة. وليس هذا عن الأصمعي. والطَّفَل: اختلاط ظُلْمة الليل بباقي ضوء النَّهار. قال الشاعر:

وعلى الأرض غيايات الطَّفَل

طفَّل الليل تَطْفِيلا: إذا أقبل، فأمَّا قول العمَّة طُفَيْلِيّ، فمنسوب إلى طُفَيْل العرائس: رجل من أهل الكوفة ، قال الأصمعي: لا أدري ممن هو. وقال أبو عبيدة: هو من بني عامر بن صعصعة، كان يحضر

الأعراس مدعوًّا أو راشِنًا، فنسب إليه مَنْ كان كذلك. والطُّفَيْل: اسم فَرَس من خيـل العـرب مشـهور. وضُرِبَ عُبيدة يوم بدر فحُمِل جريحًا فمات بالصفراء، فقال:

فإنْ يقطعوا رجلي فإنِّي مُسلِمٌ   أُرَجِّي بها حظًّا من الله باقِيًا(67).

ـــــ مُرَيٌّ: تصغير مَرْء، والجمع مَرْؤُون(68).

ـــــ الوُلَيِّد: مصغر الوَلِيد، وقد سمَّت العرب وَليدًا ووَلَّادًا (69)

الفرع الرابع: ما يستحسن من الصفات الخِلقية والخُلُقيَّة.

ـــــ رُفَيْدَة: تصغير رَفْدَة، وهي العطيَّة. رَفَدْتُه اَرْفِدُه رَفْدًا: إذا أعطيته. والرَّفْد المصدر، والرِّفْد: القَعْب الذي يُرفد فيه، وهو المِرْفَد. وكُلّ شئ وطَّدْتَ له فقد رَفَّدْتَه تَرْفِيدًا(70).

وفي المقاييس:" (رفد) الراء والفاء والدال أصل واحد مطـرد منقـاس، وهـو المعاونـة والمظـاهرة بالعطـاء وغيره.."(71)

ـــــ زُبَيْد: تصغير زَبْد، والزَّبْد: العطيَّة. زَبَدته أَزْبَدُهُ زَبْدًا. وإنَّمـا قـال: مَـنْ يَزْبِـدْني رِفْـدَه؟ فَسُـمِّي زُبَيْدًا(72) . وفي المقاييس:" (زبد) الزاء والباء والدال أصل واحد يدلُّ على تولُّد شيء عـن شـيء. من ذلك زَبَد الماء وغيره. يقال: أزبد إزبادا. والزُّبد من ذلك أيضا.... ومن الباب الزَّبْد، وهو : العطيَّـة. يقال: زَبَدت الرجل زبدا: أعطيته"(73) .

ـــــ شِيَيْم (74) : تصغير أَشْيَم ، وهو الذي له شامة في أيِّ موضع مـن جسـده، والأنثـى: شَـيْمَاء، والجمع شِيَم، والشِّيمَة : الخليقة . يُقال : فلان كريم الشِّـيمة، والجمـع : الشِّـيَم ، وهـي الخلائـق .قـال الشاعر:

وإنَّ عِرارًا إنْ يكُنْ ذا شكيمةٍ   تُقاسينها منه فما أملكُ الشِّيَمْ (75).

ـــــ نُفَيْل: وهو تصغير نَفَل، وجمع نفَلٍ أنْفَال، وكذلك هو في التنزيل. والنَّفَل: ما نفله الله عزّ وجلّ مـن فيء المشركين. ويُقال: بارز فلانٌ فلانًا فقتله فنفَلَه الإمام سَلَمَه، أي: أعطـاه إيَّـاه ونفَّلَـه تنْفِـيلا. والنَّفَـل: ضربٌ من النَّبْت. والنافلة: ما تبرع به الرجل من صلاة، أو صوم غير واجب عليه . وقال قوم من أهـل العلم: الصَّرف النَّافلة، والعَدل: الفريضة. ومنه قولهم: " لا قبل اللهُ منه صَرفًا ولا عَدْلاً". واشتقاق نوفـل من هذا رجل نوْفل: كثير النّوافل. قال الشاعر:

يأبى الظُّلامَةَ منه النَّوفَل الزُّفر

فالنوفل: الذي ذكرناه. والزُّفر: المستقلّ المُزدفر بأثقال الأمور، القويّ عليها(76).

وفي المقاييس:" (نفل) النون والفاء واللام أصل صحيح يدلُّ على عطاء وإعطاء منه النافلة: عطِيَّة الطَّـوع من حيث لا تجِب. ومنه نافلة الصلاة. والنوفل: الرجل الكثير العطاء.."(77).

ـــــ قُنَيْع: تصغير أَقْنَع، والأَقْنَع: مرتفع أرنبة الأنف. والمِقْنَعَة معروفة. والقُنُوع: السُّؤَال. قال الشاعر:

لَمَالُ المرءِ يُمْسِكُهُ فَيُغْنِي   مفاقِرَه أعفُّ من القُنُوعِ

والقناعة: الرِّضا. والقُنْعَان من قولهم: فلان قُنْعَاني، أي: رضيتُ به. وشاهد مَقْنَع، والجمع: مَقَانع، أي: رضًا(78).

الفرع الخامس: ألفاظ الأمراض.

ـــ أُحَيْحَة: تصغير أحَّة، وهو مايجد الإنسان في قلبه من حرارة غيظ وحزن ، والأَحَّة والأُحاح واحد(79).

ـــ جُشَيْش: تصغير أجشّ، والجُشَّة: بحوحة في الحلق ، والجشيش: ما لم يُنْعَم صَحْنه مِن بُرّ أو غيره (80). وجاء في التاج: " الجُشَّة (بالضم) : شدّة الصوت كالجشَش مُحركة، والجُشَّة والجُش: صوت غليظ يخرج من الخياشيم فيه بحَّة وغلظ " (81).

ـــ دُرَيْد: تصغير أدْرَد(82).. والأدْرَد: الذي تحاتَتْ أسنانه، والأنثى: دَرْدَاء. ومثل من أمثالهم:" أَلْيَن من أُلُوقَة الدَّرْدَاء". والألوقة: ما لوِّق من طعام وغيره، أي: مُرِسَ. ورُبَّما سُمِّيَت الزُّبْدَة ألوقة. (83).

ـــ دُقَيْم: اسم، وهو تصغير دَقْم، من قولهم: دَقَمْتُ فاه: إذا كَسَرْته (84) . ويقول في الجمهرة:" ورجل أَدْقَم : إذا سقط مُقَدَّم فِيه" (85).

الحقل الثاني : الأحداث .

ويتوزع على ستة فروع دلاليّة ، وهي: الألفاظ الدالة على حركة ونزوح، وألفاظ تدل على النزول والحلول ، وألفاظ تدل على جمع الشيء، وألفاظ تدل على الشدة والمنع، وألفاظ تدل على مُعالجة شيء، وألفاظ تدل على السكون الهدوء والنعومة وطول العيش. والجدول الآتي يبين عدد الأسماء التي يتضمنها كل فرع، والنسب المئوية.

الفروع	عدد الأسماء	النسبة المئوية	أسماء الذكور	أسماء الإناث	ما جاء على فُعيل	ما جاء على فُعيعِيل
ما دل على معالجة حسيا ومعنويا	**13**	43.4٪	**12**	**1**	**11**	**2**
ما دل على حركة ونزوح	**4**	13.3٪	**4**	**0**	**4**	**0**
ما دل على الجمع والكثرة	**4**	13.3٪	**4**	**0**	**3**	**1**
ما دل على الشدة والمنع	**4**	13,3٪	**4**	**0**	**4**	**0**

ما دل على السكون والبقاء ونعومة العيش.	**3**	**10٪**	**3**	**0**	**2**	**1**
ما دل على النزول والحلول	**2**	**6.7٪**	**2**	**0**	**2**	**0**
المجموع	**30**	100٪	**29**	**1**	**26**	**4**

وتفصيل ما جاء في الجدول كالآتي:

الفرع الأول: ما دل على معالجة حسيا ومعنويا.

ــــــ حُجَيَّة: فأمَّا الحَجْو: فالظن(86)بالشيء. ومنه اشتقاق حَجْوَة وهو اسم . وكذلك حُجَيَّة وهو تصغير حَجْوَة، وكان أصله حُجَيْوَة فَثَقُلَت عليهم الواو بعد ياء ساكنة فقلبوها ياء، وأدغموا الياء في الياء. .والحِجَا: العقل. ويُقال فلانٌ حَجِيٌّ بكذا وكذا : أي، جدير به . ويُقال: أَحْجِ به أنْ يفعل، كما يقولون: أَجْدِرْ به أنْ يفعل . والحُجَيَّا من قولهم: حَاجَيْتُك في كذا كذا، وهي المُحَاجاة، وهو من اللعب الذي يلعب به الصِّبْيان في قولهم: ما كذا وكذا؟ فإذا أصاب قالوا: لك فرضٌ. ولغة لأهل اليمن يندبون به المَيِّت، يقولون: يا حُجَيَّا عليك أي: ظَنِّي بك. والحُجَيَّا: تصغير حَجْوَى، مقصور(87). وفي المقاييس:" (حجا) الحاء والجيم والحرف المعتل أصلان متقاربان، أحدهما: إضافة الشيء بالشيء وملازمته، والآخر: القصد والتعمُّد.." (88).

ــــــ سُمَيْفِع: تصغير سَمْفَع إنْ كان أوَّله مضمومًا، وإلا فهو مثل سَمَيْدَع. والسَّمْفَعَة: الجُرْأة والإقْدام في لغتهم (89).

ــــــ شُرَيْح: تصغير شَرْح. وشَرْح: مصدر شرحْتُ الأمرَ أو الشيء أشرحه شرحا: إذا كشفْت عنه، أي: أوضحته. وبنو شَرْح: بطن من طيء. وقد سَمَّوا شَرْحًا، وشُرَيْحًا، ومِشْرَحًا(**90**).

ــــــ طُهَيَّة(91). تصغير طَهَاة. والطَّهَاء والطَّخَاء: السَّحاب الرقيق. والطاهي: الطَّبَّاخ أو الخَبَّاز، والجمع الطُهَاة. قال الشاعر:

فَظَلَّ طُهَاة اللَّحم مِنْ بينِ منْضجٍ   نَشِيلَ قَديرٍ أو شواءٍ معجَّلِ (92).

ــــــ عُتَيْبَة: تصغير عُتْبَة. وكان أبو لهب يُكنَّى أبا عتْبَة. واشتقاق هذه الأسماء كلِّها من العَتْب، من قولهم: عاتبْتُ فلانًا فأعتبني، أي: استرضيته فأرضاني. والاسم: العتاب والمَعْتَبَة، والمصدر العَتْب. والعَتَب: الغِلَظ من الأرض في هَبوط وصَعود. واعتتب الحمار والبعير: إذا مشى على ثلاثٍ. وقد سمَّت العربُ عتَّابًا وعَتِيبًا وهو أبو بطن منهم. وبنو عتَّاب: بطن من بني تغلب، إليهم يُنسب العتَّابيُّ

صاحب الأخبار. وعَتَبَة الباب اختلفوا فيها، فقال قوم: هي الأُسْكُفَّة. وقال آخرون: هي العارضة العُليا التي يدور فيها الباب. وعِتْبان: اسم. وعَوتَب: موضع، الواو زائدة. والعاتب: الواجد من الغضب. والمُعْتِب: المُسترضِي(93).وفي المقاييس:" (عتب) العين والتاء والباء أصل صحيح، يرجع كله إلى الأمر فيه بعض الصعوبة من كلام أو غيره، من ذلك العَتَبَة وهي: أسكفَّة الباب، وإنَّما سمِّيت بذلك لارتفاعها عن المكان المطمئن السَّهل. وعتبات الدُّرجة مراقيها.... ومن الباب وهو القياس الصحيح: العتْب: المَوجدة. تقول: عتبتُ على فلان عَتْبا ومَعْتَبَة، أي: وجدت عليه .." (94).

ـــــ عُوَيْمِر: تصغير عامر. والعَوْمَرَة: اختلاط القوم في شرٍّ وخصومة، يُقال: تركتهم في عَوْمَرَة، أي: في خصومة وشر. قال بعض العرب :

تقول عِرسي وهي مَعِي في عَومَرَهْ   بِيس امرؤٌ وإنَّني بِيس المَرَه (95).

ـــــ قُطَيْعَة: وهو تصغير قِطْعَة، والقِطْعَة: كُلُّ شيء قطعته. والقطيع من الغَنَم وغيرها من هذا اشتقاقه، كأنَّه قِطع من غنم كثيرة . وقُطَاعَة الدَّقيق: نُخَالتُه. والقِطْع: الساعة من الليل، والجمع: أَقْطَاع. والقَطيع: السَّوط من القِدِّ. والقَطْعَاء: موضع. وقد سَمَّت العرب قِطْعَة، وقُطَاعَة. وبنو مقطَّع من بني ضبَّة، منهم الشَّغَافيُّون(96).

ـــ لُهَيْم: تصغير لَهْم. واشتقاق اللَّهْم من الالتهام: وهو البَلْع. يُقال: الْتَهَمه: إذا ابتلعه. وبذلك سُمِّي الجيش العظيم لُهَامًا؛ لأنَّه يلتَهِم كلّ ما قدر عليه(97). وجاء في المقاييس:" (لَهَم) اللام والهاء والميم أصل صحيح يدل على ابتلاع شيء، ثم يقاس عليه، تقول العرب: التَهَمَ الشيء التقمه، ومن هذا الباب الإلهام، كَأنَّه شيء أُلْقِي في الرَّوْع فالتهمه"(98).

ـــ نُبَيْشَة: تصغير نَبْشَة. وكُلُّ شيء كشفتَ عنه التراب فقد نبشته. والأُنْبُوشَة، والجمع أنابيش وهو كلُّ ما اقتلعته من بقلة أو شجرة من أصله(99). وفي المقاييس:" (نَبَش) النون والباء والشين: أصل وكلمة واحدة تدل على إبراز شيء مستور، ونَبَّشَ القبر: وهو نَبَّاش ينْبُشُه، ومن قياسه أنابيش الكلأ: القطاع المتفرِّقة تبرز على وجه الأرض" (100).

ـــــ نُبَيْه: يُمكن أنْ يكون تصغير نَبِهٍ. والنَّبَهُ: الشيء يَضِيع فلا يُطلب لِهَوانه أو لقلَّتِه . قال الشاعر:

كأنه دُمْلجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبَهٌ   في ملعبٍ من عَذَارَى الحيِّ مفصُومُ

والنَّابه: المرتفع الذِّكر العالي. ويُقال هذا خير نابه: أي عظيم. ورجل نبيه، أي: عالي الذكر. و(مُنَبِّه) مُفَعِّلٌ من الانتباه، من قولهم: نَبَّهَه من نومه تنبيهًا. ونَبَّهتك عن كذا وكذا،أي: عرَّفتك مكانه. وفلان أَنْبَهُ من فلان، أي: أشهر منه في النَّاس. والنَّبَاهة المصدر. ومنه اشتقاق نَبْهَان، وهو أبو قبيلة من طيء. ونَبُهَ الرجل نَبَاهة: إذا صار نبيهًا(101) . وفي المقاييس:" (نبه) النون والباء والهاء أصل صحيح يدل على ارتفاع وسمو، ومنه النُّبْه والانتباه وهو اليقظة والارتفاع من النَّوم..... وقولهم: إنَّ النَّبه من الأضداد، يُقال للضَّائع نَبَهٌ، وللموجود نَبَهٌ، فهو عندنا صحيح؛ لأنَّه إذا ضاع أُنتُبِه له، وإذا وُجِد أُنتُبِه له" (102)

ـــــــ هُجَيْم: وهو تصغير الهَجْم من قولهم: هَجَمْت البيت: إذا هدمته. وهَجَمْتُ ما في ضَرع النَّاقة: إذا استقصيت حلبها. فالفاعل هاجَم، والنَّاقة مهْجُوم. وهَجَم الرجلُ على القوم: إذا دخل عليهم بلا إذن. والهَجْم: العُسُّ العظيم يُحلَب فيه (103).

ـــــ هُدَيْد: تصغير هَدَد. والهَدَدُ: صوتٌ تسمعه من صوتِ رعد أوهدْم (104).

ــــ هُذَيْم: تصغير هَذْم. والهَذْم: القطع (105). وفي المقاييس:" (هذم) الهاء والذال والميم: كلمة صحيحة، تدلّ على قطْعٍ لشيء. وهَذْم السيف: قطعه. وسيف مِهْذَمٌ وهُذَامٌ وهَيْذَام. ويُسمَّى الشُّجاع هَيْذَامًا، تشبيهًا له بهذا السَّيف" (106).

الفرع الثاني: مادل على حركة ونزوح.

ــ أُقَيْش(107): وهو تصغير الوَقْش. والوَقْش: الحركة الخفيفة. يقال: وجدَ الرجلُ وَقْشًا في بطنه، أي: حركة. وكتب النبي صلى الله عليه وسلم كتابا لبني أُقيْش في ركيَّة البادية، فهو في أيديهم إلى اليوم (108).وفي اللسان:" وأُقَيْش: جدّ النَّمر؛ سُمِّي بذلك؛ لأنَّ أباه نظر إلى أمِّه وقد حبلت به، فقال: ما هذا الذي يتوقَّش في بطنك، أي: يتحرَّك.." (109).

ــــ بُدَيْل: تصغير بَدَل، من قولهم هذا بدَل من هذا . والأبدال: قوم زُهَّاد، زعموا، لا تخلو الأرض منهم، إذا مات واحد أبدل الله عز وجل به آخر. وزعموا أنَّهم سبعون: أربعون بالشَّام، وثلاثون في سائر البلاد (110).

ـــــــــ زُوَيٌّ: تصغير زَوٍّ. (111) ويُقال: جاء فلانٌ تَوًّا، إذا جاء وحده. وجاء زَوًّا: إذا كانا اثنين (112).

ــــ قُصَيّ: تصغير قَاصٍ(113)، واسمه زيد، وإنَّما سُمِّيَ قُصَيًّا؛ لأنّه قَصَا عن قومه فكان في بني عُذْرَة مع أخيه لأمِّه. يُقَال: قَصَا الرجلُ يقْصُو قَصْوًا . والنَّاحية القُصْوَى والقاصِيَةُ واحد : وهي البعيدة . ويقال: بقَصَاهم، أي: ناحيتهم القاصية. والقَصَا، يمدّ ويُقصر. وأنشدوا بيت بشر بن أبي خازم:

فحاطونا القَصَاءَ وقد رأونا   قريبًا حيثُ يُستمع السِّرارُ

وأنشد أيضا:

* فحاطونا القَصَا ولقد رأونا*

ويقال: شاة قصواء، وكذلك الناقة إذا قُطِع طرفُ أذنها. ولم يقولوا: جملٌ أقصى، ولا كبش أقصى، وقالوا: جمل مقصوٌّ، تركوا القياس. وكانت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم تسمى" القصواء"، فزعم قوم أنه اسم لها ولم تكن قصواء، وقال قوم: بل كانت قصواء. واسم قص يّزيد. وقالوا: مكان قصيّ، أي: بعيد. وفي التنزيل:﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ مريم: ٢٢ فكأنه فعيل مشتق من فاعل(114).وفي المقاييس:" (قصوى) القاف والصاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على بُعْدٍ وإبعَاد. من ذلك القَصَا: البُعْد . وهو بالمكان الأقصى، والناحية القُصْوَى. وذهبتُ قَصَا فلانٍ، أي:

ناحيته. ويقال: أحاطونا القصا. أي: وقفوا منّا بين البعيد والقريب غير أنّهم مُحيطون بنا كالشيء يَحُوط الشيء يحفظه"(115).

الفرع الثالث: مادل على الجمع والكثرة.

ـــــ حُبَيْش: تصغيرحَبْش. يُقال: حَبَشْتُ الشيء. وَهَبَشْته: إذا جمعته. وحُبْشِيَّة: اسم رجل، وهي النَّملة العظيمة. والأُحْبُوش: جمع الحَبَش. فأمّا قولهم: الحَبَشة فجمع على غير القياس. والأَحابيش: حُلَفاء قُريش من بني كنانة، تحالفُوا تحت جبل يُقال له: حُبْشِيّ، فسُمّوا الأحابيش. والحُباشات: الجماعات(116).وفي الصحاح:" حُبَيْش: طائر معروف جاء مُصَغَّرًا، مثل الكُمَيْت والكُعَيْت" (117).

ـــ رُدَيْح: وهو تصغير الرَّدْح. والرَّدْح: تراكم الشيء بعضه على بعض. وسحابة رَدَاح: كثيرة الماء. وامرأة رَدَاح: عظيمة الأوراك من هذا. وردَحْت البيت أردَحُه رَدْحًا: إذا ألقيت عليه الطين. وأردَحْتُه أيضًا. بيتٌ مُرْدَح ومرْدُوح. قال الشاعر:

بيت حَتُوفٍ مُكْفَأ مردُوحا(118)

ـــــ صُبَيْرَة: تصغير صُبْرَة .والصَّبِر: هو الدواء المرّ بفتح الصاد وكسر الباء. والصَّبْر: ضد الجزع. رجل صابر وصَبير. والصَّبْر: الحبس، ومنه قولهم: قُتِل صَبْرًا، أي: حُبس حتَّى قتل.والصَّبِير: سحابٌ أبيض. وصَبَّارةُ: حَرَّة معروفة. وبيع الصُبْرة معروف. وفي حديث النبي صلَّى الله عليه وسلم:" أُقْتُلُوا القاتِلَ واصْبِرُوا الصَّابر". وأصله أنَّ رجلا أمسك رجُلا حتى قتله، فحكم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا، بِقَتْلِ القاتِل وحَبْس الحابِس حتَّى يموت. فالرجُل مَصْبُور إذا كان محبُوسًا. وأصْبَار كُلِّ شيء: أعلاه. قال الشاعر:

وَطْفَاءَ تملؤُهَا إلى أَصْبَارِهَا (119).

وقد وضح معنى اللفظة في الجمهرة فقال:" واشتريْتُ الشيء صُبْرَة: إذا اشتريته بلا كيل أو وزن"(120).

ـــــ كُثَيِّر: وهو تصغير(كَثِير)، والكَثِير: ضد القليل. والكَثَر: الجُمَّار، ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم :" لا قَطْع في ثَمَر ولا كَثَر". وعددٌ كُثَار، أي: كثير. وكَثَرَ بنو فلان بني فلان: إذا كانوا أكثر منهم. واشتقاق الكَوْثَر من الكَثْرَة، والواو زائدة. ويُقال: عدد كُثُرٌ، في معنى كَثِير(121).

الفرع الرابع: ما دل على الشدة والمنع.

ـــــ حُصَيْن: تصغير حِصْن. وكُلّ شيء حظرْته فقد حَصَّنْتَه، وبه سُمِّيَتْ المرأة حَصَانًا بفتح الحاء ؛ لعفَّتها. والحِصَان بكسر الحاء : الفَرَس الذي يُحْصَنُ إلا عن كُلِّ حِجْرٍ كريمة. والحَاصِن: المُتزوِّجة.

وأَحْصَنَ الرجل فهو مُحْصَن، إذا أَحْصَن أهله. وهذا أحدُ ما جاء على أَفْعَل فهو مُفْعَل. وزعموا أنَّ القُفل يقال له المِحْصَنُ في بعض اللُّغات، وكأنَّ المِحصَنَ الزَّبيل أيضًا"(122).

ـــــــ حُمَيْس: تصغير أَحْمَس (123). وفي الجمهرة يوضِّح المعنى بقوله:" الحَمْس والحَمَس: التشدد في الأمر، وبه سُمِّيت الحُمْس قُرَيْش وخُزاعة، وبنو عامر بن صعصعة وقوم من بني كنانة؛ لأنَّهم تَحَمَّسُوا في دينهم ... ورجل أحْمَس وحَمِس: إذا كان شُجَاعًا"(124).

ـــــــ خُشَيْن: تصغير أَخْشَن (125)،أو تصغير خَشِن. وقد صُغِّر أَخْشَن أُخَيْشِن . قال:" أُخَيْشِنُ في ذات الله". وقد سَمَّت العرب خَشِنًا وخُشَيْنًا، وأَخْشَنَ. والخَشِن: ضد اللين. وأرض خشناء: خَشِنة الموطئ(126).

ـــــــ عُـرَيْد: تصغير عَرْد، وهو الشيء الصُّلْب. والتعْريد: العَدْو من فَزَع. يُقَال: عَرَّد الرجلُ تَعْرِيدًا

*ضربًا يعرِّد باليمين القائمِ *(127)

وجاء في المقاييس:"(عرد) العين والراء والدال: أصلان صحيحان يدل أحدهما على قوة واشتداد، والآخر: على مَيْل وحِيَاد. فالأول: العَرْد: الشديد من كُلِّ شيء الصُّلْب....وأمَّا الأصل الآخر: فالتعريد: ترك القصد.."(128).

الفرع الخامس: ما دل على السكون والبقاء ونعومة العيش.

ـــــــ خُوَيْلِد: تصغير خالِد. والخُلُود: البقاء. قال الشاعر:

ولكن لا سبيل إلى الخُلُود

وقد سَمَّتْ العرب خالدًا، ومَخْلَدًا، ويَخْلُد، وخُلَيْدًا"(129).

ـــــــ سُكَيْن: إمَّا من تصغير سَكَنٍ من قولهم: سَكَن في الموضع سُكُونًا، إذا نزل فيه. أو من قولهم: فلان سَكَنى، أي: الذي أسكن إليه. وزعم بعض أهل العلم أنَّ النَّار تُسَمَّى سَكَنًا (130) .

وفي المقاييس:" (سكن) السين والكاف والنون أصل واحد مطرد، يدل على خلاف الاضطراب والحركة.."(131).

ـــــ نُعَيْم: تصغير أَنْعَم أو تصغير نُعْم (132). وأصله من النِّعْمَة. وقد سمَّت العربُ النُّعمان، وهو فُعلان من هذا، وأنعَمَ، وهو أبو بطن من الأزد. والتَّنَاعُمُ لهم خِطَّةٌ من البصرة، وهم من العتِيك منسوبون إلى موضع بعُمان يُقال له: تَنْعُم. وعيش ناعم، وكذلك نبت ناعم: إذا كان رخصًا ليِّنًا. والنَّعيم: والنِّعمة: ما أنعم الله عز وجل على الإنسان في معيشته وبدنه. والنَّعماء من هذا اشتقاقها. والأنعام: اسم تُخَصُّ به الإبل، والنَّعَم أيضًا كذلك. قال الراجز:

أصحابُ شاءٍ وخَزُومٍ ونَعَمْ

ويُجمع النَّعَم: أنْعَامًا، والأناعيم: جمع الجمع. والنَّعَامة معروفة. والنّعامة: شجرة يتظَلَّل بها الربيئة الذي يقال له الدَّيدَبان. قال الهذلي:

وضَع النّعاماتِ الرجالُ بريْدِها   من بين مَخفوضٍ وبين مُظَلَّلِ

وفَسَّر قوم بيت عنترة:

ويكونُ مركبُكِ القَعودَ ورحلَه   وابنُ النَّعامة عند ذلك مِرْكَبِي

فقال قومٌ: بل ابن النَّعامة: الطريق. وقال قومٌ: ابنُ النعامة: باطن القدم. من قولهم: تَنَعَّمْتُ إلى فلان: إذا مَشَيت إليه حافيا. والنَّعامة: فرس الحارث بن عُبادٍ التي قال فيها:

قَرِّبَا مَرْبِطَ النَّعامةِ منِّي   وائلٌ أصبحتْ على بَلْبالِ

وأبو نعامة: قطَرِيُّ بن الفُجاءة، قال يوم قُتِل:

أنا أبو نَعامةَ الشيخُ الهِبَلّ   أنا الذي وُلِدْتُ في أُخرى الإبلْ (133).

الفرع السادس: ما دل على النزول والحلول.

ـــــ جُلَيّ(134): تصغير جلّ (135).والجَلّ والجُلُّ واحد (136).ويُقَال: جَلَّى القوم عن موضع كذا وكذا، وجَلا : إذا انتقلوا عنه. ويُقال: وَلِيَ فلانٌ الجالَّة والجَالية. وجُلُّ المتاع معروف. وكُلُّ منكشفٍ جَلا، وبه سُمِّيَ الصُّبْح جَلا، قال الشاعر:

* أنا ابنُ جلا وطَلَّاعُ الثَّنَايا*

أي: أنا ابن الظاهر المكشوف. وقال العجَّاج:

لاقَوا به الحجَّاجَ والإصحارا   به ابنُ أجْلَى وافقَ الإسْفَارَا

ولم يقل أحدٌ أجْلَى إلا العجَّاج. وقال آخر:

كالصُبْحِ جَلَّاهُ المُجَلِّي فانْجَلَى

وجلَوتُ السيفَ وغيره أجلُوه جِلاء، وجَلَوتُ العروسَ جَلْوًا. ويقال: أعطى العروسَ جِلْوَتها، أي: ما يعطيها إذا جُلِيَتْ عليه. ويُقال: هذه جليَّة الأمر، أي: ما وَضَحَ منه. والجِلَّة: البعر. ونُهِيَ عن أكل الجَلَّلة التي تأكل العَذِرَة. والجليل: الثُّمام: ضرب من الشَّجَر. والمَجلَّة: الصحيفة يُكتب فيها شيء من الحكمة. قال الشاعر:

مَجَلَّتُهمْ ذاتُ الإله ودينُهم   قويمٌ فما يرجُون غيرَ العواقبِ (137) .

وفي المقاييس:" (جلو): الجيم واللام والحرف المعتل أصل واحد، وقياس مطرد، وهو: انكشاف الشيء وبروزه. يقال: جَلَوتُ العروس جَلْوَة وجَلاء، وجَلَوْتُ السيف جَلاء، وقال الكسائي: السماء جَلْواء أي: مُصْحِية، ويُقال: تجلَّى الشيء: إذا انكشف، ورجل أَجْلَى: إذا ذهب شَعْر مقدِّم رأسه.." (138).

ـــــ حُلَيْل: تصغير حَلّ. وحَلّ: مصدر حَلّ الشيء يحِلُّه حَلًّا. ويُقال: حَلّ بالمكان يَحُلُّ حلولا. وحَلّ الدَّيْن يَحِلُّ مَحِلًّا. وأحلّ من إحرامه إحْلالا. والحِلَّة: القوم يجتمعون في مَحَلَّتهم، والجميع حِلال. قال الشاعر:

أحَيٌّ يبعثون العِيرِ تَجْرِرًا   أحبُّ إليك أم حيٌّ حِلالُ

وحَلِيل المرأة: زوجها الذي تُحَالُّه في منزله. والحلال: ضد الحرام، والحِلّ: ضد الحُرْم. والإحلال: نقيض الإحرام. وبعير أحلُّ، وهو داء يصيبه في عَجُزه. ومَحَلَّةُ القوم: حيث يَحُلُّون (139).

الحقل الثالث:المشترك اللفظي.

جاءت الأسماء المصغرة من هذا الحقل يجمعها اللفظ دون المعنى، إذ لم يجزم ابن دُريد على أصلها. والجدول التالي يوضح بيان أعدادها:

الفروع	عدد الأسماء	النسبة المئوية	أسماء الرجال	أسماء الإناث	وزن فُعَيل	وزن فُعَيعِيل
ما اشتمل على حقلين	**26**	%89.7	**25**	**1**	**26**	0
ما اشتمل على حقول عدة	**3**	%10.3	**3**	**0**	**3**	0
المجموع	**29**	%100	**28**	**1**	**29**	**0**

الفرع الأول: ما اشتمل على حقلين:

ـــــ أُبَيْر: تصغير وَبَر أو وبْر. إنَّ كلَّ اسم كان أوله واوًا فإذا صغَّرته ضممت الواو فصارت همزة(140). ولم يُبَيِّن المعنى، ولكنَّه في الجمهرة يقول:" الوَبَر: وَبَر البعير، والوَبْر: دُوَيْبَة أصغر من السِّنَّور طحلاء اللون لا ذَنَب لها تدجن في البيوت، ويُجمع على وَبْر وَوِبَار" (141).

ـــــ بُرَيْدَة: إمَّا تصغير بُرْدَة، وإمَّا تصغير بَرَدَة، والبَرَد معروف. والبَرَد من قولهم: ثور أبْرَد، إذا كان في طرف ذَنَبه بياض، والأنثى بَرْدَاء، ومنه اشتقاق الأبَيْرِد الشاعر، والبَرد: النوم..(142) ويوضّح المعنى في الجمهرة:" والبَرَدَة: التُّخَمَة ، أي : من داء البَرَدَة ....والبُرَد جمع: بُرْدَة، ضَرْب من الثياب فيه خطوط" (143).

ـــــــ جُدَيْد: تصغير جَدٍّ، فإمَّا من الجَدِّ أبي الأب، أو من الجَدّ: الحظّ . والجدّ: مصدر جَدَدْته جَدًّا: إذا قطعتــه .وجِــدَاد النَّخــل: صِــرَامها. والجديــدان: الليــل والنَّهــار، وهمــا الأجــدَّان. والجديــد: المقطوع(1 4 4).

ــــ جُعَيْد: تصغير جَعْد (1 4 5) . وقد وضّح معنـى اللفظـة في موضـع سـابق فقـال:" واشـتقاق(جَعْدَة) من أحد شيئين: إمَّا من الجَعْدَة: وهو ضَرْبٌ من النَّبْـت، أو واحـدة الجَعْـدَ: وهـي النَّعْجَـة، لغـة يمانيَّة. وأحسب أنَّهم كنَّوا الذئب أبا جعدة لهذا. ورجل جعدٌ مـن قـوم جِعَـاد: خـلاف السَّـبْط. وثـرَى جَعْد: إذا كان نَديًّا رَطْبًا، فإذا قبضْتَ عليه بيدك لم يَتَفتَّتْ" (1 4 6).

ــــــ حُذَيْفَة: تصغير حَذْفَة، واشتقاقه من هذا. والحَذَف: ضَرْب من شاء الحجاز صِغَار الجـروم. وفي الحديث:" تَخَلَّلكم الشَّياطينُ كَأنَّها بناتُ حَذَف"، أو يكون تصغير حَذَفَة من قولهم: حَذَفت لك حذْفَة مـن لحم، أي: حُذَّة، وأعطيته حَذْفَة من أديم، أي : بعض أطرافه، وكذلك الحُذَافة أيضًا، وهو اسم، وحذفتُ الأرنبَ بالعصا: إذا رميتها بها (1 4 7).

ويقول في موضع آخر:"و(حُذيفَة): تصغير حَذَفَة، وحَذَفَة: طائر شبيه بالإوز. وبنات حذف: غنم صـغار الجُرُوم تكون في الحجاز... ويُقال: حَذَفت الشيء، إذا قطعته، وما يسقط منه فهو الحُذَافة" (1 4 8).

ــــــ حُوَيّ: تصغير أَحْوَى(1 4 9)، وهو الأسود، أو تصغير حِوَاء، والحِوَاء: حِوَاء القوم، وهـو مُجْتَمَعهم، والحَوِيَّة: مركب من مراكب النساء، كِسَاءٌ ملفـوف يُطـرح علـى سَـنَام الـبعير تركبـه المـرأة. وحَوَايَا البطن معروفة، وهي بنات اللبَن، الواحدة حاوِيَاء وحَاوِيَة. قال الشاعر الأخنس:

أضربُهُم ولا أرى مُعاويَهْ   الجاحِظَ العينِ العظيمَ الحاويَه (1 5 0).

ــــــ خُبَيْب: تصغير خَبّ، والخَبّ إمَّا من المكر، وإمَّا من السَّـرَب الغـامض في الأرض. وكـذلك الخَبِيبَة، وخبائب اللحم: خُصَلُه اللاتي فيها العَصَب. والخَبَب: ضرب من سير الدَّواب (1 5 1).

ــــــ الرُّقَيْم: تصغير رَقْم أو تصغير أرْقَم، وهو ضَرْب من الحيَّات، فأمَّا الرَّقيم في التنزيل فهو الدَّوَاة. والله أعلم. والرَّقْمَة: ضَرْبٌ من النَّبْت. والرِّقِم: الدَّاهية. قال الشاعر:

أرسلها عليقة وما علِمْ   أنَّ العَليقات يُلاقِينَ الرَّقِمْ (1 5 2)

وفي الجمهـرة يوضِّـح معنـى (الـرَّقْم) فيقـول:" الـرَّقْم: رقْـم الثَّـوْب، وكـلُّ ثـوب وُشِّـي فهـو مرقوم"(1 5 3).

ــــــ رُوَيْم: تصغير رَوْم، مصدر رام يروم رَوْمًا، أو يكون تصغير رُوم (1 5 4).

ونجده في الجمهرة يوضِّح المعنى فيقول:" الرَّوْم: مصدر رُمْتُـه أَرُومـه رَوْمًـا: إذا طلبتـه، فأنـا رائـم، وهـو مَرُوم. والرُّوم: جيل معروف" (1 5 5).

ــــــ سُلَيْك : تصغير سِلْك، وكذلك (السُّلَكَة) وهـو ضـرْب مـن الطـير. يُقـال: سـلكْتُ الطريـقَ وأسْلَكْتُه بمعنى، وفي التنزيل: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ المدثر: ٤٢ ، قال الشاعر:

حتَّى إذا أسْلَكُوهم في قُتَائدةٍ   شَلًّا كما تَطْرُد الجَمَّالةُ الشُّرُدَا

والمسْلَك: الطريق. والسِّلْك: الخيط (156).ويقول في موضع آخر:" ومنهم: سِلْكَان بن سلامة، من خيار المسلمين. و(سِلْكَانٌ): جمع سُلَك. والسُّلَك: طائر، والأنثى: سُلَكَة. وسُلَيْك: تصغير سُلَك (157).

ـــــ سُهَيَّة(158): تصغير سَهْوَة. والسَّهْوَة: المُخْدَع، أو الرفّ يُرتفق به في البيت. أو يكون من قولهم: سَهوْتُ عن كذا وكذا، أي: غَفَلت عنه (159).

ـــــــــ الشُّلَيْل: إمَّا من تصغير أشَلّ،(160). وهي من اليد الشَّلَّاء، أو تصغير شَلَل، والشلّ والشَّلَل: الطرد شَلَّه يَشُلُّه شلًّا وشَلَلا: إذا طرده، وتفرَّق القوم شِلَالًا: أي فِرَقًا. والشَّليل: مِسْح يُطْرَح على عجز البعير تحت الرَّحْل. ورجل مشِلٌّ: خفيف سريع. والشَّلَل معروف، ما يُصِيب الثوب وغيره (161).

ـــــ عُبَيدة : تصغير عَبْدَة (162). ثم فسَّر ذلك في موضع سابق في الكتاب نفسه فقال:" واشتقاق العَبْد من الطريق المُعبَّد، وهو المُذلَّل الموطوء. وقولهم: بعير مُعَبَّد يكون في معنى مُذَلَّل، ويكون في معنى: مهنوء بالقَطِرَان. قال طَرَفَة:

*وأُفْرِدْتُ إفْرَاد البَعِير المُعَبَّد *

أي: الأجرب المنوء، يتحاماه الناس مخافة العَدْوَى. ورُبَّما كان المُعَبَّد في معنى المُكَرَّم. قال حاتم:

أرَى المالَ عند الباخِلِينَ مُعَبَّدَا

أي: مُعَظَّما.... ويمكن أنْ يكون اشتقاق عُبَيْدَة ومَعْبَد من العَبَد وهو الأنَفُ، من قول الله عز وجل:﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ الزخرف: ٨١، أي: الآنفين الجاحدين. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في كلامه:" عَبِدْتُ فَصَمَتُّ"، أي: أنِفْتُ فسكتّ.... والعَبَدَة: الصَّلاءة التي يُسحق عليها المسك وغيره من الطِّيب.." (163)

ـــــ العُدَيْل: تصغير عِدْل أو عَدْل، والعَدْل: ضدّ الجَوْر(164).وجاء في العين:" العِدْل: أحد حِمْلَي الجَمَل؛ وسُمِّي عِدْلا، لأنَّه يُسَوَّى بالآخر بالكيل والوزن"(165).

ـــــ عُرَيْب: تصغير عَرَب، أو تصغير عَرِيب، من قولهم: ما بالدار عَرِيب: أي ما بها أحد (166).

ـــــ عُقَيْل: من أحد شيئين: إمَّا تصغير عَقْل، أو تصغير أعْقَل. والعَقَل: دُنُوُّ الرُّكبتين، وهو دون الصَّكَك. رجل أعْقَل وامرأة عَقْلاء. وكُلّ شيء مَنَعك من شئ فهو عقْل، وبذلك سُمِّي العَقْل؛ لأنَّه يمنع عن الجهل. ومن ذلك عِقَال البعير؛ لأنَّه يمنعُه عن الشَّراد. ويقولون: عَقَل الوعِلُ: إذا امتنع في الجبل فصار حيث لا يُدْرك، وذلك الموضع مَعْقِل. ويقال:: عَقَلَ الدَّواء بطنه يعقِل: إذا حبسه، والدواء عَقُول. والعَقْل من الدِّية من هذا أُخِذ؛ لأنَّه يمنع عن القَتْل. يُقال: عَقَلتُ فلانًا: إذا أعطَيْتَ ديته. وعقلتُ عن

فلان: إذ أعطيتَ أَرْشَ جنايته. وعاقلة الرجل: الذين يعقلون عنه إذا جَنَى. والرجل يُعَاقلُ المرأة إلى ثُلث الدِّيَة. وخَبْرَاء بالدَّهناء يُقال لها مَعْقُلة؛ لأنَّها تَعقِل الماء، أي: تحبسه أن يفيض. كذا قال الأصمعي. ولفلان عُقْلةٌ يَصْرَع بها(167).

ــــــ عُلَيْم: تصغير أَعْلَم أو عَلَم . والعَلَم: أعلى موضع في الجبل. قالت الخنساء:

كَأنَّه عَلَمٌ في رأسه نارُ

أو يكون تصغير: أَعْلَم (168) .

وقد فسَّر معنى (أَعْلَم) في الجمهرة بقوله:" رجل أعلم وامرأة عَلْمَاء: الذي بشفته العُلْيَا شقّ، فربَّما كان مُنفصِلا، وربَّما كان أثرًا. وعَلامة الشيء الدَّالة عليه. وقد سمَّت العرب عُلَيْمًا ، وهو أبو بطن منهم" (169).

ــــــ عُمَيْر: تصغير عمرو، وعمرو مشتق من شيئين: إمَّا من العَمْر وهو العُمر بعينه، يُقال العَمْر والعُمُر بالفتح والضم، ومنه قولهم: لَعَمْرُك ، قسم بالعَمْر. والعَمْر: واحد عمور الأسنان، وهو اللحم المُطيف بأسناخها، أي: بأصولها. والسِّنْخ: الأصل (170).

ــــــ قُدَيٌّ: تصغير قِدًى، من قولهم: قِدَى رُمح أو قِدَى قوس، أي: قدرها، أو من قولهم: شَمِمْت قَدَى قدْرَك، أي: طيب رائحتها، وقَدَاة قِدْرِكم (171).

وجاء في اللسان:" وهو من قِدَى رُمْحٍ ــــ بكسر القاف ــــ ، أي: قدره، كأنَّه مقلوب من قِيد" (172)

ــــــ قُرَيْر: إمَّا من تصغير قَرّ، وهو الهودج (173)، وإمَّا من قولهم: قَرَّ بالمكان يَقِرُّ قَرارًا . والقُرَّة الضِّفدعة. والقُرَّة: ما تقرَّرْته من القِدْر إذا قَشَرته بيدِك فأكلته. والمَقَرُّ: الموضع الذي يُقَرُّ فيه. ويوم القَرِّ قبل يوم النَّفْر بمنى. والقُرُّ: البرد. وماءٌ قَرٌّ وليلة قَرَّة: إذا كانت باردة. وقَرَّ يومنا: إذا بَرَد. وزعموا أنَّ القُرَّة ضَرْبٌ من الطير(174).

ــــــ قُرَيْن: تصغير قَرْن أو قِرْن. ويُقال: عَرِقَ الفرسُ قَرْنًا أو قرنين، إذا عرق مَرَّة أو ثِنْتين. قال الشاعر:

*يُسَنُّ على سنابِكِهَا القُرُون *

والبعيران قرينان(175).

وقد فسَّرَ ذلك في الجمهرة فقال:" والقَرْن: قَرْن الثور وغيره، والجمع قُرُون، والقَرْن من النَّاس: الأُمَّة منهم، والجمع قُرُون أيضا، وفلان قَرْن فلان في الحرب" (176).

ــــــ قُلَيْب: من تصغير قَلْب الإنسان أو قَلْب النخلة، وكُلُّ شئ خالصٍ فهو قُلْب وقَلْب، من قولهم: فلان عربيٌّ قَلْب. وجمع قَلْب النَّخْلَة قِلَبَة وأقْلاب، وجمع قلب الإنسان وغيره قُلُوب . والقُلاب: أن تُغِدَّ الإبلُ في قلوبها فلا تلبث أن تموت. والقليب: الرَّكِيّ، والجمع قُلُب. والقالَب معروف، بفتح اللام. وقلبْتُ الشيء أَقلِبهُ قَلْبًا. والقِلِّيب: الذئب، لغة يمانيَّة، والقلوب أيضًا. ورُبَّمَا سُمِّيَ السِّوار من الفضَّة: قُلْبًا (177).

ــــــــ لُكَيْز: إمَّا من تصغير لَكَزْته لَكْزًا، إذا ضربته بيدك. وإمَّا مِـن قـولهم: مَشَـى فـلان حافِيًـا فلاكَـزَ الحجارة، كأنَّها تُلاكزه. وإلى ذلك يرجع (178).

ــــــــ الهُديْر: اشتقاقه من شيئين إمَّا من تصغير هَدْر من قـولهم: هَـدَر الفحـلُ يَهْـدِر هَـدْرًا وهَـدِيرًا، وكذلك الحمام الأهلي، وهَدَر النَّبيذ: إذا غلا في إنائه. أو من قولهم: قُتِل فلان فَهُدِر دمُه: إذا لم يُثْأر بـه، وأهدر السلطان دمه: إذا مَنَع عن طلبه (179).

وفي اللسان:" هَدَرَ البعيرُ يَهْدِر هَدْرًا وهَدِيرًا وهُدُورًا: صَوَّتَ في غير شقشـقة، وكـذلك الحمـام يهـدر... الجوهري: هَدَر البعير هَدِيرًا، أي: ردَّد صوته في حنجرته"(180).

ــــــــ هُرَيْم: هو تصغير هَرْم، وهو ضَرْب من النَّبْت، أو تصغير هَرَم، من هَرَم السنّ (181).

ــــــــ هُدَيٌّ: تصغير هُدًى، أو تصغير هَدْي مِنْ هَدْي الكعبة، أومن قـولهم: فـلان حسـنُ الهَـدْي، أي: حسن الطريقة . ويُقال: رميْت بِسَهم ثمَّ رميْتُ بآخر هُدَيَّاه: أي قصده. وكُلّ شيء تقدَّم فهـو هـادٍ، وبـه سُمِّيَت العنق هاديًا، والهَدْيُ: المرأة تُهدى غلى الرجل، أهديتها هَدْيًا فهو هَدِيٌّ، والهـدِيّ: الأسـير، قـال الشاعر:

كطُرَيفةَ بنِ العبدِ كان هديَّهم　　　ضَرَبُوا صميمَ قَذَا له بمُهنَّدِ

وفلانٌ حَسَن الهِداية، أي: دليل. قال الشاعر:

ولسْنَا وإنْ جارتْ صدورُ ركابنا　　　بأوَّلِ مِنْ غَرَّت هِدَايةُ عاصمِ

أراد: دِلالـة عاصـم. والمِهْـدَى: الإنـاء الـذي يُهـدَى فيـه، مقصـور. ورجـل مِهـدَاء، ممـدود: كـثير الهدايا(182).

الفرع الثاني: ما اشتمل على حقول عـدة.

ــــــــ صُدَيّ: تصغير صَدَى. واشتقاق الصَّدَى من أشياء: إمَّا الصَّدى الذي يسمعه الإنسانُ إذا صَوَّت في جبل أو واد. والصَّدَى: طائر معروف. وتزعم العربُ أنَّه إذا قُتِل رجـل خـرج مـن هامتـه طـائر يُسَـمَّى الصَّدى فيُنادي الليل كُلَّه: أسْقُوني أسْقوني حتى يُقْتل قاتله. وهذا باطل، ويُسَمُّونه أيضًا هامة. والصـدأ مـن صـدأ الحديـد مهمـوز مقصـور. وفـرس أصـدأ، إذا كـان بلـون صـدأ الحديـد. والأنثـى صدآء.(183). وفي المقاييس:" (صدى) الصاد والدال والحرف المعتل فيه كلم متباعدة القياس، لا يكاد يلتقي منها كلمتان في أصل. فالصدى: الـذكر مـن البـوم، والجمـع أصـداء ... والصـدى: الـدماغ نفسه، ويقال: بل هو الموضع الذي جعل فيه السمع من الدماغ، ولذلك يُقال : أصَمّ الله صداه. ويُقـال: بل هذا صَدَى الصَّوت...... وإذا كان بعد الدال همزة تغيَّر المعنى، فيكـون مـن الصَّـدأ صـدإ الحديـد" (184).

ــــــــ ضُرَيْس: تصغير ضِرَس. واشتقاقه من أشياء: إمَّا من قولهم: أصاب الأرض ضِرس من مطر، وهـو الشيء القليل، والجمع ضُرُس، وإمَّا من ضِرْس الإنسان وغيره، أو من الضَّرْس، وهـو مصـدر ضَرَسـته

ضَرسًا: إذا مضغته. وضَرَّسَتْه الحربُ تضْرِيسًا: إذا جرَّبَها. وناقة ضَرُوس: سيِّئة الخلق(185).
وفي المقاييس:" (ضرس) الضاد والراء والسين أصل صحيح يدل على قوة وخشونة"(186).
ــــــــ ابن لُؤَيّ:(187). واشتقاق لُؤَيّ من أشياء، إمَّا تصغير لِواء الجيش، وهو ممدود. أو تصغير لِوَى الرَّمل وهو مقصور، أو تصغير لأَى تقديره لَعًى، وهو الثَّور الوحشيّ وهو مقصور مهموز، واللَّوَى: اعوجاج في ظهر القوس. واللَّوَى: الوجع الذي يعتري في البطن، مقصور غير مهموز. وتقول: لَوَيْتُ الرجل دينه ألويه ليًّا: إذا مطلته . وفي الحديث:" لَيُّ الواجِدِ ظُلم" أي: مطله. قال الشاعر:

تُطِيلِينَ لَيَّانِي وأنتِ مَلِيَّةٌ   وأُحْسِنُ ياذاتَ الوِشَاحِ التقاضِيَا.

وتقول: لويْتُ الحبْل وغيره ألويه ليًّا. واللَّوِيّ: العشبُ إذا هاج واصفرّ ويَبِس. قال حُمَيدٌ الأرقط:

حتَّى إذا تجَلَّب اللَّوِيَّا   وطرد الهَيْفُ السَّفَا الصَّيفِيَّا

واللَّوِيَّة: تُحْفَة تذْخرها المرأة لزوجها أو ولدها. قال الراجز:

هل في دَجُوب الحُرَّة المَخِيط   لَوِيَّةٌ تَشْفِي من الأطِيط (188).

الحقل الرابع: الحيوان

وقد سمَّت العرب بأنواع من الحيوانات شملت المفترسة منها والأليفة، وكذلك من الحشرات، والطيور، وما يتصل بها من الأدواء وألفاظ السير، وترجع سبب تسميتهم بالسباع– كما ذكر ابن دريد- ترهيبا لأعدائهم، وقد يكون تفاؤلا بأول ما يلقاه عند خروجه(189)، يقول الجاحظ:" وكان الرجل إذا ولد له ذكر خرج يتعرَّض لزجر الطير والفأل، فإن سمع إنسانا يقول حجرًا، أو رأى حجرًا سمَّى به ابنه به وتفاءل فيه الشدة والصَّلابة، والبقاء والصَّبر، وأنَّه يُحطم ما لقى. وكذلك إنْ سمع إنسانا يقول: ذئبًا، تأول فيه الفطنة والخِبَّ والمكرَ والكسب. وإنْ كان حمارًا تأوَّل فيه طول العمر والوقاحة والقوَّة والجلد. وإنْ كان كلبًا تأوَّل فيه الحراسة واليقظة وبُعْد الصوت، والكسب وغير ذلك(190)،وقد جاءت ألفاظ هذا الحقل في فروع متعددة يوضحها الجدول الآتي

الفروع الدلالية	عدد الأسماء	النسبة المئوية	أسماء الذكور	أسماء الإناث	ما جاء على فُعَيل	ما جاء على فُعَيعِيل
ألفاظ الحيوانات الأليفة،وما يتصل بها	6	٪40	6	0	6	0
ألفاظ السِّباع	4	٪26.7	4	0	4	0
ألفاظ	3	٪20	3	0	3	0

الحشرات						
ألفـــــاظ الأمراض	2	٪13.3	2	0	2	0
المجموع	15	٪100	15	0	15	0

الفرع الأول: ألفاظ الحيوانات الأليفة، ومايتصل بها .

ـــــــ بُوَيّ(191).: تصغير بَوٍّ. والبَوّ: أن يُسْلَخ جلدُ الفصيل ويُحْشَى تِبْنًا ويُقَـدَّم إلى أُمِّـه لتَرْأَمَـه وتُدِرَّ عليه(192).

وجاء في اللسان:" البَوّ غير مهموز: الحوار، وقيل جلده يُحْشَى تبْنًـا أو ثُمَامًـا أو حشيشـا؛ لتعطِـف عليـه الناقة إذا مات ولدها، ثُمَّ يُقَرَّب إلى أم الفصيل؛ لِترأمه فتدرَّ عليه، والبَوّ أيضًا ولد النَّاقة"(193).

ـــــــ الحُمَيِّـر: تصـغير حمـار(194). وفي الجمهـرة:" والحمـار مـن هـذا اشـتقاقه ؛ لِهُجْنَتـه وثِقَله"(195).

ـــــ زُنَيْم: تصغير أزْنَم(196).، من قولهم: تيس أزنم: له زنمتـان. وبنـو أزنم: بطـن مـن بـني تمـيم (197).

ويقول في الجمهرة :" والزَّنمة: زَنَمة الجدي والعنز، وهما المعلَّقتان تحت حنكه تنوسان. ورجـل زنـيم: ذو علامة سَوء يُعرف بها. والزَّنيم: الملصق بالقوم وليس معهم ولا منهم"(198).

ـــــ ضُبَيْعَة: تصغير ضَبْع. والضَّبْع : ضربٌ من سير الإبل. ضَبَعَ البعيرُ يَضْبَع ضَـبْعَة شـديدة: إذا عـدا. وأضْبَعَه صاحبُه . وضَبْعَا الرجل : مَنكِباه، أخذ بِضَـبْعَيه: إذا أخـذ بمنكبيـه . ويقـال: أصـابنا مطـرٌ جـارُّ الضَّبع: إذا كان شديدًا . والضَّبُعُ: السنة المُجدبة، قال الشاعر:

أبا خُرَاشَةَ إمَّا كُنتَ ذا نفرٍ   فإنَّ قومِي لم تأكُلْهُم الضَّبُعُ

والضِّبْعان: ذكر الضَّبُع. ويُجمع ضِبَاعٌ على غير القياس، ولا يُقال: ضَبَاعِين (199).

ويقول الأصمعي:" والضَّبَعَة: إرادة الناقةُ الفحلَ، يُقال: ضَبِعَتْ تَضْبَعُ ضَبَعَةً شديدة، فإذا هوت بخُفِّها إلى عَضُدِها في السَّير، قيل: ضَبَعَتْ تَضْبَعُ ضَبْعًا"(200).

وفي المقاييس:" (ضبع) الضاد والباء والعين أصل صحيح يـدل علـى معـان ثلاثـة، أحـدها: جنس مـن الحيوان، والآخر عضو من أعضاء الإنسان، والثالث: صفة من صفات النوق"(201).

ـــــــ عُمَيْلَة: تصغير عَمِلَة، والعَمِلَة: الناقـة القويَّـة علـى التعـب، وهـي اليَعْمَلَـة، والجمـع يَعْمَـلات ويَعَامِل. ويقال: طريقٌ مُعْمَل، أي: موطُوء. وعامل الـرُّمح: مـادُون مركـب السـنان بـذراعٍ إلى أسـفل، والجمع :عوامل. قال الشاعر:

وأطْعُنُ النَّجْلاءَ تَعْوِي وتَهِرّ   لها من الجوف رَشَاشٌ مَنهمِرْ

وتَعلبُ العامل فيها مُنْكَسِرْ

والثعلب: ما دخل في جُبَّة السِّنان من الرُّمح. وعاملة: بطن من اليمن. وعَمْلَى: موضع معروف(202)

ـــــ هُرَيْرَة: تصغير هِرَّة، وهي السنَّور. والهَرُّ: هرُّ الكلب، هرَّ يهرّ هرًّا وهَريرًا. وهَررتُ الشيء أهِرُّه هرًّا: إذا كرهته. وقولهم:" لا يعرف الهِرَّ من البِرِّ"، زعموا أنَّ البِرَّ الفارة، والهرّ: السنَّور. والهُرهُور:الماء الكثير. والهَرَّاران: نجمان يطلُعان في صَبَارَّة الشِّتَاء، وهما قَلْبُ العقرب والنَّسر الواقع. والهُرهور: ما تساقط من الكَرْم من ردئ العنب، لغة يمانيَّة (203).

وفي المقاييس: " والهِرَّة: السِّنَّورة؛ وكأنَّها سُمِّيت لصوتها إذا هرَّت" (204).

الفرع الثاني: ألفاظ السّباع .

ـــــ أُسَيْد: تصغير أَسَد(205)، فإنْ ثَقَّلْتَ كان تصغير أَسْود في لغة بني تميم (206).

ـــــ ذُؤَيب: تصغير ذِئْب (207) . ويقول في الجمهرة: " الذئب: معروف مهموز وغير مهموز، والجمع: أَذْؤُب وذِئاب وذُؤْبَان"(208).

ـــــ شُبَيْل: تصغير: شِبْل، أَشْبَلَت اللبؤة، إذا كان لها أشبال، وأَشْبَلَت المرأةُ، إذا عَطَفت على ولدها أيضًا(209). وفي المقاييس:"(شِبْل) الشين والباء واللام أصل صحيح يدل على عطف وودّ، يُقال لكلِّ عاطف على شيء وادّ له: مُشْبِل، ومنه اشتقاق من الشِّبْل وهو ولد الأسد لعطف أبويه عليه، ويقال: لبُؤة مُشْبِل: إذا كان معها أولادها" (210)

ـــــ مُعَيْط: تصغير أَمْعَط(211)، واشتقاقه من الذئب إذا تَمَعَّطَ شَعره عن جلده، فالذِّئب أَمْعَط والأنثى مَعْطَاء، وتَمَعَّطَ جِلْد السَّنام: إذا تشقَّق من الشَّحم(212).

الفرع الثالث: ألفاظ الحشرات

ـــــ جُعَيْل: تصغير جُعَل ، وهو الذي يُقال فيه:(أي: كعب بن جُعيل)

سُمِّيَتْ كعبًا بشرِّ العظامِ وكان أبوك يُسمَّى الجُعَلْ

وإنَّ مَحـــلَّكَ من وائلٍ مَحَلُّ القُرَادِ من استِ الجَمَل(213)

وفي الجمهرة يوضِّح المعنى بقوله:" الجُعَل: دُوَيْبَة معروفة، وأرض مُجعلة كثيرة الجُعْلان" (214)

ـــــ دُوَيْد: تصغير دُود(215). وفي الصحاح :" الدُّود: جمع دُودَة، وجمع الدُود: دِيدَان، والتصغير:

دُوَيْد، وقياسه: دُوَيْدَة"(216).

ـــــ لُجَيْم: تصغير لُجْم، وهو دُوَيْبَة تحتفر في الأرض(217).

وفي التهذيب: " واللُّجَم: دابَّة أصغر من العَظَاية، وأنشد لعدي بن زيد:

له سَبَّةٌ مثلُ جُحْرِ اللُّجَمْ" (218).

الفرع الرابع: ألفاظ الأمراض

ــــــ صُعَيْر: تصغير أَصْـعَر(2 1 9)، والصَّـعَر: داء يُصـيب الإبـل فيلـوي أعناقهـا، وهوالصَّـعَر؛ فلذلك سُمِّيَ الرجل المُتكبِّر أَصْعَر(2 2 0)

ــــــ عُرَيْنَة: تصغير عَـرَن. والعَرَن: حِكَّة تُصيب الخيل والإبل في قوائمها. قال الراجز:

يحكُّ ذِفْرَاه لأصحاب الضَّغَن تحكُّكَ الأجربِ يأذى بالعـرَن(2 2 1).

الحقل الخامس: الألوان

وردت أسماء مصغرة منقولة عن الألوان، وجاءت في فـروع دلاليـة، كـان للألـوان المختلطـة النصـيب الأكبر منها، والجدول الآتي تفصيل ذلك.

الفروع الدلالية	عدد الأسماء	النسبة المئوية	أسماء الذكور	أسماء الإناث	ما جاء على فُعَيل	ما جاء على فُعَيعِيل
ألفاظ دالة على ألوان مختلطة	5	45.4٪	5	0	4	1
ألفاظ دالة على اللون الأسود	4	36.4٪	4	0	3	1
ألفاظ دالة على اللون الأبيض	2	18.2٪	2	0	1	1
المجموع	11	100٪	11	0	8	3

الفرع الأول: ألفاظ ألوان مختلطة

ــــــ أُبَيْرِق: تصغير أَبْرَق. وكل حبل اجتمع فيه لونان فهو أَبْرَق، وكذلك من الدواب. والأبرق: علـوٌّ من الأرض فيه حجارة وطين. وكذلك البُرْقَة والبَرْقَاء. ويُقال: بَرِقَ الرجل يَبْرَق بَرَقًا: إذا شخص بعينه. ... وبَرَق الشيء يَبْرُق بَرْقًا. ومنه اشتقاق البرق: إذا تلألأ. وبارق: قبيلة مـن العَـرَب. وبـارِق: موضـع. والبَرَق فارسيٌّ معرّب، وهو الحَمَل. وقد سمَّوا بُرْقَان، وهو جمـع أَبْـرَق. ويُجمـع أبـرق براقًـا وأَبَـارِق. والإبريق فارسيٌّ معرَّب. فأمَّا قولهم: سيف إبريق، فهو إِفْعِيل من البَرْق، وهو عربيٌّ صحيح. والتَّبْرِيـق: تهدُّد الإنسان ولا شيء عنده. ويُقال: بَرَق لي ورَعَد: إذا تهدَّد. وأجاز البغداديون: أَبْرَق وأَرْعَدَ في هـذا المعنى، ودَفَعَه الأصمعيّ. قال أبو حاتم: قلتُ للأصمعيّ: أتقول إنَّك لتُبْرِق لي وتَرعُد. ثم أنشدني:

إذا جاوزَتْ من ذاتِ عِرقٍ ثَنِيَّة فَقُلْ لأبي قابُوسَ ماشئت فارعُـدِ

ثمَّ قال لي: هذا كلامُ العرب. فقلتُ له: قد قال الكُمَيْت:

أَبْرِقْ وأَرْعِدْ يا يزيـــ ــدُ فما وعيدُك لي بضائِرْ

فقال الأصمعي: الكُمَيْت جُرْمُقَانيٌّ من أهل الشام. ولم يَلتفِت إلى ذلك. ويُقال: بَرَقت السماء ورَعَدت: إذا جاءت بالبَرْق والرَّعد. وأبْرَقْنا وأَرْعدْنا: إذا رأينا البرقَ وسمعنا الرَّعد. والبارقة: السُّوف. يقال: كثُرت البارقةُ في هذا الجيش[222].

وفي المقاييس:" (برق) الباء والراء والقاف أصلان تتفرع الفروع منهما: أحدهما : لمعان الشيء، والآخر اجتماع السواد والبياض في الشيء. وما بعد ذلك فكله مجاز ومحمول على هذين الأصلين"[223].

ـــــ أُرَيْق [224]: تصغير أَوْرق، وهو لون من ألوان الإبل [225] . ووضح معنى اللون في الجمهرة بقوله:" والوُرْقَة: غُبْرة تضرب إلى سواد، جمل أَوْرَق وحمامة وَرْقَاء، والجمع وُرْق. وقد قالوا: ليل أَوْرَق يريدون سواده. وليلة وَرْقَاء: سواده أيضًا"[226].

ـــــ أُكَيْدِر: تصغير أَكْدَر. وأكْدَر من الكُدْرَة، وهي غُبْرةَ فيها سواد [227].

ـــــ صُهَيْب: تصغير أصهب. والصُّهْبَة من ألوان الإبل: بياض يعلوه شبيه بالصُّفرة؛ وبذلك سُمِّيت الخمرُ صهبَاء [228].

ـــــ قُشَيْر: من شيئين: إمَّا تصغير أَقْشَر، وهو الشديد الشُّقْرة حتى ينقشر وجهه، أو تصغير قِشْر. ومَثَلٌ من أمثالهم:" أَشْأَمُ مِنْ قَاشِرٍ" وهو فحل من الإبل أُرسِل في إبِل فماتت، فضرب به المثل [229]. ولم يبين معنى (القِشْر) ومعناه كما في الصحاح:" القِشْرُ واحد القُشُور، والقِشْرَة أخص منه، وقد قَشَرْتُ العود وغيره أَقْشُره وأَقْشِره قَشْرًا: نزعتُ عنه قِشْرَه. وقَشَّرْته تقْشِيرًا.." [230].

الفرع الثاني: ألفاظ تدل على اللون الأسود

ـــــ أُسَيِّد: تصغير أسود في لغة بني تميم، وسائر العرب يقول: أُسَيْوِد، فإذا نسبوا إليه قالوا: أُسَيْدِيّ، كرهوا كثرة الكسرات، واستثقلوا أن يقولوا: أُسَيِّدِيّ [231].

ـــــ جُوَيْن: تصغير جَوْن. والجَوْن: الأسود، وربَّما سُمِّي الأبيض جَوْنًا [232].

ـــــ دُلَيْم: تصغير أَدْلَم. والأَدْلَم: الأسود . ليل أَدْلَمُ وليلة دَلْمَاء. والدُّلْمَة: السَّواد [233].

ـــــ سُحَيْم: تصغير أَسْحَم، وهو الأسود. والسَّحَم: ضَرْب من الشَّجَر، وقد سَمَّت العرب أَسْحَم وسُحَيْما، وهو أبو بطن منهم. ورجل أُسْحُمانيّ، إذا جمع الأُدْمَة والطُّول. وقالوا: شَعَر سُحَام: إذا اشتدّ سواده، فإذا قالوا سُحَام فإنَّما يُعْنُون ليِّن المسّ"[234].

الفرع الثالث: ألفاظ تدل على اللون الأبيض.

ـــــ الأُبَيْرِد: تصغير أَبْرَد. والأَبْرَد من الثِّيرَان: الذي في طَرَف ذَنَبه بياض. وقد سمَّتْ العربُ أَبْرَد، وبُرَيْدًا. والبَرْد معروف. والبريد: عربيٌّ معروفٌ قديم. قال الشَّاعر:

* بَرِيدُ السُّرَى باللَّيْلِ من خيل بَربَرا*

والبَرْدَان: طَرَفا النَّهار. والأبردان: ظل الغداة والعشيّ. والبَرْديُّ: نبت"[235] .

ويقول ابن جني:" الأبْرَد في الكلام على ثلاثة أضرب: يُقال: سحاب بَرِد وأَبْرَد: إذا كان فيه البَرَد... والثَّور الأبْرَد: الذي فيه لمع سواد وبياض، لغة يمانيَّة، والأبْرد: أحد بَرَدَيّ النَّهار: أي،: طرفَيْه ... فالأُبَيْرِد: إذًا تحقير أحد الأبردَيْن الأوَّلَيْن"(236).

ـــــ نُبَيْط: تصغير أنْبَط، والاسم النَّبَط، وهو الفَرَس الذي ابْيَضَّ بطنه وما سفل منه، وأعلاه من أيِّ لون كان. والنَّبَط: نَبَط البئر، وهو أوَّل ما يُستخرج من مائها. قال الشاعر:

قريبٌ ثَرَاه لا ينال عدوُّه له نَبَطًا، عند الهوانِ قَطُوبُ

واستنبط فلان بئرًا وأنْبَطَها: إذا حفرها. واستنبطْتُ هذا الأمر: إذا فَكَّرْتَ فيه فأظْهَرتَه (237).

الحقل الخامس : الطبيعة الجغرافية

وقد اشتقت العرب أسماء من الطبيعة الجغرافية المحيطة بهم؛ لما لها من تأثير في حياتهم، ووردت الأسماء المصغرة من هذا الحقل في فرعين يوضحهما الجدول الآتي.

الفروع الدلالية	عدد الأسماء	النسبة المئوية	أسماء الذكور	أسماء الإناث	ماجاء على فُعَيل	ماجاء على فُعَيعِيل
ألفاظ الكائنات الأرضية	9	81.2٪	7	2	9	0
ألفاظ الكائنات السماوية	2	18.2٪	1	1	2	0
المجموع	11	100٪	8	3	11	0

الفرع الثاني: الكائنات الأرضية

ـــــ أُكَيْمَة: تصغير أَكْمَة (238) . ويوضِّح المعنى في الجمهرة بقوله:" والأَكَمَة: معروفة، والجمع آكام وإكام: وهو ما علا من الأرض على ما حوله" (239)

ـــــ بُثَيْنَة: تصغير بَثْنَة . والبَثْنَة: الأرض السَّهلة اللَّيِّنة. وفي حديث خالد بن الوليد:" إنَّ عمرَ بن الخطَّاب ولَّاني الشام وهو له مُهِمٌّ، فلمَّا ألقَى الشَّامُ بَوَانِيَة وصار بَثْنِيّة وعسلا عَزَلَني". قال: بَثَنِيَّة: موضع بالشام، وإنَّما يعني البُرّ هاهنا.(240).

ـــــ الثُّرَيَّا: تصغير ثَرْيا(241)، من قولهم: أرض ثرياء: كثيرة الثَّرَى (242).وجاء في المقاييس:" (ثَرْوَى) الثاء والراء والحرف المعتل أصل واحد، وهو الكثرة، وخلاف اليُبْس.قال الأصمعي:

ثَرَا القومُ يَثْرُون: إذا كثروا ونمَوا. وأَثْرَى القوم : إذا كثُرَتْ أموالهم...والمرأة ثَرْوَى،ثم تُصَغَّر ثُرَيَّا" (243).

ـــــ جُرَيج: وهو تصغير جَرْج، وهي الأرض التي تركبها حجارة (244).

ـــــ جُلَيْس: تصغير جَلْس، وهو الغلظ من الأرض(245)

ـــــ جُنَيْد: تصغير جَنَد، وهي الأرض الغليظة (246)

ـــــ جُوَيَّة: تصغير جِوَاء(247). والجِواء: موضع واسع غليظ من الأرض، والجِوَاء: موضع معروف، وقال قوم: تصغير جَوَّة، والجَوَّة والجِوَاء واحد (248). وجاء في الجمهرة:" الجِواء: البطن من الأرض... والجُوَّة: قطعة من الأرض تغلظ، وقد تُهمز."(249)

ـــــ ظُرَيْب: تصغير ظَرِب، وهو غِلَظ من الأرض لا يبلغ أن يكون جَبَلا، والجمع ظِرَاب. وأظراب اللجام: الحديد المدوَّر الذي في أطرافه. قال الشاعر:

بادٍ نواجِذهُ على الأظرابِ.(250)

ـــــ عُفَيْر: تصغير عَفَر، وهو وجه الأرض. ومنه قيل: ظَبْي أَعْفَر . شُبِّهت عُفْرَته بلون الأرض. ومن ذلك قولهم عَفَّرْتُ الرجلَ بالأرض: إذا صرعته على عَفَر الأرض. والعَفَار: ضَرْبٌ من الشَّجَر تُقتَدح منه النَّار. والمعافر: بطن تنتسب إليهم الثِّياب المعافريَّة. ورجل عِفْر: غليظ جَلْد. والمعافر: موضع.(251).

الفرع الأول: الكائنات العلوية

ـــــ قُمَيْر: تصغير قَمَر. قال الشاعر:

وقُمَيْرٌ بدا ابنَ خمس وعشريـ ـنَ له قالت الفتاتان قُوما (252)

ووضّح المعنى في الجمهرة بقوله:"القَمَر: معروف، وهو مشتق من القُمْرة وهو بيَاض فيه كُدْرة كبياض بطن الحمار الأَقْمَر" (253).

ـــــ مُزَيْنَة: تصغير مُزْنَة. والمزنة: السَّحابة البيضاء أكثر ما تُنسب، والجمع مُزْن (254)

وفي المقاييس:" (مزن) الميم والزاء والنون أصل صحيح فيه ثلاث كلمات متباينة القياس:

فالأولى: المُزْن: السَّحاب، والقطعة مُزنَة .....

والثانية: المازن: بيض النَّمل.

والثالثة: مَزَن قِرْبَته: ملأها. وهو يتمزَّن على أصحابه، أي: يفضَّل عليهم، كأنَّه يتشبَه بالمزن سَخاءً. ولعلَّ المُزْن هو الأصل في الباب، وما سواه ففرع عنه" (255).

الحقل السابع : الأدوات والألبسة والحلي.

اشتقت العرب أسماء من الأدوات التي يستعملونها في حياتهم اليومية، ولها أهمية ورمزية لديهم. وجاءت موزعة في فروع دلالية يوضح تفصيلها الجدول الآتي:

الفروع الدلالية	عدد الأسماء	النسبة المئوية	أسماء الذكور	أسماء الإناث	ما جاء على فُعَيل	ما جاء على فُعَيعيل
أدوات الزراعة والرعي	3	%37.5	3	0	3	0
أدوات الحرب	2	%25	2	0	2	0
آلات النقل	1	%12.5	1	0	1	0
اللباس الخاص بالدابة	1	%12.5	1	0	1	0
ألفاظ الحلي والزينة	1	%12.5	0	1	1	0
المجموع	8	%100	7	1	8	0

الفرع الأول: أدوات الزراعة والرعي

ـــــــــ جُرَيْبَة: تصغير جِرْبَة. والجِرْبَة: القَرَاح الذي يُزْرَع فيه (256).وفي المقاييس:" (جرب) الجيم والراء والباء أصلان: أحدهما الشيء البسيط يعلوه كالنبات من جنسه، والآخر: شيء يحوي شيئا " (257).

ـــــــــ عُصَيَّة: تصغير عصا (258) . وفي المقاييس:"(عصوى) العين والصاد والحرف المعتل أصلان صحيحان، إلا أنهما متباينان يدل أحدهما على التجمع، ويدل الآخر على الفرقة. فالأول: العصا، سميت بذلك لاشتمال يد ممسكها عليها، ثم قيس ذلك فقيل للجماعة عصا. يقال : العصا: جماعة الإسلام، فمن خالفهم فقد شق عصا المسلمين.. " (259)

ـــــ كُرَيْز: تصغير كُرْز، وهو من قولهم: كَرَزْتُ الشيء: إذا جعلته في الكُرْز. ومِكْرَز مِفْعَلٌ من ذلك. والكَرَّاز: الكبش الذي يحمل عليه الراعي كُرْزَه ومتاعه. وكَارَز فلانٌ إلى الموضع: إذا بادر إليه. وكَرَزَ في الموضع: إذا تقبَّض فيه، ومنه قول الشاعر يصف صائدًا:

❋ فهو كارزٌ ❋

فأمَّا الكُرَّز من الطَّير فأعجمِيٌ مُعَرَّب، وقد تكلّموا به . قال الراجز:

❋ كالكرّزِ المشْدُودِ بين الأوتاذ. ❋(260)

ويقول ابن دريد في الاشتقاق أيضًا: "واشتقاقه من الكُرْز وهو الخُرْج الصَّغير. وتصغيره كُرَيْـز، وبـه سُمِّي الرجلُ كُرَيْزًا" (261).

الفرع الثاني : أدوات الحرب

ـــــ قُتَيْرَة: تصغير قِتْرَة. وابن قِتْرَة: ضَرْبٌ من الحيَّات. وقَتِير الـدِّرْع: مسـاميرها. وقَـتِير الشَّـيْب: أوَّل ما يبدو. قال الراجز:

* مِن بعدِ ما لاحَ بك القتير*

وقُتار النَّار معروف وهو: الدُّخان. والقَتَرَة: الغَبَرة، وهـو القَتَـر(262) . ويبـيِّن في الجمهـرة معنى اللفظة بقوله:" القِتْر: نصل عريض صغير من نصال السِّهام"(263)

ـــــ قُطَيْبَة: تصغير قُطْبَة: وهو النَّصْل الصغير الذي يُرْمَى به في الأهداف (264).

الفرع الثالث: آلات التنقل

ـــــــ حُدَيْج: تصغير حِدْج، وهو مركبٌ مِن مراكب النِّسـاء. وأمّـا محـدُوج فمفعـول مـن قـولهم: حَدَجْتُ البعيرَ: إذا جعلتَ على ظهره الحِدْج. وقد سمَّوا حَدَّاجًا أيضا (265).

الفرع الرابع: ألفاظ اللباس الخاص بالدابة.

ـــــ حُلَيْس: تصغير حِلْس، وهو كساء يُطرح في ظهر الدَّابة تحت الإكاف. ويقـال: احْـتَلَس النَّبْـت: إذا تمَّ واخضَرَّ. ويقال: بنو فلان أحـلاس الخيـل، أي: لاتفـارق ظهورهـا. والحُلْسـة: لـون في الحمـير خاصَّة، لون سواد يغشاها سائر ألوانها. والحَلَسُ: مصدر حَلِس يَحْلَـس حَلَسًـا: وهـو الحـرص علـى الشيء(266).

وجاء في المقاييس:" (حلس) الحاء واللام والسين أصل واحـد: وهـو الشـيء يلـزم الشـيء. فـالحِلْس حِلْس البعير: وهو ما يكون تحت البَرْذَعَة.."(267).

الفرع الخامس: ألفاظ الحلي والزينة.

ـــــ عُمَيْرَة: تصغير عَمْرَة، والعَمْرَة خرزة أو لؤلـؤة يُفصَّـل بهـا نظـم الـذهب، وبـه سُـمِّيَت المـرأة عمرة(268).

الحقل الثامن : النبات.

جاءت الأسماء المصغرة المنقولة من النبات قليلة جدا، وهي أقل الأسماء بين الحقـول ، والـرابط بينهـا أنها من لفظ النبات، والجدول الآتي يوضح تفصيلها:

الحقل الدلالي	عـــــدد الأسماء	أسماء الذكور	أسمـــاء الإناث	ما جاء علـى فُعَيل	ما جاء على فُعَيعِيل
ألفاظ دالـة علـى النبات	**4**	**4**	**0**	**4**	**0**

ـــــــ أُدَيَّة: تصغير وَدِيَّة. والوَدِيَّة: الفسيلة، والجمع ودِيّ . وَدَى الحمار: إذا قَطَّر ولم يُنْعِظْ . قال الشاعر:.

ترى ابنَ أُبَيْرٍ خَلْفَ قيسٍ كَأَنَّهُ حِمارٌ وَدَى خَلْف استِ آخَرَ قائِمِ

ووَدَيْتُ الرجل أَدِيهِ: إذا أعطيته دِيَتَه. وأودَى الشيء يُودِي إداءً: إذا تلف (2 6 9)

ـــــــ حُمَيْضَة: وهو تصغير حَمْضَة. والحمض: ضرُوب من النَّبْت يجمعها الحَمْض، منه: الرَّمرام، والجَثْجاث: وهو الذي يتَّخذ القلي منه. والخِذْرَاف: الثَّرْمد. والحُرْض: الأشنان. والقُلَّام: ثمر القاقُلَّى. ومنه الرِّجْلَة، ومنه بَقْلَة الحمقاء في بعض اللغات، وما أشبه ذلك. وإذا رعت الإبلُ هذه الأشجار فهي حوامض، وأهلها مُحْمَضُون. ومثل للعرب:" أنتَ مختلٌّ فتحمَّضْ": إذا كان متعرِّضًا للشرّ (2 7 0).

ـــــــ خُزَيْمَة: تصغير خَزَمَة. واشتقاق خُزَيْمَة من الخَزَم، والخَزَم: شجر له لِحاء يُفْتَل منه حبال، الواحدة: خَزَمَة... والخِزَامَة: عُود يُدخل في وَتَرة أنف البعير، فإذا نفذَ الأنفَ فهو العِران، فإذا كان في أحد الشَّقَّيْن من حديد أو صُفْر فهو بُرة، ولا يكون إلا في الشِّقِّ الأيسر. وكلّ الطَّيْر مُخَرَّمَة؛ لأنَّ آنافها ينفذ بعضها إلى بعض.. (2 7 1).

ـــــــ قُرَيْظَة: تصغير قَرَظَة. والقَرَظ: ضَرْبٌ من الشَّجر يُدْبَغ به. أديم مقْرُوظ . قال الشاعر:

*على ذاك مقروظ من الجلد ماعز *

وتصغير قَرَظَة: قُرَيْظَة، وبه سُمِّي أبو هذا البطن من يهود. والقارظان اللذان يُضرب يهما المثل أحدهما: يَقدُم بن عَنَزة، والآخر: رُهْم بن عامر بن عَنَزة.(2 7 2) .

الخاتمة

فقد ظهر لي من بعد الدراسة والبحث بعض النتائج الآتية:

ـــــــ مفهوم اشتقاق الأسماء عند ابن دريد يقصد به الاشتقاق اللغوي، وهو: الأخذ مُطلقًا، سواء كان من مادة ذات أصل اشتقاقي، أومن الجوامد. فقد اشتق من أعضاء الإنسان والحيوان والنبات.

ـــــــ عدد الأعلام التي صرح بتصغيرها بلغ مجموعها(139) اسما، وهذه الأعلام تشمل أسماء أشخاص وقبائل، توزَّعت على ثمانية حقول دلالية،أكبرها حقل الإنسان بـ (31)اسما، وبلغت نسبته المئوية (22.3٪) من مجموع الأسماء المصغرة في البحث. وأقلها عددا حقل النبات إذ بلغ(4) أسماء فقط، بنسبة (2.9٪). ويبدو أنَّ البيئة الصحراوية لها أثر في ذلك، إذ الاخضرار قليل فيها. وجميع الأسماء الواردة من هذا الحقل للرجال، ومختومة بتاء التأنيث.

ـــــــ مجيء أغلب الأسماء المصغرة على وزن(فُعَيْل)، إذ بلغ مجموعها (131) اسمًا، ولم يأتِ على وزن (فُعَيعِل)غير(8) أسماء . ولم يرد اسما مُصَغّرا على وزن الخُماسي (2 7 3). وهذا يوافق ما ذكره الصرفيون بأنَّ الثلاثي أكثر استعمالا.

ــــــجميع الأسماء المصغرة ـــ التي صرَّح بتصغيرهاـــ جاءت على الأوزان القياسية المعروفة ، ولكنه ذكر وزنا مخالفا لما أُصْطُلِح عليه في التصغير وهو(شِيَيْم) بالكسر، وكنت أظنّ أنَّه تصحيف في ضبط الكلمة، لولا أنني وجدتُ صاحب القاموس يذكر ذلك في قوله :" وشُيَيْم، ويُكسر" (274).

ــــــ أضافت صيغة التصغير لدلالة الاسم معنى التدليل والتمليح والشفقة، وذلك في كل الأسماء المصغرة التي ذُكِرَتْ.

ــــــ مجيء التصغير في بعض الأسماء يدل على كبر الشيء في المُسَمَّى ـــ وهو خلاف دلالة التصغير ـــ نحو: شُرَيْف يقال للرجل العظيم الأذنين (275)، خُثَيْم: تصغير أَخْثِم وهو العريض الأنف (276). وقد يكون المراد منه التفاؤل بأن يصغر ذلك العضو للحجم الطبيعي له.

ــــــ يهتم أحيانا بشرح ما حصل للكلمة من تغيير إذا صُغِّرتْ، فمثلا يقول:" أُبَيْر: تصغير وَبَر أو وبْر. إنَّ كل اسم كان أوَّله واوًا فإذا صغَّرْته ضممت الواو فصارت همزة" .

ــــــ يكتفي في بعض المواطن بذكر الاسم المكبَّر، دون أن يردفه بشرح لمعنى اللفظة؛ لكونه معلومًا للقارئ، نحو قوله : أُذَيْنة: تصغير أُذُن. عُيَيْنة: تصغير عين. حُمَيِّر: تصغير حمار. ولكن يلاحظ بأنه لا يبيِّن معنى الكلمة في مواضع تحتاج إلى الشرح، من نحو قوله :فُقَيْم: تصغير أَفْقَم. وقوله : أُكَيْمَة: تصغير أَكْمَة.

ــــــ في بعض المواضع يكرر الحديث عن معنى اللفظة، ومن هذه الألفاظ المكررة: أُذينة، أُحَيْحة، هُنَيّ، سُلَيك، هُرَيم.

ــــــ في مواضع عدة لا يجزم بأصل اشتقاق الكلمة؛ لذا ورد عدد من الألفاظ تحتمل اشتقاقات مختلفة، في مواضع عدة شكلت حقلا مستقلا وهو(المشترك اللفظي).

ــــــ غلبة الأسماء المصغرة للرجال على النساء،إذ بلغ عددهم (131) اسما، شملت أسماء أشخاص وقبائل، أمَّا أسماء الإناث المصغرة فبلغت (8) فقط . ثلاثة منها جاءت من حقل الطبيعة الجغرافية وهي (بُثَيْنَة، وثُرَيَّا، ومُزينة)،و اثنتان من حقل الإنسان (أُمَيْمَة، ورُفَيْدَة) ، و(عُمَيرَة) من ألفاظ الزينة والحلي،و(سُهَيَّة)من حقل المشترك اللفظي، و(طُهَيَّة) من حقل الأحداث. ومعاني هذه الأسماء تتناسب مع طبيعة المرأة التي تميل للرقة وحبّ الزينة، وملازمة بيتها.

ــــــ في بعض المواضع جانب الصواب ابن دريد في تصريفات بعض الأسماء واشتقاقها، كما في تصغير جُلَيّ ، يجعلها تصغير من المضعف (الجَلّ) . وتصغير (حَمَيّ) يرى أنه من المعتل(الحمْي) وهو الغضب، أو (الأحمّ) المضعف، والصواب أنها من الأول.وكذلك (ثُرَيَّا) يجعلها تصغير (ثَرْيَا) ، والصواب (ثَرْوَى). وفي (أُبَيّ) يرى أنَّ مُكبَّره من (أَبٍ) أو (أبّ) بالتضعيف، والصواب الأول.

ــــــ يُلحظ أنَّ جميع الأسماء المصغرة جاءت أعلاما مُفردة وغير مركبة.

ــــــ ذكر ابن دريد مادتين لم أجد أحدا من أصحاب المعاجم قبله ذكرهما وهما: سُمَيفِع، بمعنى: الجرأة والإقدام. وقُنَيع بمعنى : مرتفع أرنبة الأنف.

ـــــــ اسما طُفَيل والوُلَيِّد تدلان على التصغير بدلالة اللفظ والمعنى ، فكأنَّهما تصغير التصغير،والمشهور عند الصَّرفيين أنّ المُصَغَّر لا يُصغَّر، وهنا صُغِّر الاسمان ؛ لاختلاف جهة التصغير.

وبعد...

فكتاب الاشتقاق يُعد موردًا ثريًّا للدراسة والبحث، لُغَوِيًّا، وأدبيًّا،وتاريخيًّا ، واجتماعيًّا. يجد فيه الباحثون ضالتهم، ويحققون منه مرادهم. والله تعالى أعلم.

هوامش البحث:

---

(1) ينظر: د. يوسف فجال، أصول تراثية لنظرية الحقول الدلاليَّة عند ابن دريد، بحث منشور في كتاب الندوة الدوليَّة الني عقدت في جامعة آل البيت بالأردن ، 2009م : 8

(2) ينظر: الزُّبَيْدِي، أبو بكر محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللُّغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم(دار المعارف، مصر/ القاهرة، ط2، 1392هـ ـ 1973م): 183، 184، أبو البركات الأنباري، عبدالرحمن بن محمد، نزهة الألبَّاء في طبقات الأدباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم(دار الفكر العربي، القاهرة، بدون طبعة، 1418هـ ـ 1998م):225 ــ 227، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال، بغية الوعاة في طبقات اللُّغويين والنُّحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا ــ بيروت، بدون طبعة أو تاريخ: 1/ 76 وما بعدها.

(3) الاشتقاق، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ ــ 1991م: 4

(4) ابن دريد الاشتقاق: 5، 6.

(5) ابن دريد الاشتقاق: 8، 9.

(6) ينظر مثلا، ص: 20، 22، 124، 313، 396، 411.

(7) ينظر مثلا، ص: 16، 17، 20، 26، 33، 70، 86، 144.

(8) ينظر مثلا، ص: 26، 48، 97، 111، 133، 275، 309.

(9) ينظر مثلا، ص: 81،89،436.

(10) ينظر مثلا، ص: 26، 27، 28، 29، 38، 67، 72، 98 ، 282، 285، 322، 364، 462.

(11) ينظر مثلا، ص: 79.

(12) ينظر مثلا، ص: 105، 135.

(13) ينظر مثلا، ص: 89، 305.

(14) د.أحمد مختار عمر، علم الدلالة ،عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1988م :79

(15) ينظر تعريف كل منها عند : أحمد مختار عمر، علم الدلالة : 68

(16) د. أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلاليَّة، من منشورات اتحاد الكُتَّاب العرب بدمشق، 2002م: 15

(17) د.أحمد مختار عمر، علم الدلالة : 80.

(18) د. أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلاليَّة: 16، وينظر: المعايير التي وُضعت للتمييز بين الكلمات الأساسية والهامشية، د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة : 96

(19) ينظر: د.أحمد مختار عمر، علم الدلالة: 86 بتصرف يسير

(20) ينظر: د.أحمد مختار عمر، علم الدلالة: 87 .

(21) معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1994م: 315

(22) محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 7، 1971م: 307، 308 بتصرف.

(23) د. أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلاليَّة : 26، وينظر: د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة: 110

(24) فيبكا فالتر، أسماء الأعلام العربية من القرن الجاهلي الأخير إلى العصر العباسي، مجلة اللسان العربي، مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب، المجلد التاسع، الجزء الأول، المملكة المغربية، الرباط، 1972م: 212

(25)ابن دريد، الاشتقاق : 358. وينظر: ابن دريد،أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، حققه: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت،ط1، 1987م: 2/ 887. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي ، مصر ، ط3، 1400هـ ـ 1980م: 3/ 304.وسُمِّي به من رجالهم: صُلَيْع بن عبد غَنْم.

(26) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل اللغوي الأندلسي، المخصص،دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون طبعة أو تاريخ المُخصص: مج 1/ السفر1/ 71.

(27) تصغير (سابط) ضُم أوله فقُلِبت الألف واوا.

(28) ابن دريد، الاشتقاق: 162. وينظر: ابن فارس، المقاييس: 3/ 128

وبه سُمِّي من رجالهم: سُوَيْط بن سعد بن حرملة

(29)ابن دريد: 1/ 336. ويقول ابن سيدة:" ومن الشَّعر السَّبط والسَّبَطُ بَيِّن السُّبُوطة: وهو المسترسل ليس فيه شيء من الجُعُودة" ، ينظر المخصص: مج1/ السفر 1/ 66.

(30)ابن دريد، الاشتقاق : 86. وذكر هذه المادة أيضا:211. وينظر، ابن دريد، الجمهرة: 1/ 496. وسُمِّي به من رجالهم : جُهَيْم بن الصَّلْت بن مَخْرَمَة.

(31) هذا هو القياس في تصغير المؤنث الخالي من علامة التأنيث، ترد التاء عند تصغيره فيقال أُذَيْنَة ومثلة عُيَيْنَة، وهذان الاسمان سُمِّي بهما المذكران بعد التصغير عند الجمهور، خلافا ليونس. ينظر: الرضي،محمد بن الحسن الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد وزميليه، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، بدون طبعة، 1402هـــ 1982م: 1/ 240.

(32)ابن دريد ، الاشتقاق:172، وكرره في: 330. وهو من أسماء أعلام الرجال، ومنهم ابن أُذَيْنة الشاعر. " ومن المجاز: فلانٌ أُذُن من الآذان: إذا كان سُمَعَة" ينظر: الزمخشري ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1985م: 1/ 8. صيغة التصغير (أُذَيْنَة) قد يراد بها تحقير من يتصف بهذه الصفة، أم التصغير المراد به العلم فأغلب الظن أنه يتعلق بهيئة المولود لصغر أُذنه، ويحتمل أيضا معن التفاؤل بأن يكون حاد السمع، إذ السماع آلة العلم والمعرفة.

(33) ابن فارس، المقاييس: 1/ 75 وما بعدها.

(34)ابن دريد، الاشتقاق : 207.سُمِّي به بطن من قبائل بني أُسَيِّد. وذكر في موضع آخر التسمية بالمكبر (الأَشْرَف) ينظر: الاشتقاق : 483.

(35)ابن دريد، جمهرة اللغة،: 2/ 729.

(36)ابن دريد، الاشتقاق: 285، وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 955. والاسم يطلق على الرجال ومنهم :أبو عيينة بن حصن .

(37)ابن دريد، الاشتقاق : 196. وينظر: ابن فارس، المقاييس: 1/ 146.

(38) المخصص: مج1/ السفر1/ 128.

(39) ابن دريد، الاشتقاق:271.

(40) ابن دريد، الجمهرة : 1/ 255

(41) المصدر السابق، وينظر: الأصمعي أبوسعيد عبد الملك بن قريب ، اشتقاق الأسماء، حققه د. رمضان عبد التواب ، د. صلاح الدين الهادي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1400ه ـــ 1980م، ط2، 1415ه ــ 1994م : 127. وابن فارس، المقاييس: 5/ 59.

(42) وهذا رأي فيه نظر؛ لأنَّ (مِعى) لفظ مذكر قبل التسمية، وكذلك بعد التسمية إذ يُطلق على العلم المذكر، فلا وجه مُسوِّغ لدخول (التاء) ،وتصغيره على مُعَيّ ، والأقرب في الصيغة والمعنى أن يكون تصغير (المَعْوَة) على (مُعَيَّة) بقلب الواو ياء لاجتماعهما، وسبق أولاهما السكون، ثو أدغمت الياءين: وعلى هذا يكون معنى مُعَيّة من (المَعْوة) وهي الرطبة إذا دخله بعض اليبس، ينظر: ابن دريد، جمهرة اللغة،:2/ 954. ابن منظور،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الفكر/ بيروت،ط1410،1هـ ـــ 1990م: 15/ 287.

(43) ابن دريد، الاشتقاق:284. وينظر: ابن فارس، المقاييس: 5/ 335.

(44)حُمَيّ تصغير الحَمْي وهو الغضب ، وأمّا قول ابن دريد بأنَّ الاسم مصغر أحمَّ فليس بصواب لأن أحمَّ من المضعف، وقياس تصغيره : حُمَيْم.

(45) ابن دريد، الاشتقاق : 412. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 1052. من قبائل جُهَيْنَة: بنو حُمَيْس.

(46)ابن دريد، الاشتقاق : 183. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 418. ابن فارس، المقاييس: 2/ 246. ومن رجالهم: الربيع بن خُثَيم.

(47) ابن دريد، الاشتقاق : 297. وينظر، ابن دريد، الجمهرة: 1/ 392، ابن سيده، المخصص: مج 1/ السفر1/ 104.

(48)ابن دريد، الاشتقاق : 212.

(49)ابن فارس، المقاييس: 4/ 302 .

(50)ابن دريد، الاشتقاق : 244. بنو فُقَيْم من نهشل.

(51)ابن دريد، الجمهرة : 2/ 966. وينظر: ابن فارس، المقاييس: 4/ 442.

(52) ابن دريد، الاشتقاق: 167. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 984. وسُمي به: كُهَيم بن أبي عمرو.

(53) ابن فارس، مقاييس اللغة،: 5/ 145.

(54) يُصغَّر برد الحرف المحذوف الواو (هُنَيْو)، فقلبت الواو ياء، وأدغمت مع ياء التصغير.

(55) ابن دريد، الاشتقاق: 278. وممن سُمّي به: قِرْواش بن هُنَيّ، وكذلك بنو هُنَيّ من قبائل زهران بن كعب.

(56) ابن دريد، الاشتقاق: 509.

(57) ابن فارس، المقاييس: 6/ 68. وينظر: ابن منظور، لسان العرب: مادة(هنا) 15/ 365 ومابعدها.

(58)يصغر برد لامه المحذوفة وهي الواو، ثم اجتمعت الواو والياء وسبقت أولاهما بالسكون ، فقلبت الواو ياء وأدغمي الياء في الياء. ينظر: الرضي، شرح الشافية: 1/ 218.

(59) ابن دريد، الاشتقاق: 128. ولكنَّ ابن دُريد يقول في موضع آخر (أُبَيٌّ): تصغير أبٍ واحد الآباء، أو تصغير أَبٍّ، وهو المرعى. الاشتقاق: 449. وهذا فيه نظر، لأن الأبَّ يصغر بفك التضعيف، فيقال: أُبَيْب. وممن تسمّى به: أَبيّ بن خلف.

(60) ابن فارس، المقاييس: 1/ 44.

(61) يصغر برد الحرف المحذوف فيقال: أمَيوة، فقلبت الواو ياء، ثم اُدغمت الياءان.

(62) ابن دريد، الاشتقاق: 54. وينظر، ابن دريد، الجمهرة: 1/ 248. ومنهم أُمَيَّة بن الصّلت.

(63) ابن فارس، المقاييس: 1/ 136.

(64) ويُصغر بفك التضعيف، ودخول التاء في التصغير يرجح كونه تصغير أُمَّ وليس اَمًّا بالفتح.

(65) ابن دريد، الاشتقاق: 513. وأُمَيمة: اسم امرأة . وذكر ابن دريد أنّ زوج عبدالله بن لزبير اسمها أميمة وأمها أخت أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(66) ابن دريد، الجمهرة : 1/ 59

(67) ابن دريد، الاشتقاق: 83 ، 84. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 919. وابن فارس، المقاييس: 3/ 413.

(68) ابن دريد، الاشتقاق:383، وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 1069. وابن فارس، المقاييس: 5/ 315.ومن رجال طيِّء: الربيع بن مُرَيّ بن أوس .

(69) ابن دريد، الاشتقاق: 80. وينظر: ابن فارس، المقاييس: 6/ 143.

(70) ابن دريد، الاشتقاق: 335. وينظر ابن دريد، الجمهرة:2/ 634. من بني عنزة: رُفَيْدَة. وذكر في الجمهرة: رفيدة: أبو حي من العرب يُقال لهم : الرُّفَيدات. وهو اسم يطلق على المؤنث أيضا. ومذكره رُفَيْد.

(71) ابن فارس، المقاييس:2/ 421.

(72) ابن دريد، الاشتقاق: 411، وكرره في : 386. وفي الجمهرة يقول:" وبنو زُبَيْد: بطن من العرب منهم عمرو بن معد يكَرِب، وإنّما سُمِّيَ زُبَيْدًا؛ لأنّه قال:" مَنْ يَزْبِدْني رِفْدَه؟"، أي: من يُحَالفني، واسمه عُصْم": 1/ 297

(73) ابن فارس، المقاييس: 3/ 43، 44.

(74) تصغير ترخيم بحذف الزوائد. وقد جاء على وزن مخالف لأوزان التصغير الثلاثة المشهورة.

(75)ابن دريد، الاشتقاق : 191

(76) ابن دريد، الاشتقاق: 52 . وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 971.

(77)ابن فارس، المقاييس: 5/ 455.

(78) ابن دريد، الاشتقاق: 356. ومنهم: بنو قُنَيْع بن عبدالله بن جحدر. ويذكر ابن دريد مقلوب(قُنَيْع) وهو (قُعَيْن) فيقول:" فأمَّا (قُعَيْن) فاشتقاقه من القَعَن. والقَعَن والقَعَا والقَعَم واحد، وهو ارتفاعٌ في أرنبة الأنف. رجل أقعى وأقعن. وقال قوم: بل القَعَن: انفحاج في الرجل" ، الاشتقاق: 180. وفي الجمهرة يقول:" والقَعَن: قصر في الأنف فاحش" : 2/ 943.

(79)ابن دريد، الاشتقاق : 78 ، وقد كرَّر هذا الاسم في : ص 441. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 54.وسُمِّي به : أُحَيْحَة بن الجُلاح.

(80)ابن دريد، الاشتقاق : 225. من رجالهم: جُشَيْش بن هِزَّان من بني يربوع بن حنظلة.

(81)الزبيدي، تاج العروس: 17/ 108.

(82) تصغير ترخيم.

(83) ابن دريد، الاشتقاق:292. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 1005. وسُمِّي به: دُرَيْد بن الصِّمَّة.

(84) ابن دريد، الاشتقاق: 567

(85) ابن دريد، الجمهرة: 2/ 675. وينظر: ابن فارس، المقاييس: 2/ 290

(86)وفي الاشتقاق: 124 بالضاد (الضنّ) والصواب بالظاء(الظَّن). ينظر: الجوهري، الصحاح : 6/ 2309

(87)ابن دريد، الاشتقاق: 124 وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 442

(88)ابن فارس، المقاييس: 2/ 142.

(89) ابن دريد، الاشتقاق: 525.ويقول في الجمهرة:" وسَمَيْفَع: اسم، وقال قوم: سُمَيْفَع، وسُمَيْفِع كأنه مصغَّر، فإنْ كان مصغرًا فيجب أن تكون ألفًا مكسورة " : 3/ 1188. وينظر:الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق الترزي، وحجازي، والطحاوي، والعزباوي ، راجعه عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت ، بدون طبعة أو تاريخ : 21/ 238.

(90) ابن دريد، الاشتقاق: 91، وقد كرر المعنى في: 114. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 513، وابن فارس، المقاييس: 3/ 269. ومن رجالهم: قاسط بن شُرَيْح بن عثمان بن عبدالدار.

(91) أصله طُهَيْوَة، قلبت الواو ياء ثم أدغمت الياءان . فصارت على طُهَيَّة.

(92) ابن دريد، الاشتقاق: 233. وينظر: ابن دريد، الجمهرة:2/ 928. وابن فارس، المقاييس: 3/ 427.وهذا الاسم لامرأة هي: طُهَيَّة بنت عبشمس.

(93) ابن دريد، الاشتقاق: 68، وقد كرر المعنى في : 153 ، 154. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 255. وهو اسم عتبة بن أبي لهب.

(94) ابن فارس، المقاييس:4/ 225.

(95) ابن دريد ، الاشتقاق: 15. وينظر، ابن دريد، الجمهرة: 2/ 772، 773. ابن فارس، المقاييس: 4/ 141.

(96) ابن دريد، الاشتقاق: 277، وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 915.من قبائل قُطَيْعَة: بنو عَوذ بن غالب بن قُطَيْعِة.

(97) ابن دريد، الاشتقاق: 344 . وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 987.

(98) ابن فارس، المقاييس: 5/ 217.

(99) ابن دريد، الاشتقاق: 311، وينظر ابن دريد، الجمهرة: 1/ 345ــ 346 . وممن سمي به: نُبَيْشَة بن حبيب.

(100) ابن فارس، المقاييس: 5/ 380 ــ 381.

(101) ابن دريد، الاشتقاق: 125.ابن دريد، الجمهرة: 1/ 382 .

(102) ابن فارس، المقاييس:5/ 384.

(103) ابن دريد، الاشتقاق: 208 ، 209. وينظر: ابن فارس، المقاييس: 6/ 37.

(104) ابن دريد، الاشتقاق: 417، وينظر:ابن دريد، الجمهرة: 1/ 115 ، 116.وابن فارس، المقاييس: 6/ 7. ومن رجالهم: أبو مُسافع بن عُبَيد بن زيد بن هُدَيْد بن عامر.

(105) ابن دريد، الاشتقاق: 546. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 703.وذكر ابن فارس، المقاييس: 6/ 45. من بني ليث بن سُود: بنو سهد هُذَيم.

(106) ابن فارس، المقاييس: 6/ 45.

(107) قُلبت الواو المضمومة في (وُقَيْش) إلى همزة جوازا؛ وذلك لأنَّ الضمة بعد الواو، فكأنه اجتمع واوان ، قلبت همزة تخفيفا. ينظر: الرضي،: 3/ 78.

(108) ابن دريد، الاشتقاق: 183 وقد كرر الحديث عن هذا الاسم في الاشتقاق أيضا : 444. من قبائل عكل: بنو أُقَيْش.

(109) ابن منظور، اللسان:6/ 372.

(110) ابن دريد، الاشتقاق: 472، 519، وينظر: ابن دريد،: 1/ 300، وابن فارس ، المقاييس: 1/ 210.وهو اسم: بُدَيْل بن أُمِّ أَصْرَم.

(111) يصغر بفك تضعيفه فيقال: زُوَيْو، ثم تقلب الواو ياء ،وتدغم الياءين.

(112) ابن دريد، الاشتقاق: 548. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 131 ، 237 ، ابن فارس، المقاييس: 3/ 34. وهو اسم لرجل من بني نهد.

(113) تصغير ترخيم بحذف الزوائد، والتصغير على الأحرف الثلاثة الأصلية، فيقال: قُصَيْو، ثم قلبت الواو ياء،ثم أُدغمت الياءان، فصار قُصَيًّا.

(114) ابن دريد، الاشتقاق: 19 وهذا الاسم هو لقُصَيّ بن كلاب جد النبي صلى الله عليه وسلم، واسمه: زيد.

(115) ابن فارس، المقاييس: 5/ 94.

(116) ابن دريد، الاشتقاق: 193 وينظر: ابن دريد، الجمهرة:1/ 278، ابن فارس، المقاييس: 2/ 129

(117) الجوهري، الصحاح: 3/ 1000.

(118) ابن دريد، الاشتقاق: 327 ، 328. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 502. اسم من أسماء رجالهم: المختار بن رُدَيْح.

(119) ابن دريد، الاشتقاق: 126 . وكرر المعنى في : 227.

(120) ابن دريد، الجمهرة: 1/ 312. وينظر ابن فارس ، المقاييس: 3/ 329. وقال ابن منظور في اللسان:" والصُّبْرة : ماجُمِع من الطعام بلا كيْل ولاوزن بعضه فوق بعض... والصّبْرة: الطعام المجتمع كالكومة" مادة (صبر): 4/ 441.

(121) ابن دريد، الاشتقاق: 476. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 422. وابن فارس، المقاييس: 5/ 160 ــ 161. وبه سمي : كُثيِّر بن عبدالرحمن الشاعر.

(122) ابن دريد، الاشتقاق: 202، وينظر أيضا: 85، ابن دريد، الجمهرة: 1/ 543. وهو من أسماء الرجال: عبَّاد بن الحُصَيْن.

(123) ابن دريد، الاشتقاق: 549. وهذا تصغير ترخيم ، فيصغر على أصله وزن الثلاثي (فُعَيْل) بحذف الهمزة المزيدة، ينظر: الرضي، شرح الشافية:1/ 283.

(124) ابن دريد، الجمهرة: 1/ 534 ، 535. الأصمعي، اشتقاق الأسماء: 112

(125)تصغير ترخيم، بحذف الهمزة، وتصغيره على الحروف الثلاثية الأصليّة.

(126) ابن دريد، الاشتقاق: 544. وينظر: ابن فارس، المقاييس: 2/ 184. من بطون قبائل جَرْم بن ربّان: بنو خُشَين.

(127) ابن دريد، الاشتقاق: 552. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 632. اسم قبيلة من مهرة بن حيدان وهم بنو عُـرَيْد

(128) ابن فارس، المقاييس: 4/ 304 ، 305

(129) ابن دريد، الاشتقاق: 56، وكرر المعنى في : 162. وخُلَيْد: تصغير ترخيم لخالد. وينظر: ابن فارس، المقاييس: 2/ 207.

(130) ابن دريد، الاشتقاق: 284، وينظر أيضًا:368، 538 . وابن دريد، الجمهرة: 2/ 855 ، 856.

(131) ابن فارس، المقاييس: 3/ 88.

(132) وفي اللسان: " والنُّعْم، بالضم: خلاف البُؤس. يُقال: يوم نُعْمٌ، ويوم بُؤس" : 12/ 579.

(133) ابن دريد، الاشتقاق: 137 وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 953، ابن فارس، المقاييس: 5/ 446. وممن سمي به: نُعَيم بن عبدالله بن أُسَيْد.

(134)تصغير المعتل (الجَلْو) فيقل: جُلَيْو، قلبت الواو ياء، ثم أُدْغِمَت الياءان، فقيل: جُلَيّ.

(135)وابن دُريد في هذا الموضع يبدو أنّه خلط بين أصلين متباعدين المعتل الآخر(جلا) ، والمضعَّف (جلّ) ، فتصغير (جُلَيّ) من (جَلْي) المعتل، أمّا تصغير المضعف فهو(جُلَيْل).

(136) بل بينهما فرق ففي المقاييس:" جَلَّ الشيء: عَظُمَ، وجُلُّ الشيء: مُعظمه ": 1/ 417.

(137) ابن دريد، الاشتقاق: 313 . وينظر الجمهرة 2/ 1044.

(138) ابن فارس، المقاييس: 1/ 468.وينظر ابن منظور،اللسان: 11/ 119، 14/ 150

(139) ابن دريد، الاشتقاق: 39، وكرر الحديث عن المادة:469 . اسم يطلق على الرجل .

(140) ابن دريد ، الاشتقاق : 185. وممن سمي به: عِصْمَة بن أُبَيْر.

(141) ابن دريد، الجمهرة: 1/ 330

(142) ابن دريد ، الاشتقاق : 478. وممن سُمِّي به من الرجال: بُرَيْدَة بن عبد الله بن بُرَيْدَة الفقيه.

(143) ابن دريد، الجمهرة: 1/ 295 ، 296. وينظر: ابن فارس، المقاييس:1/ 241

(144) ابن دريد، الاشتقاق : 501، وينظر: ابن فارس، المقاييس: 1/ 406. وبنو جُدَيْد: بطن من قبائل زهران بن كعب.

(145) ابن دريد، الاشتقاق: 325

(146) ابن دريد، الاشتقاق: 298 ، 299. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 448، ابن فارس، المقاييس: 1/ 462

(147) ابن دريد، الاشتقاق : 82 ، وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 508 ، الأصمعي، اشتقاق الأسماء: 123. ومن رجالهم: أبو حذيفة بن عتبة.

(148) ابن دريد ، الاشتقاق : 118

(149) يُصغر(أَحْوَى) على أُحَيٍّ؛ لأنه اجتمعت ثلاث ياءات بسبب قلب الواو ياء فحُذِفت الياء الثالثة، على رأي من أدغم، وعلى أُحَيْوٍ عند مَن قال أُسَيْوِد . وعلى رأي ابن دريد سيكون على تصغير ترخيم .ينظر: المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، بدون طبعة أو تاريخ : 2/ 246.

(150) ابن دريد، الاشتقاق:241.وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 231. وابن فارس لم يذكر من معاني هذه اللفظة أنها للون ينظر: المقاييس: 2/ 112. وسُمِّي به: حُوَيّ بن سُفيان.

(151) ابن دريد، الاشتقاق :442 . وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 65، 2/ 999. ومنهم خُبَيْب بن عدِي .

(152) ابن دريد، الاشتقاق: 440، وفي موضع آخر من كتاب الاشتقاق نجده يُعَلِّل سبب التسمية، فيقول:" واشتقاق (الأرْقَم) من الحيَّة الأرْقَم، وهو الشُّجَاع أو شُبِّه به، وإنَّما سُمِّي أرْقَم للنقْش الذي في ظهره": 71 ، 72 . وفي موضع ثالث يقول: "وإنَّمَا سُمُّوا (الأرَاقم)؛ لأنَّهم شُبِّهَت بعيُون الأراقم، والأراقم ضَرْبٌ من الحيَّات": 336. من أسماء الرجال منهم: الرُّقَيْم بن ثابت.

(153) ابن دريد، الجمهرة:2/ 790، 791.

(154) ابن دريد، الاشتقاق: 359. وسُمِّي به الرجل : يزيد بن رُوَيم.

(155) ابن دريد، الجمهرة: 2/ 803

(156) ابن دريد، الاشتقاق : 246، وممن سُمي به سُليك بن السُّلَكة.

(157) ابن دريد، الاشتقاق : 445 . فابن دُرَيْد يجعله مرة تصغير: سِلْك وهو الخيط، ومرة تصغير: سُلَك: وهو الطائر. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 854.

(158) اسم امرأة تصغير سُهَيْوَة ، فقلبت الواو ياء، ثم أدغمت الياءين فصارت (سُهَيَّة).

(159) ابن دريد، الاشتقاق: 290 وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 764. وابن فارس، المقاييس: 3/ 107. ابن منظور، اللسان: 14/ 406، 407. وسُمِّي به : أرْطَأة بن سُهَيَّة وهي أمُّه.

(160) تصغير ترخيم.

(161) ابن دريد، الاشتقاق: 516. وينظر: ابن فارس، المقاييس: 3/ 174. والشُّلَيْل هو جرير بن عبدالله بن جابر.

(162) ابن دريد، الاشتقاق: 83.

(163) ابن دريد، الاشتقاق: 11. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 299.ابن فارس، المقاييس: 4/ 205 ومابعدها.

(164) ابن دريد، الاشتقاق: 345 ، وفي الجمهرة يوضح معنى (العِدْل) بالكسر:" العِدْل: العِكْم إذا عُدِل بمثله". وهو اسم رجل: العُدَيْل بن الفَرْخ الشاعر.

(165)الخليل بن أحمد الفراهيدي ، العين، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمّية، ط1، 2002م ـــ 1424ه: 3/ 111.

(166) ابن دريد، الاشتقاق: 552 ، ذكر في موضع آخر اشتقاق (عَرِيب) ينظر: 523 ، 524. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 319. بنو عُرَيْب قبيلة من قُضاعة.

(167) ابن دريد، الاشتقاق: 297 ، 298. وينظر: ابن دريد، الجمهرة : 2/ 939. وبنو عُقَيْل بطن من بني كعب بن ربيعة بن عامر.

(168) ابن دريد، الاشتقاق :209، وهو اسم رجل: عُلَيْم من بني أنمار بن الهُجَيْم.

(169) ابن دريد ، الجمهرة: 2/ 948

(170)ابن دريد، الاشتقاق: 13، 14 . وينظر: ابن دريد، الجمهرة:3/ 1250. وابن فارس، المقاييس: 4/ 142.

(171) ابن دريد، الاشتقاق : 507. بنو قُدَي من قبائل زهران بن كعب.

(172)ابن منظور، اللسان: 15/ 172.

(173) وفي الصحاح، يقول الجوهري " قال أبو عبيد: القَرُّ: مركب للرجال بين الرَّحل والسَّرْج، وقال غيره: القَرّ: الهودج" : 2/ 788

(174) ابن دريد، الاشتقاق : 320، وينظر: ابن فارس، المقاييس: 5/ 7 . ومنهم آل قُرَيْر من بني عُمَيْرَة.

(175) ابن دريد، الاشتقاق: 348. وسُمِي به الرجل .

(176) ابن دريد، الجمهرة: 2/ 739

(177) ابن دريد، الاشتقاق: 206، وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 373. وابن فارس، المقاييس: 5/ 17. من بطون بني مازن: بنو القُلَيْب.

(178) ابن دريد ، الاشتقاق :329 ، وينظر: الخليل بن أحمد، العين: 4/ 98، وابن دريد، الجمهرة: 2/ 824، من قبائل بني ربيعة: بنو نكرة بن لُكَيْز.

(179) ابن دريد، الاشتقاق : 146 ، 147. وينظر: ابن دريد، الجمهرة :2/ 641

(180) ابن منظور، اللسان: 5/ 258.

(181) ابن دريد، الاشتقاق: 241 ، وكرره أيضًا في: 221 . وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 804 ، ابن فارس، المقاييس : 6/ 48. سُمِيَ به من رجال مجاشع بن دارم وهو: هُرَيْم بن أبي طَحْمَة.

(182) ابن دريد، الاشتقاق: 428. وينظر ابن فارس، المقاييس: 6/ 42. وسُمِي به بنو هُدَيّ .

(183) ابن دريد، الاشتقاق: 233، 234. وهو اسم صُدَيّ بن مالك بن حَنْظَلَة.

(184)ابن فارس، المقاييس: 3/ 341.

(185) ابن دريد ، الاشتقاق: 518 ، 519. وسُمِّي به : الضُّرَيْس بن عبدالله بن هَرْمي.

(186) ابن فارس، المقاييس: 3/ 395.

(187)ولُوَيّ بن غالب: أبو قُرَيش ، وأهل العربية يقولونه بالهمز، والعامة تقول: لُوَيّ" ينظر: ابن منظور ، اللسان: (لوى):15/ 267.

(188) ابن دريد، الاشتقاق : 24، وينظر: الأصمعي، اشتقاق الأسماء :118 وابن فارس، المقاييس: 5/ 218.

(189) ينظر: ابن دريد، الاشتقاق: 5 ، 6.

(190) أبو عثمان عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط2، 1384هـ ، 1965م: 1/ 324.

(191) يصغر بفك التضعيف، فيقال: بويْو، تقلب الواو لام الكلمة ياء، ثم تُدغم الياءان، فيقال: بُوَيٌّ.

(192) ابن دريد، الاشتقاق: 480

(193) ابن منظور، اللسان:14/ 100

(194) ابن دريد، الاشتقاق : 299. من أسماء الرجال: توبَة بن الحُمَيِّر.

(195) ابن دريد: 1/ 522.

(196) تصغير ترخيم.

(197) ابن دريد، الاشتقاق: 473. من بني غاضرة: زُنَيْم بن صيفي بن فَرْوَة.

(198) ابن دريد، 2/ 828. وينظر: ابن فارس، المقاييس: 3/ 29.

(199) ابن دريد، الاشتقاق : 313. وسُمِّي به: ضُبَيْعة بن أسد بن ربيعة .

(200) أبو سعيد عبد الملك بن قُريب ، كتاب الإبل، تحقيق حاتم صالح الضَّامن، دار البشائر ، بدون طبعة أو تاريخ: 45 .

(201) ابن فارس، مقاييس اللغة: 3/ 387ـــ 388.

(202) ابن دريد، الاشتقاق : 158، وكرره في ص : 268. وينظر: ابن فارس، المقاييس: 4/ 145. وممن سمي به: عُمَيْلَة ابن الأعزل.

(203) ابن دريد، الاشتقاق : 503. وهُرَيْرَة كنية لرجل اسمه عُمَيْر بن عامر بن عبد ذي الشَّرْى بن طريف.

(204) ابن فارس، مقاييس اللغة: 6/ 8

(205) ابن منظور، اللسان مادة (أسد)3/ 72:" الأسد: من السِّباع معروف، والجمع : آسَاد وآسُد".

(206) ابن دريد، الاشتقاق: 309. فيقال على لغة تميم: أُسَيِّد ويجوز عدم القلب أُسَيْوِد، والقلب أجود. ينظر: المبرد، المقتضب: 1/ 118 وهو اسم يطلق على رجالهم ومنهم: أُسَيْد بن زافر.

(207) ابن دريد، الاشتقاق: 178. من شعراء هُذَيل: أبو ذُؤَيْب.

(208) ابن دريد، الجمهرة : 2/ 1019

(209) ابن دريد، الاشتقاق : 232. من أسماء الرجال ومنهم: شُبَيْل بن وَفَاء.

(210) ابن فارس، مقاييس اللغة: 3/ 242.

(211) تصغير ترخيم بحذف الزوائد.

(212) ابن دريد، الاشتقاق: 167

(213) ابن دريد، الاشتقاق : 336. ومن الأسماء: كعب بن جُعَيْل.

(214) ابن دريد، الجمهرة: 1/ 482. وجاء في تهذيب اللغة:" والجُعَل : دابَّة سوداء من دوابّ الأرض، تجمع جِعْلانًا"الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون،وراجعه: محمد علي النجار، الدار المصريَّة للتأليف والترجمة، بدون طبعة أو تاريخ: 1/ 374.

(215) ابن دريد، الاشتقاق : 548 ، وفي الجمهرة:" الدود : معروف": 2/ 1006. ومن رجال بني نهد: دُوَيْد بن زَيد بن نَهد.

(216) الجوهري،الصحاح: 2/ 470. وقد اعترض على الجوهري ابن بري بقوله:"هذا وهم منه، وقياسه: دُوَيْد، كما صغَّرته العرب؛لأنه جنس بمنزلة تَمْر، وقَمح، جمع تمرَة وقَمْحَة ، فكما تقول فكما تقول في تصغيرهما: تُمَيْر وقُمَيْح، كذلك تقول في تصغير دُود: دُوَيْد"، ينظر: ابن بري ، أبو محمد عبدالله المصري، التنبيه والإيضاح عمَّا وقع في الصحاح، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مراجعة عبد السلام هارون ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1981م : 2/ 22.

(217) ابن دريد، الاشتقاق : 344. وممن سُمِّي به: لُجَيم بن علي بن بكر بن وائل.

(218) الأزهري، تهذيب اللغة: 11/ 103. وينظر: ابن منظور، اللسان: 12/ 535.

(219) تصغير ترخيم.

(220) ابن دريد، الاشتقاق : 354، وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 737، 738، وابن فارس، المقاييس: 3/ 288.ممن سُمِّي به: صُعَيْر بن كلاب .

(221) ابن دريد، الاشتقاق : 538، وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 774، وابن فارس، المقاييس: 4/ 294. من قبائل قضاعة: بنو عُرَيْنَة.

(222) ابن دريد، الاشتقاق: 446. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 322.

(223) ابن فارس، المقاييس: 1/ 221 .

(224) الأصل: وُرَيْق، فقُلِبَت الواو ألفا للضمة .

(225) ابن دريد، الاشتقاق: 457.

(226) ابن دريد، الجمهرة: 2/ 796. وينظر: ابن فارس، المقاييس: 6/ 101 ، 102

(227) ابن دريد، الاشتقاق: 372، وذكر اشتقاقات اللفظة أيضا في: 146. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 637، ابن فارس، المقاييس: 5/ 164.

(228) ابن دريد، الاشتقاق: 335. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 352. وابن فارس، المقاييس: 3/ 316.

(229) ابن دريد، الاشتقاق: 299وكرره ص: 438.وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 732. وبه سمي: مُعَتِّب بن قُشَيْر. وبنو قُشَيْر قبيلة من العرب .

(230) الجوهري، الصحاح: مادة (قشر): 2/ 792. وينظر: ابن فارس، المقاييس: 5/ 90، 91. فالمعنى واحد ، إذ تقشر الجلد يعني : احمراره.

(231) ابن دريد، الاشتقاق: 206. وينظر: ابن فارس، المقاييس:3/ 114 ، 115.

(232) ابن دريد، الاشتقاق: 224. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 497، ابن فارس، المقاييس: 1/ 496.

(233) ابن دريد، الاشتقاق: 456. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 681، ابن فارس، المقاييس: 2/ 292

(234) ابن دريد، الاشتقاق: 101، وكرَّره في: 225 ، 348. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 535، ابن فارس، المقاييس: 3/ 141. وابن جني، أبو الفتح عثمان النحوي، المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة، قرأه وشرحه وعلق عليه: مروان العطية وشيخ الراشد، دار الهجرة، بيروت، ط1، 1408هـ ــ 1988م: 190.

(235)ابن دريد ،الاشتقاق: 221ــ 222 . وقد ذكر معنى اللفظة في موضع سابق في: 478. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 295. وابن فارس، المقاييس: 1/ 241ــ 242.

(236) ابن جني، المبهج : 175 ــــ 176.

(237) ابن دريد، الاشتقاق: 396، وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 362. وابن فارس، المقاييس: 5/ 381. وابن سيده، المخصص: مج1/ السفر6/ 155. وممن سمي به: جَّواب بن نُبَيْط.

(238) ابن دريد، الاشتقاق: 566

(239) ابن دريد، الجمهرة: 2/ 1084.

(240) ابن دريد، الاشتقاق: 426 . وينظر: ابن دريد، الجمهرة:1/ 262، ابن فارس، المقاييس: 1/ 197

(241) وفي اللسان:" تصغير ثَرْوَى" 14/ 110.

(242)ابن دريد ، الاشتقاق: 83 . وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 1034 وهو اسم لامرأة هي: الثُّرَيَّا بنت عبد الله بن الحارث، التي كان يُشَبِّب بها عُمَر.

(243) ابن فارس، المقاييس: 1/ 374.وفي اللسان:" الثُّرَيَّا: من الكواكب، سُمِّيَت لغزارة نَوْئها، وقيل: سُمِّيت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مَرْآتها، فكأنَّها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحل، لا يتكلم به إلا مُصغرا، وهو تصغير على جهة التكبير" ابن منظور، اللسان: 14/ 112

(244) ابن دريد، الاشتقاق: 566 . وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 1002، ابن فارس، المقاييس: 1/ 450 ، 451

(245) ابن دريد، الاشتقاق: 360. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 474، ابن فارس، المقاييس: 1/ 473.

(246) ابن دريد، الاشتقاق: 566. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 451. ابن فارس، المقاييس: 1/ 485.

(247) تصغير ترخيم على الأصل، فيقال: جُوَيْوَة، فقلبت الواو ياء، ثم أُدغمت الياءان، فيقال : جُوَيَّة.

(248) ابن دريد، الاشتقاق: 284. وهو اسم قبيلة من غطفان تعرف ببني جُوَيّة.

(249) ابن دريد، الجمهرة: 1/ 231.

(250) ابن دريد، الاشتقاق:89. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 316، ابن فارس، المقاييس: 2/ 475. ومن رجالهم: نافع ابن ظُرَيْب بن عمرو بن نوفل.

(251) ابن دريد، الاشتقاق: 531 . وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 765، ابن فارس، المقاييس: 4/ 62 ،63 وممن سُمي به: عُفَير بن زُرعة بن عُفَير بن الحارث. .

(252) ابن دريد، الاشتقاق: 469. من خُزاعة: بنو قُمَيْر.

(253) ابن دريد، الجمهرة:2/ 791. وينظر: ابن فارس، المقاييس: 5/ 25.

(254) ابن دريد، الاشتقاق: 180. وينظر: ابن دريد، الجمهرة:2/ 828. وهو اسم امرأة عمرو بن أدّ بن طابخة.

(255) ابن فارس، المقاييس:5/ 318 ، 319.

(256) ابن دريد، الاشتقاق: 210 ، وفي الجمهرة اكتفى بقوله:" والجِرْبَة: القَرَاح" 1/ 266. من فرسانهم: جُرَيْبَة.

(257) ابن فارس، المقاييس: 1/ 449.

(258) ابن دريد، الاشتقاق: 111، وكرره في : 309 .

(259) ابن فارس، المقاييس: 4/ 334

(260) ابن دريد ، الاشتقاق: 81

(261) ابن دريد، الاشتقاق:104 وينظر: ابن دريد ، الجمهرة: 2/ 708.

(262) ابن دريد، الاشتقاق: 369 ، 370

(263) ابن دريد، الجمهرة: 2/ 790 ، 791 . وينظر: ابن فارس، المقاييس:5/ 55

(264) ابن دريد، الاشتقاق: 210 ، 211 .وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 359، ابن فارس، المقاييس: 5/ 105 .

(265) ابن دريد، الاشتقاق: 562، وقد كرر المعنى في: 295، 347. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 435، ابن فارس، المقاييس: 2/ 36

(266) ابن دريد، الاشتقاق: 116 ،117.

(267) ابن فارس، المقاييس: 2/ 97.

(268) ابن دريد، الاشتقاق: 14، 15. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 772.

(269) ابن دريد، الاشتقاق: 220. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 689، ابن فارس، المقاييس: 6/ 97.

(270) ابن دريد، الاشتقاق: 133. وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 1/ 546، ابن فارس، المقاييس: 2/ 105

(271) ابن دريد، الاشتقاق:29. وينظر: ابن دريد، الجمهرة:1/ 595، ابن فارس، المقاييس: 2/ 178.

(272) ابن دريد، الاشتقاق: 89 ، 90 . وينظر: ابن دريد، الجمهرة: 2/ 763.

(273) ورد اسم خماسي هو (قُعَيْسِيس) ولم أذكره في البحث؛ لأن ابن دُريد لم يُصرح بتصغيره . ينظر: ابن دريد، الاشتقاق: 374.

(274) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة،ط2، 1407هـ ـ 1987م: 1456.

(275) ابن دريد، الاشتقاق: 207.

(276) ابن دريد، الاشتقاق:183.

دليل الاستصحاب وعلاقته بأصل الوضع
وبمفاهيم الرّد إلى الأصل والعدول عنه

أ: عبدالرحمان بلحنيش

جامعة ابن خلدون بتيارت.

ملخّص البحث :

المتصفّح لدليل استصحاب حال الأصل في كتب التّراث تصادفه مصطلحات عديدة لها علاقة بهذا الدليل، ومنه يتبيّن لنا أن النّحاة كانوا على علم بهذا الأصل، وإن لم يصطلحوا على تسميته بهذا الاسم ، منذ الخليل وسيبويه وغيرهما إلى أن أظهره أبو البركات الأنباري في كتابه "لمع الأدلّة " متأسّيا بالفقهاء متأثرا بهم؛ ومن هذه المصطلحات أصل الوضع والوضع الأوّل ، والعدول عن الأصل والرّد إليه...هذه المصطلحات درجوا على ذكرها في مستويات الحرف والكلمة والجملة، ثمّ في إجرائهم وتطبيقهم بيّنوا أوجه العدول عن الأصل، ممّا يثبت أنّ الاستصحاب دليل لا يقوى التمسّك به إذا ظهرت أدنى علّة فيترك إلى الفرع .ومن هذه الأوجه: الإعلال والإبدال والإدغام هذا في مستوى الحرف والكلمة ،أمّا في مستوى الجملة فقد لاحظوا ما يقع من حذف وزيادة وتقديم وتأخير وغيرها..

الكلمات المفتاحية : **- أصل الاستصحاب – أصل الوضع - العدول عن الأصل – الأصل و الفرع - أوجه العدول عن الأصل.**

Abstract:

The browser of Heritage books,when he searches about ''Rooming case originally'' ''istishab hal al-asl'', he finds a lot of terms which have a relation with this radix.

Now,it is clear to us that grammarians were aware of this but did not make up originally to be called by that name,since the era of El-khalil, Sibawayh and others until it was showed up by Abulbarakat Alanbari in his book ''Lumaa al-adilah.''

Among these terms we find : ''Asl alwadaa'', ''alwadaa lawal'', ''alodol ani lasl wa 'rado ilayh ''.... These terms are traditionally mentioned at the levels of character, word and sentence, then they(grammariens) demonstrate the aspects of this radix in their application (alodol ani lasl).Proving that 'istishab' as evidence is not strong enough to stick with it if a lowest reason is showed so it is left for a branch.

One of these aspects -of istishab- : aliilal, alibdal, alidgham..at the levels of character and word.But at the level of sentence,they noticed what happened like addition or delete, preceding or delay…

توطئة:

دأب النّحاة حين تناولهم الاستصحاب الحديث عن الأصل ليذكروا عددا من المصطلحات وقد تكرر ذكرها كأصل الوضع والدّليل والقاعدة، ممّا يشعرك أنّها تدور في فلك واحد أو أنّها مرتبطة بمفهوم يجمعها. لذلك تتبع أشرف ماهر النواجي هذه المصطلحات واستعمالها عند النّحاة، فذكر: "أنّ مصطلحات الأصل والدليل والقاعدة والوضع والحال الأول وأول الوضع، وأصل الوضع كلها مرتبطة بمفهوم واحد" [1]، فالذي يهمّنا أن نسأل: ما مفهوم مصطلح أصل الوضع؟ وهل له ارتباط مباشر باستصحاب حال الأصل؟ وما علاقة العدول عن الأصل والرّد إليه به؟.

مفهوم أصل الوضع: إذا كان الاستصحاب استدلال يقرّ للّفظ حكمه الّذي يصحبه ويلازمه بالأصالة أو هو إقرار لأحكام الأصول؛ فإنّ"أصل الوضع هو الأصل المجرد لوضع اللّفظ المفيد والتّركيب الصّحيح" [2]، وهذا الأصل جرّده النّحاة، إذ أنّ التّجريد استخراج للمعقول من المحسوس، وفائدته أنه معيار اقتصادي [3]،"ففكرة الأصل وسيلة النّحاة إلى ردّ كلّ ظاهرة متجانسة إلى أصل واحد" [4]. وأصل الوضع كما ذكرنا سابقا هو فكرة مجردة تعتبر ثابتا من ثوابت التّحليل اللّغوي، تردّ إليه أنواع الكلمات المختلفة حتى تخضع لأصل مطرد فيسهل على النّحاة أن يبنوا قواعدهم على هذ الأصل، وما خرج عليه يمنح تفسيرا وتأويلا، فالتجريد إذاً معيار اقتصادي به تحصر الثّوابت وتبنى عليه القواعد ويعلّل المعدول عن أصله، وما جاء على الأصل فلا كلام فيه. لقد جرّد النّحاة أصلا لكلّ باب واعتبروه المعيار الّذي يردّون إليه الفروع أي الاستعمال المغاير للباب بضرب من التّفسير والتّعليل. وكمثال على ذلك يقول حسن خميس الملخ:"هناك ظواهر لغوية مطّردة اطّرادا مستمرّا لا يكاد يقطعها أي شذوذ كاطراد رفع الفاعل والمبتدأ.. وهذا الاطّراد يسوّغ تجريد قاعدة معيارية، ويعدّ خروج النّادر عليها شذوذا" [5] وهو ما أراد تمّام حسّان توضيحه وهذا ببيان علاقة الاستصحاب بأصل الوضع فقال: "هذا باب لم يعطه المؤلفون حقّه من العناية عند عرضهم لأصول النّحو، فلقد دأبوا عند ذكر الاستصحاب أن يكتفوا بشرح المصطلح دون الدّخول في تفصيل النّظر، وأن يردّدوا مصطلحات أصل الوضع وأصل القاعدة والأصل المهجور والعدول عن الأصل والرّد إلى الأصل والوجه" [6]، فهذه المصطلحات وثيقة الصّلة بأصل الاستصحاب.فالنّحاة حينما جمعوا المدونة استقرؤوها ومن ثمّ شرعوا في التّصنيف وبناء الأبواب والقواعد"فتجريد الأصول سمح للنّحاة بتحديد الفروع وتفسيرها والكشف عن الجامع بينها وبين الأصل كما بيّنوا العمليات التّحويلية الّتي جرت على الأصول حتّى صارت فروعا" [7]، فالفروع عدول عن الأصل، وصرف غير المنصرف والتّصغير والنّسبة وغيره ردّ إلى الأصل.يقول تمام حسان: "حين رأى النّحاة أن الحرف الواحد تتعدّد صوره بحسب موقعه مما جاوره من الحرف كان لهم أن يجردوا أصلا لهذه

الصور وأن يجعلوا الصّور المختلفة عدولا عن الأصل بحسب مبادئ معينة للتغيير والتأثير كأثر الإدغام والإخفاء والإقلاب" [8]. ومثلما فعلوا مع الحرف فعلوا مع الكلمة والجملة وما يطرأ عليهما من تصريف وإسناد وجمع وتصغير ونسبة وإضمار وتقديم وتأخير وزيادة وحذف، فاقترحوا أصلا نمطيا "سموا أصل الحرف وأصل الكلمة وأصل الجملة وباسم جامع هو أصل الوضع" [9]، فهذا التجريد للأصول إنّما وصل إليه النّحاة من خلال النّظر إلى تفاعل مباني اللّغة، وهو ما أطلقوا عليه التّغيير والتّأثير. كما أنّ الاستقراء والملاحظة جعلا النّحاة يدركون أنّ القواعد لا تجري على سنن واحد فقد يعترضها عارض أو استثناء، فنصوا على ذلك وأطلقوا على الأول أصل القاعدة وعلى الثاني القاعدة الفرعية.

مستويات أصل الوضع: هي ثلاثة كما بيّنها تمّام حسّان، مستوى الحرف ومستوى الكلمة ومستوى التّركيب؛ إلاّ أنّ خميس الملخ قسّمها إلى مستوى **اللّفظ** ويشمل الحرف والاسم الفعل، ومستوى **التركيب**، يقول: "أصل الوضع قسمان: أصل وضع اللّفظ المفيد ويشمل أصل وضع الحرف والاسم والفعل؛ وأصل وضع التركيب الصحيح ويشمل الجملة وما يتعلّق بها" [10]، وفيما يلي نورد أمثلة عن كلّ المستويات:

1- **مستوى الحرف**: وصل النّحاة إلى أصله بفكرة ذوق الحرف كما حدّدها الخليل وسيبويه، وهذا بأن تشكل الحرف بالسكون ثم تنطقه بعد همزة مكسورة، حينها يتبيّن مخرج الحرف وصفته الذي هو الأصل، وما عدا هذا المخرج فهو عدول عن الأصل بمعنى أن للحرف عدة كيفيات في نطقه، مع مخرجه وصفته الأصل يعدّ عدولا. مثال ذلك حرف النون يتحدّد أصله بأنّه حرف لثوي أنفي مجهور مرقق فهذا وصف لأصله، لكن قد يعدل عنه إلى غيره حسب موقعه في الكلمة، مثاله: "ينبُت" تنطق النون بالشفتين، "ينفع": تنطق النون بالشفة السفلى والأسنان العليا، "من رأى": تنطق النون مكررة، "ينقل": تنطق النون مفخمة في اللّهاة، يقول تمام حسان: "كل ذلك فروع للنّون، وكله عدول عن الأصل بحسب الموقع، وبسبب ارتباطه بالموقع يعتبر عدولا مطردا، وبسبب اطّراده يسهل رده إلى أصله، فنعرف أن هذا الفرع من قبيل النون وإن لم يكن نطقه من مخرج اللّثة الذي هو الأصل ولم يكن في بعض الحالات مرققا كما رأينا" [11]، فبمثل هذا قسم النّحاة الحروف الأصوات إلى أصول وفروع: "فقد نصوا على أن الأصل هو منطلق التحليل الذي ينسب إليه الفرع، وكأنّهم بهذا ينسبون إلى الأصل نوعا من الحدس النّفسي في سليقة المتكلم العربي يجعله يسعى عند النّطق إلى تحقيق الأصل فتحول مطالب الموقع والجوار من إدغام وإخفاء.. دون تحقيق الأصل فيتحقق الفرع آليا دون وعي من المتكلم" [12]، ومن هنا ففروع النون لا يعترف بها نظام اللّغة العربية، إذ يرمز إلى نون واحدة في الكتابة وهي التي تستصحب بغرض الاقتصاد، لأن الرّمز إلى الفروع المتعدّدة للنون يضيف عبئا جديدا يثقل الكاتب [13]. فالكاتب لا يسجل إلّا نونا واحدة يستصحبها اقتصادا.

2- **مستوى الكلمة**: تقسّم الكلمات بحسب الجمود والاشتقاق إلى نوعين: كلمات تركيبية محصورة كالضمائر وأسماء الشرط والاستفهام، وكلمات اشتقاقية غير محصورة قابلة للزيادة كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم الآلة... لكنّ السؤال كيف وصل النّحاة إلى أصل وضعها؟ وصلوا بتجريدهم لنوعين من الأصول:

أ-الأول: هو **أصل الاشتقاق**: الذي منه تظهر صلة القرب بين أنواع عدة من الكلمات مثال ذلك: علم، عالم، معلوم، معلم، علاّم، عليم، يعلم؛ فصلة القرب بين هذه الكلــــمات هو اشتــراكها في أصل البنية وهو الحروف الأصلية ع.ل.م بهذا الترتيب، وهــذه الحروف تمثل في الأصل: فاء الكلمة وعين الكلمة ولام الكلمة حسب الميزان الصرفي وهذا هو الأصل الأول الذي أنشأه النحاة.

ب- **الثاني**: **أصل الصيغة**: المقصود به حروف الكلمة التي تقابل حروف الميزان الصرفي الثلاثة (الفاء، العين واللام) وهي فعل، فاعل، مفعول، مفعل، فعيل، فعّال، انفعل، افتعل، استفعل، تفاعل..

فالعلاقة بين أصل الاشتقاق وأصل الصيغة هي علاقة التقاطع التي ينتج عنها أصل مجرد في الذهن يحاول النّحوي الكشف عنه من خلال ملاحظة الاستعمال لها، فـ**قال** التي في الاستعمال تنتمي إلى **قول** التي في الذهن، مثلها تماما **كتب** التي في الاستعمال **وكتب** التي في الذهن؛ "وهكذا يصبح أصل الوضع بالنسبة للكلمة الاشتقاقية مكونا من عنصرين أصل الاشتقاق وأصل الصيغة، وحين يتقاطع هذان يأتي عن التقائهما أصل مجرد في الذهن أو نموذج وصورة معقولة لا منطوقة يحاول النّحوي أن يكشف عنها من خلال النّظر إلى الاستعمال" (14).

فتقاطع أصل الاشتقاق وأصل الصيغة أعطى كلمات، منها ما جاء مستعملا وضعا وقياسا، ومنها ما أهمل، كصيغة **جذيب** من **جذب** وإن كانت القسمة تجيزها، أي أنها مقدرة في أصل الوضع بالقياس حملا على نظائرها في هذا الوزن، فما أهملت إلاّ لعلة كالاستثقال أو الاستغناء عنها بغيرها، من ذلك:**ودع وفقُر وحمر**، فالقسمة أجازت هذه الأفعال لكن الاستعمال استغنى عنها بغيرها فقد استغنوا بـ**ترك** عن **ودع** وبـ**افتقر** عن **فَقُر** و بـ**احَمرّ** عن **حَمِرَ**.

فهذا التجريد للأصول والصيغ هو ما سمح بمعرفة الأصول المقدرة المستعملة والمهملة ، لكن ما أهمل أو ترك علّل وفسّر بالاستثقال والاستغناء والتعويض.

يقول الدّكتور بن لعلام: " في النّحو العربي أصول يقول بها النّحاة ويقدّرونها ولا تتكلم بها العرب ولم يرد بها السماع وهي كثيرة" (15)، وقد ذكر أنّ ابن جنّي أورد في منصفه: "لا ينكر أن يكون في كلامهم أصول غير ملفوظ بها إلّا أنّها مع ذلك مقدّرة وهذا واسع في كلامهم كثير، ألا ترى أنّهم قد أجمعوا على أن أصل **قام**، **قوم**، وهم مع ذلك لم يقولوا قط "**قوم**"، ويقولون إنّ أصل **يقُوم**، **يقْوُمُ**، ولم نرهم قالوا: **يَقْوُم** على وجه فلا ينكر أن يكون في كلامهم أصول مقدرة غير ملفوظ بها" (16)، ونفس الطرح ينقله الملخ عن الكفوي يقول: "فقد تمّ التوصل إلى أصل وضع الفعل والاسم بالاستعانة بأصلين أولهما أصل الاشتقاق- سماه الكفوي مادة التركيب- وهو الجذر الصرفي، وثانيهما أصل الصيغة وهو

البنية الصرفية، ومن تقاطع هذين الأصلين يتكون أصل مجرد تنقله إلى الكلمة إن كانت مستعملة، وإلاّ قلنا إنّه مهمل نحو أصل الاشتقاق **ض.ر.ب** وأصل الصيغة **انفعل**، فيوضع من تقاطعهما **انضرب** وهي مهملة فتلغى، أمّا لو كان أصل الصّيغة **فاعَلَ** فيوضع من تقاطعهما **ضارَبَ**، وهي كلمة مستعملة، وهكذا فأصل الوضع فكرة مجردة"[17]. فعند تقاطع أصل الصيغة مع أصل الاشتقاق تظهر الكلمة في أصل وضعها مستعملة أو مهملة، فهذه الأصول المقدرة غير الملفوظ بها إنّما عدل عنها لعلّة جهد النّحاة في تفسير وتعليل هذا العدول، لذلك قال ابن جنّي:"إذا عرف الأصل قرب الفرع"[18] ،فالنّحاة يتحدثون كثيرا عن مسائل العدول عن الأصل الذي يتمّ وفق قواعد تحويلية ومن ثمّ آليات الرّد إلى الأصل التي انتهجها النّحاة كالتقدير والتعليل. فالعدول عن الأصل يبطل معه دليل الاستصحاب ، ومنه وجب علينا ذكر بعض وجوه العدول عن الأصل لنبيّن أنّ الاستدلال بدليل الاستصحاب لا يصحّ معـها و ذلك لعلـل كثيرة طارئة اعترضت اللّفـظ فعـدلت به عـن أصله.

<u>أوجـــه العـــدول عـــن الأصـــل</u>: نورد طائفة من المسائل فيها أوجه العدول عن الأصل لنبيّن أنّ الاستصحاب يبطل معها ،فعلى مستوى الكلمة صرفيا لجأ النّحاة مثلا إلى:

<u>الإعلال</u>: وهو من وجوه العدول عن الأصل وحروفه ثلاثة (اوى) ويتم بالقلب والحذف والإسكان، وما مالوا إليه إلاّ للثّقل وتعذّر النّطق، أو للتخفيف اقتصادا في المجهود "والإعلال حذف حرف العلة أو قلبه أو تسكينه"[19]، فمثال الحذف في **يرث** والأصل **يورث** وقعت الواو بين ياء وكسرة فاستثقلوا فحذفوا، والنقل في **يقُول** والأصل **يقْوُل**، والقلب في **قال** والأصل **قوَل**، والإسكان في **يمْشِي**، والأصل **يَمْشِيُ**. فالثقل منع استصحاب الأصل إلى الفرع بغرض الخفّة.

ومن أمثلة الإعلال بالحذف عند التقاء حرف مدّ مع ساكن في نحو قُمْ، وخفْ، وبِـعْ، وقُمْت، وبِعْت، يَقُمْن، يَخَفْنَ، يَبِعْن، قاضٍ، فتًى، والأصل فيها قُومْ، خافْ،بيعْ، قُومْت، بيعت، يقومْن، يخافْن، يبيعْن، قاضينْ، فتانْ، فالتقاء المدّ وهو ساكن مع الساكن بعده حذف حرف العلة، فهذه التقديرات هي ضرب من الردّ إلى الأصل، والحذف عدول عنه.فهذا العدول يبطل معه استصحاب الأصل، فبالإعلال خرجنا عن الأصل المقدّر -وهو ما يستصحب أصلا- إلى الفرع المستعمل.فعلّة الاستثقال دعت للتخفيف الّذي يجنح إليه العربي بسليقته.

ومثاله أيضا: الفعل المعلوم المثال الواوي على وزن يفعل، مكسور العين في المضارع، فيقع أن تحذف فاؤه من المضارع والأمر والمصدر مع تعويضه بالتاء في المصدر نحو، يَعِدُ، عِدْ، عِدَةً، وشذ يَقَعُ، ويَطَأُ، يقول السيوطي: "ومن المطّرد حذف الواو من المضارع الثلاثي فاؤه استثقالا لوقوعها بين ياء مفتوحة وكسرة ظاهرة **يعد** أو مقدّرة كـ**يقع**، **يسع** وحمل على ذي الياء وأخواته كـ:أعد، تعد، نعد، والأمر كـ:عِدْ والمصدر الكائن فعل محرك العين بحركة الفاء معوضا عنها تاء التأنيث لعدة"[20]، فإذا كان الردّ إلى الأصل في المستوى الصوتي مرتبط بحدس المتكلم والسامع والكاتب، فهم مرتبطون بالأصل دون الفرع، أما في المستوى الصرفي فإن الحدس مرتبط بالفروع المستعملة دون الأصول المقدّرة، لأنّ هذه الأصول

من تجريد النّحاة لها[21]، فالنّاطق حين يتلفّظ بــــ**قال** و **ميزان لا** يفكر في أنّ أصلها قول أو موازن، ولا يفكّر أنه حدث لها قلب أو نقل أو إعلال أو غيره من قواعد التّحويل، لأنّ هذا الأصل المقدر من اختراع النّحاة وذلك من خلال بنائها من علاقة التقاطع التي تحدثنا عنها بين أصل الصيغة وأصل الاشتقاق فقدّروا أصل المدّ في قال بالواو وأصل الياء في ميزان بالواو وهكذا. فالتّقدير تمّ بالردّ إلى الأصل، فالعلّة منعت اللّفظ من خروجه إلى الاستعمال كما قدّر في أصل الوضع، أي أنّ اللّفظ لم يبق على حاله كما قدّر له في أصل الوضع فلا تستصحب صيغتا موْزان وقوَل لعلّة الثقل.

يقول الدكتور بن لعلام: "إنّ هذا العدول دعا النّحاة إلى التقدير وذلك برد الفروع المترتبة عن العدول إلى أصولها المحوّلة عنها لبيان العلاقة التفريعية التي تربط بين الأصول وبين فروعها"[22] ، وبعد التقدير يأتي دور التّعليل والتّفسير. تحدّث سيبويه عن تعليل الحذف بالتّخفيف ولا سيما في مستوى الأصوات والصيغ كالإعلال والإبدال والإدغام "إذ أنّ العرب كثيرا ما تعدل عن الأصل الثقيل بتخفيفه، ومن ذلك حذف فاء المضارع المثال الواوي كما في يقف، يثب، وأصلهما المقد ر:يوْقِف، يَوْثِب، هذا الحذف لأنّ العرب تكره الواو بين ياء وكسرة"[23]، ومعنى تكره أي تستثقل، فالنّحاة يعلّلون الفروع التي خرجت على الأصل كـيقف، يثب وأصلها المقدر يوقف، يوثب لوقوع الواو بين ياء وكسرة. فالمتكلم ما عدل عن الأصل إلاّ للاقتصاد في جهد النطق[24]، مع العلم أن الأصول لا تعلّل أبدا، فالاستعمال يقتضي الخروج عن الوضع والقياس طلبا للخفة أو هروبا من الاستثقال وذلك بالإعلال والإبدال والإدغام.

فكثرة الاستعمال وطلب الخفّة والهروب من الثقل كلّها تجيز ترك الأصل والميل نحو الفرع، مثال ذلك حذف لام الأمر، والحذف الذي وقع على سوف وهذا من استدلالات البصريين الذين يقولون: "كثرة الاستعمال تجيز الخروج على الأصل، وتجيز الحذف"[25]، فوقوع الواو بين ياء وكسرة في يوعد مستثقلة فوجب حذفها في المضارع والأمر والمصدر، ومع تعويض الحذف في المصدر بتاء عدة، فهذه الكلمات يعدُ، عِدْ، عدة، يصلُ، صِلْ، صلة، فروع مستعملة مغيرة في الاستعمال عن أصل وضعها.

ما جاء على الأصل هو ما يستصحب ولا كلام فيه وإنّما النّظر فيما جاء على غير الأصل كالفعلين (يعد) و(يصل) فقد حذفت فاء الفعل وهي (الواو) لعلّة الاستثقال، فجنحوا للتّخفيف، وقد كان أصل وضعهما على (يوعد) و(يوصل) يقول الدكتور عفيفي: "يمكننا تفسير التغيير الحاصل بأنه قد حصل إعلال بحذف الواو نتيجة عدم تجانس الواو مع حركة الفتح مما أحدث ثقلا فنحا الاستعمال إلى التخفيف بحذفها وإسقاطها من الكلمة، فلو سُبقت الواو بضمة وهي الحركة المجانسة لها لثبتت"[26]، وهكذا الحذف في سائر الأحرف المضارعة (أعد، نعد، تعد)، ومثاله أيضا في حذف همزة المضارع من أكرم، ومنه فقد بطل دليل الاستصحاب هنا للعلّة الّتي طرأت على الأصل. "وزعم الخليل أنه كان القياس أن تثبت الهمزة في يُفْعِل ويُفعَل وأخواتها.. ولكنّهم حذفوا في باب أفْعَلَ من هذا الموضع فاطرد الحذف فيه لأن الهمزة تثقل عليهم، وكثر هذا في كلامهم فحذفوه واجتمعوا على حذفه"[27].

فأصل الوضع في الفعل أكرم عند تحويله إلى المضارع يؤكرم، فحذف الهمزة من المضارع وجوبا لثقل اجتماع الهمزتين، ومثاله أيضا في اسم الفاعل واسم المفعول تقول مُكرِم ومُكرَم عدولا عن أصل مُؤَكْرِم و موُكْرَم. يرى سيبويه أنّ حذف همزة المتكلّم من أُأَكرم حمل عليه سائر أمثلة المضارع واسم الفاعل واسم المفعول فقيل أكْرِم، ونكرِم، وتكرِم ويكرِم، وما لم يسمّ فاعله منه أُكْرِمَ ومُكْرِم بضم الميم وكسر الراء، ومكرَمُ بضم الميم وفتح الرّاء، وذهاب الهمزة في هذا الباب نظير ذهاب الواو من أمثلة مضارع "وَعَدَ" ونحوه"(28) لهذا يقول الحاج صالح: "أمّا الاستعمال فهو كيفية إجراء الناطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب، وليس كل ما يقتضيه القياس يحصل في الكلام، فالقياس كعملية عقلية قد يؤدي إلى ما لا يقبله الاستعمال لأنّ هناك مقتضيات أخرى غير ما يحتمله الوضع والحدّ اللّغوي، فالاستعمال هو أيضا له قوانينه وهي غير القوانين التي يخضع لها الوضع والقياس وهي التي ينبني عليها أحوال التبليغ، وقد قلـنا بأنّ مستـــوى التبـــليغ والإفـــادة غير مستوى الوضع المصطلح عليه لأنّ هذا الأخير وإن كان هو الرّابط الذي يربط به المتكلم بالمخاطب إلا أنه قد تصيبه عوارض الاستعمال وهي عوامل جدّ طبيعية ولها قوانينها الخاصة بها وبالتّالي قد تخضع لقياس آخر إذا كثرت واطردت وهو قياس مناقض لبعض مقاييس الوضع، ونذكر على سبيل المثال القلب والإبدال والإعلال والإدغام وغيرها في مستوى الأصوات والصيغ، ومنها ما هو خاص بقوم كلغات العرب بالنسبة للعربية، ومنها ما هو راجع إلى إحدى مراتب الأداء التي ذكرناها، وبصفة عامة إلى مقتضى الحال حسب التّعبير القديم ولهذا يكثر في الاستعمال العفوي الحذف والإضمار والبدل والتقديم والتأخير حتى يشذّ كلام كبير عن القياس وهو مع ذلك مقبول بل يكون عكسه غير مقبول، وأساس القوانين التي يبنى عليها الاستعمال اللغوي هما هذان المبدآن المتدافعان، الاقتصاد في المجهود العضلي و الذّاكري الذي يحتاج إليه المرسل والبيان الذي يحتاج إليه المرسل إليه"(29).

الإبدال:الإبدال مظهر من مظاهر العدول عن الأصل أي يبدلون صوتا أو حرفا بآخر ليقع تجانس صوتي خاصة في باب افتعل أي الكلمات التي هي من هذا الباب أو نظائر لها في مشتقات أخر كاسم الفاعل واسم المفعول، ذكر هذا أبو الفتح في باب ما تقلب فيه تاء افتعل عن أصلها ولا يتكلّم بها على الأصل البتّة، كما لم يُتكلم بالفعل من قال، باع وما كان نحوهن على الأصل. أمّا اصطبر فأصله اصتبر، فكرهوا استعلاء الصاد بعدها حرف غير مستعل وهو التاء إلاّ أنه من حيز حرف مستعل وهو الطاء فأبدلوا من التاء ما هو مستعل من حيزها وهو الطاء فقالوا: مصطبر فاتفقت الصاد والطاء في الاستعلاء ثم صرفوه على ذلك فقالوا: اصطبر ومصطبر لأنّ العلّة قائمة. وأمّا اضطرب فأصله اضترب فقرّبوا التّاء من الضاد بأن قلبوها طاء لتوافقها في الاستعلاء، فقالوا "اضطرب، وصرفوه على ذلك فقالوا: يضطرب، ومضطرب"(30) ، فقد جرى في الاستعمال أن عدل عن لفظ اصتبر التي في أصل الوضع إلى اصطبر التي في الاستعمال لعلّة استثقال وهو عدم تجانس حرفين الصّاد مع التّاء، فالصّاد حرف مستعل والتّاء غير ذلك فنظروا فوجدوا التّاء قريبة من الطّاء والطّاء حرف مستعل فقربوا الطّاء من الصّاد

وكلاهما حرف مستعل فصار اصطبر واصطبار وكذلك اضطرب والأصل اضترب وهذا لعلة صوتية لسانية. تقول منى إلياس: "فالعلل الصرفية تعود في الأغلب إلى أسباب لسانية بحت، مدارها اجتناب الثقل وطلب الخفة من ذلك موزان ومُيْقن وقوَل وبيَع، فقالوا:ميزان موقن وقال وباع...هذا المبدأ يؤيّده اللّغويين المحدثون كما ظهر لهم من دراسة مختلف اللّغات، وهو ما عبّروا عنه بقانون الاقتصاد اللغوي أو الجنوح إلى الجهد الأخف"(31) .

يعلق الأستاذ بن لعلام على هذه الظاهرة: "قالوا إنّ أصل اصطبر اصتبر وأصل ازدحم ازتحم، وأصل اتّقد اوتقد فحملوا ما دخله التّغيير بإبدال على ما لم يبدل منه شيء إذا كان من بابه نحو اعترف واقترب و اعتقد فصيغتها كلها في الأصل افتعل وهي الجامع بينهما في القياس"(32)، ويقول: "يكون ذلك بمثابة معيار أو قالب يعرف به لفظ الكلام الذي خرج عن الأصل بإجرائه عليه"(33) ، والمقصود هنا بالأصل أصل الوضع وهذا المعيار أو القالب هو ما سماه تمام حسان أصل الصيغة وأصل الاشتقاق، فعند تقاطعهما نصل إلى الكلمة مستعملة أو مهملة ثم ندرك الأصل.والمقصود أنّ أفعالا ثلاثية عند تحويلها إلى المزيد بحرفين على مثال افتعل ترد على الأصل تقول في كتب، ورسم، وخرق من المزيد: اكتتب، وارتسم، واخترق، فهذا هو الأصل المستصحب. لكنّ الاستعمال أخرج لنا أفعالا على غير الأصل فلم تستصحب بنيتها الأصل، كالأفعال: صبر، وصرخ، وصخب، وزحم، وضجع، فأصلها على مثال افتعل كالآتي: اصتبر، اصترخ، اصتخب، ازتحم، اضتجع، لعلّة صوتية منعت اللّفظ أن يأتي على أصل وضعه، فالاستعمال أخرج لنا اصطبر، اصطرخ، اصطخب، ازدحم، اضطجع. فلكي يقع التجانس بين الحروف المتجاورة وقع إبدال صوت بصوت.فالتقدير والتأويل والرد إلى الأصل يتم بعمليات تحويلية فقد يكون بعملية واحدة أو عمليتين أو أكثر، يقول الحاج صالح: "ترتيب العمليات التحويلية ترتيبا منطقيا لتصل إلى النتيجة المطلوبة وهو ظاهر اللفظ"(34) ، بقياس اللفظ على نظائره من نّفس الصيغة في باب الإبدال كـــ: افتعل من الكلمات اقترب، اعترف، نصل إلى أنّ اضطرب واصطرخ وغيرها منها، فنجد الطاء المبدلة من التاء ليست من حروف الزيادة **سألتمونيها** فيعلم النّحاة أنه قد وقع إبدال صوت بآخر للتجانس والفرار من الثقل وهذا الإبدال قاعدة تحويلية واحدة وقد يكون التحويل بقاعدتين أو أكثر.

ولـمَّا قالوا اضطرب أصلها اضترب ليس معنى هذا أنهم نطقوا اضترب، فهي كــقام التي أصلها قوم، وهو ما أوضحه ابن جنّي بقوله: "اعلم أنّك إذا قلت افتعل..لا يقال في اصطبر اصتبر ولا في اضطرب اضترب ونحو ذلك،وإن كان هذا هو الأصل، كما يقال في قام: قوم، ولا في باع: بيع، وإن كنّا نعلم أنّ هذا هو الأصل، وفي كلامهم من الأصول المرفوضة الاستعمال ما لا يحصى كثرة" (35) فالإبدال تقريب صوت من صوت أو حرف من حرف ليتوافقا في الجهر.

الإدغام: شكل من أشكال العدول عن الأصل في مستوى الكلمة وذلك بضم المثلين المتحركين كشَدّ، مَدّ، عَدّ، وأصلهن: شَدَدَ، عَدَدَ، مَدَدَ، بالفتح وهو على ثلاثة أنواع: واجب وجائز وممنوع. والإدغام لغة

الحجازيين وفكّه لغة التميميين، فالأولى أفصح والثانية أقيس يقول ابن جنّي: "اعلم أن بعض ما ندّعي أصليته من هذا الفن قد ينطق به على ما ندعيه من حاله وهو أقوى الأدلة على صحة ما نعتقده من تصور الأحوال الأول وذلك اللغتان مختلف فيهما القبيلتان كالحجازية والتميمية، ألا ترى أنّا نقول في الأمر من المضاعف في التميمية نحو: شدّ، وضنّ، وفرّ، واستعدّ، واصطبّ يا رجل واطمئنّ يا غلام، إنّ الأصل اشدد واضنن وافرر واستعدد واصطبب واطمأنن ومع هذا فهكذا لغة أهل الحجاز وهو الفصحى القدمى" [36]، ويقول: "دعانا إلى هذا التأول السّعي إلى إقرار اللّفظة على أوّل أحوالها" [37]، ومعنى أوّل أحوالها: أصل الوضع فالأمثلة من التأويل والعدول عن الأصل إلى الردّ إلى الأصل باستصحابه، هذا قد يخرج إلى القياس بخلاف الأفصح .فقد جاء في شعر العرب: {إنّي لأجود لأقوام وإن ضننوا}

يقول الفرزدق: ولو رضيت يداي بها وضننت لكان عليّ في القدر الخيار

فأصل ضنّت هو ضننت بدليل خروجها إلى الاستعمال ضننوا، ومنه أن أصل شلّت يده شللت والمقصود في هذا كله لو جاءت مجيء الصحيح لوجب إظهار التضعيف إذ هو الأصل [38]، فخروج المدغم في كلام العرب بغير إدغام منبهة على أصله. يقول: "ومنها -الأصول المقدرة- ما يمكن النطق به غير أن فيه من الاستثقال ما دعا إلى رفضه واطّراحه، إلا أن يشذ الشيء القليل منه فيخرج على أصله منبهة ودليلا على أولية حاله كقولك: لححت عينه وألل السقاء إذا تغيرت ريحه" [39]."وقد يفَك الإدغام في غير شذوذ نحو لححت عينه، وألل السقاء أو في ضرورة كقول الشّاعر:

الحمد لله العليِّ الأجلل الواسع الفضل الوهوب المجزل" [40].

3-**مستوى الجملة(التركيب)**: أصل الوضع في الجملة تألّفه من مسند ومسند إليه، بهما تتحقق الإفادة وما عداهما يدعى فضلة وهو من المتمّمات، فالجملة الاسمية تتألف من مسند إليه المبتدأ ومسند الخبر، وفي الجملة الفعلية الفعل مسند، والفاعل مسند إليه أو نائبه.ومن أصول التركيب إضافة إلى الإفادة الإظهار والذّكر والوصل والرّتبة، ويقع العدول عن هذه الأصول بالحذف والإضمار والفصل وتشويش الرتبة بالتقديم والتأخير، والرّد إلى الأصل يتّم بتقدير المحذوف أو التفسير أو الإظهار أو إعادة الترتيب... [41] وما جاء على الأصل فلا كلام فيه، وإنّما الشّأن ما بطل معه الاستصحاب أي الفرع المحوّل عن حاله.

ولا نعدل عن أصل وضع الجملة إلا بعد أمن اللّبس فتتحقّق الفائدة، ولا حذف إلا بدليل ولا إضمار إلا بوجود المفسّر، ولا تقديم ولا تأخير إلا بوضوح المعنى، وحيث لا تكون الرتبة واجبة الحفظ [42]، فكل هذه الأصول إنما تخضع لأكبر قاعدة وهي قاعدة الإفادة إذ لا يمكن العدول عن أصل الوضع إلّا مع تحقق الفائدة وإلّا يبقى التركيب على أصله، وفي هذا يقول ابن السراج: "الأصل في الكلام أن يوضع للفائدة" [43]، كما يجب أن يخضع التركيب إلى أصل القاعدة، فالكلام العربي يجري وفق سنن معين وعليه فالنّحاة بنوا أصولهم وفق هذا الجريان إلا ما وقع فيه الاستثناء، إذ لكل قاعدة استثناء، يقول

المهيري: "أما التقعيد فتلك الضوابط التي يستنبطها النّحوي من استعمالات النّاس للغتهم بحصر الثّوابت فيها، وغضِّ الطّرف عمّا هو عرضي ظرفي ليس ضامنا للتّبليغ في كل الحالات، ومن هنا كان التقعيد رهين الاستعمال صادرا عنه موفرا لأسباب الكلام، ومقاييسه، ممكّنا المتكلّم من دليل يقتدي به ومرجعا يحتكم إليه ونموذجا يقيس عليه، وإذا كان التّأصيل لا مفر فيه من التأويل والافتراض أحيانا فإن التقعيد لا يكون إلا بالاعتماد على ما هو ملموس في الكلام يمكن التّدليل عليه بما يوفره الاستعمال ويرغب فيه عمّا لا تؤيده الظواهر الواضحة للعيان والآذان"(44)، ومعنى القول أنّ النّحاة بنوا قواعدهم بحصر الثوابت بناء على المطرد من المسموع، وما خرج على الأصل فسّروه وعللوه فسموه المطرد، والمهمل والمهجور والشاذ، ويقول: "نعني بالتأصيل ذلك السعي إلى تجاوز ظاهر الأمور وواقع الاستعمال بحثا عن اندراجها في نظام متكامل رغم اختلاف معطياته، متماسك رغم تنوع مكوناته أو محاولة لوضع جهاز تفسيري نظري يعقلن ما قد يبدو فوضويا ويرجع ما هو في واقعه استعمالات فردية في مقامات متباينة ولأغراض مختلفة إلى نمط موحّد يفي بكلِّ كلام مهما كانت دواعيه وغاياته ومهما كان مجال تصرف المتكلم فيه"(45). خلاصة الكلام أن النّحوي يلجأ إلى تفسير وتعليل ما خرج عن الأصل لبيان حكمة واضع اللغة.

<u>ومن آليات العدول عن الأصل في مستوى التركيب:</u>

أ- **<u>الحذف</u>**: الأصل المستصحب هو الذكر، أمّا الحذف فهو فرع عليه عدل به عنه لذا وجب تفسيره وتعليله، ويكون بحذف حرف أو كلمة أو جملة .

<u>الحرف</u>: حذف حرف المبنى يكون في مثل ما ورد في كلام العرب أو القرآن الكريم، منه قوله تعالى: {وَلَـمْ أَكُ بَغِيًّا}، أو في قول العرب (لا أدر)، إذ الأصل (لم أكن ولا أدري) والعلّة في الحذف التخفيف وكثرة الاستعمال، يقول سيبويه: "هذا باب ما يكون في اللفظ من أعراض: اعلم أنّهم مما يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوّضون ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطا، فممّا حذف وأصله في الكلام غير ذلك لم يك ولا أدر وأشباه ذلك"(46)، فالحذف مما يدعو إليه الاستعمال فهو قانون خارج عن أصل الوضع، وما ذاك إلاّ لعلّة، من ذلك التّخفيف، يقول ابن جنّي: "وقد يحذفون بعض الكلم استخفافا"(47) ، فلغة العرب تجنح إلى التّخفيف إذا أُمن اللَّبس: "والعرب يتخففون ما وجدوا السبيل ويحذفون الكلمة إذا فهمت والجملة إذا ظهر عليها والأداة إذا لم تكن الحاجة ملجئة إليها"(48)، "كثرة الاستعمال تجيز الخروج عن الأصل"(49)، "وكثرة الاستعمال تجيز الحذف"(50) أي أنّ الحذف من سبل الخروج على الأصل فهو علّة يبطل معها الاستصحاب.يقول ابن السراج: "لم **أبل** فحقه أن تقول لم **أبال** كما تقول لم أرام فحذفت الألف لغير شيء أوجب ذلك إلا ما يؤثرونه من الحذف في بعض ما يكثر استعماله وليس هذا مما يقاس عليه"(51) ، فمضمون القول أنّ الحذف قد يجري على القياس كما في لم يك وهذا لكثرة الاستعمال، أما لم أبل فإنما جرى لغير قياس، وإنّما هي ضرورة كثرة الاستعمال وطلب الخفة. كما يجوز حذف صدر

صلة الموصول في مثل قولنا: "ما أنا بالذي قائل لك سوءا، وما أنا بالذي قائل لك قبيحا"[52]. وتقدير الكلام ما أنا بالذي هو قائل لك قبيحا، فطول الكلام في الموصول مع صلته أجاز حذف صدر صلته تخفيفا.

الكلمة: وكما حذفوا الحرف حذفوا الكلمة وهذا كثير في كلامهم لكن لابدّ من توفر القرائن الدّالّة على ذلك الحذف، كقرينة الحال والتفسير ودلالة الموضع مع أمن اللّبس، مثال ذلك: في الاختصاص تقول:نحن المسلمين، نصب لفظ(المسلمين)على الاختصاص بتقدير فعل وهو العامل النصب في المفعول (المسلمين) المتمثّل في الفعل (أخُصّ)، فقرينة الإعراب وهي النّصب دلّت على المحذوف الفعل.ومنه قوله تعالى في سورة يوسف:{صَبْرٌ جَمِيل}، قرينة الرّفع في لفظ صَبْرٌ دلت على أنّ المحذوف مرفوع تقديره: صبري صبرٌ جميلٌ. صبرٌ خبر لمبتدأ محذوف يقدّر بصَبْرِي، ومن القرائن أيضا، قرينة الموضع التي لها حكمها في الدلالة على المحذوف ففي قوله تعالى: {وإنْ أحدٌ من المشركين استجارك}، فـ (إنْ) لا يليها في موضعها إلّا الفعل، فأحدٌ اسم مرفوع يعرب فاعلا بدلالة الموضع الذي يلي (إنْ) و(إنْ) لا يليها إلا الفعل نقدّره بالفعل استجارك الذي يفسره وهذه قرينة أخرى، قرينة التفسير تقول:{وإن استجارك أحد من المشركين استجارك}.يقول ابن يعيش: "وأما لَوْ فإذا وقع بعدها الاسم وبعدها الفعل، فالاسم محمول على فعل قبله مضمر يفسر الظاهر، وذلك لاقتضائها الفعل دون الاسم كما كان الحال في (إنْ) كذلك، وهذا محقق لها شبها بأداة الشّرط فحكمها في هذا الموضع حكم {إذا السماء انشقت}، و{إن امرؤ هلك} قال تعالى: {لَوْ أنتم تملكون خزائن رحمة ربي} فقوله أنتم فاعل فعل دلّ عليه تملكون، هذا الظاهر والتقدير، لو تملكون خزائن تملكون، وكان هذا الضّمير متّصلا، فلمّا حذف الفعل صار فصل الضمير منه وأتى بالمنفصل الذي هو(أنتم) وأجري مجرى الظّاهر، ومن كلام حاتم (ذات سوار لطمتني) على تقدير لو لطمتني ذات سوار لطمتني"[53]. فما يؤخذ من هذا الشّاهد أن ابن يعيش حمل ما أضمر فيه العامل {إذا السماء انشقت}، {لو أنتم تملكون} وقول حاتم (ذات أسوار لطمتني) على العامل المضمر في {إن امرؤ هلك} و {إنْ أحدٌ من المشركين استجارك}، فـــــ(إن) لا يليها إلا الفعل فكذلك (إذا، ولو). ومن القرائن قرينة الحال وغيرها.

كما أنّ للحذف وجوها بلاغية أشار إليها الجرجاني ،مثال ذلك يقول عن قوله تعالى: "{واسأل القرية} الأصل واسأل أهل القرية، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل وعلى الحقيقة هو الجر، والنصب فيها مجاز، وهكذا قولهم: (بنو فلان تطؤهم الطريق) يريدون أهل الطريق، الرفع في الطريق مجاز لأنه منقول إليه عن المضاف المحذوف الذي هو الأصل والذي يستحقه في أصله هو الجر"[54]، فالأصل كما نعلم الذكر وما وقع الحذف إلا لغرض بلاغي وهو المجاز.

الجملة: يقول ابن جنّي:"فقد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل وإلا لكان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"[55] بمعنى أنّ الحذف يقع وفق سياقات وعلل. ومن ذلك حذف الجملة بعد حرف النّداء، فعند قولك: يا عبد الله فهي على تقدير أدعو

وأنادي عبد الله، فحرف النداء ناب عن الجملة أدعو وأنادي، والقرينة الدالة على الحذف قرينة البدل، فــ(يا)بدل عن الجملة المحذوفة، فحرف النّداء دليل لفظي بدل عن الجملة المضمرة، "يا عبد الله حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم هذا في كلامهم وصار (يا) بدلا من اللّفظ بالفعل كأنه قال: يا أريد عبد الله، فحذف أريد وصارت (يا) بدلا منها لأنّك إذا قلت: يا فلان، علم أنّك تريده" [56]، مثاله أيضا الإغراء والتّحذير، تقول :الصبرَ الصبرَ أو الأسدَ الأسدَ، فقد نابت كلمتا الصبر والأسد عن العامل المحذوف (الزم، احذر)، فمن قواعد النّحاة (لا عمل إلا بعامل)، لذلك لما انتصب لفظ الأسد ولفظ الصّبر كان يجب أن يقدّر العامل، ويعلّل سبب نصب المعمول. والدّليل قرينة الإعراب الدّالة على العامل المحذوف وهو الجملة وعليه نقول أنّه يمكن أن تدلّ قرينة أو مجموعة من القرائن على المحذوف وهو كثير في كلام العرب إمّا هروبا من الاستثقال أو جنوحا نحو الخفّة، مع الحركة أو الحرف أو الكلمة أو الجملة بشرط أمن اللّبس.

ب- **الزيادة**: من مظاهر العدول عن الأصل إلى الفرع، الزّيادة في مستوى الجملة، فزيادة الحرف لا يغير من المعنى الأصلي شيئا فدخوله كخروجه إلا أنّ له تأثيرا في إضافة معنى جديد، إذ كل زيادة في المبنى زيادة في المعنى، يقول السيوطي:"إنّ قولنا زائد ليس المراد منه أنه دخل لغير معنى البتة بل زيد لضرب من التأكيد والتأكيد معنى صحيح" [57]، والأبواب التي تقع فيها الزيادة كثيرة كالإلغاء والتعليق والاعتراض بالجملة، وباب حروف الجرّ الزائدة وغيرها، والزيادة تمس الحرف والكلمة والجملة:

الحرف: زيادة الباء في مثل قولنا:ليس زيد بعائد، إذ يمكن حذف الباء دون تغيير المعنى، ليس زيد عائدا والدّليل أنّه لماّ جرّ لفظا بقي في الإعراب خبرا لليس، فزيادة الباء عدول عن الأصل والرّد للأصل يكون بحذفها، و قد ورد مثل هذا كثير في كتاب الله:{وما ربُّك بغافل عمّا يعملُ الظالمون} و{وما ربُّك بظلاّم للعبيد} و{وما أنت بهادي العُمْي عن ضلالتهم} فالردّ إلى الأصل يكون بحذف الحرف الزّائد فتقول: وما ربّك غافلا، وما ربّك ظلاّما، وما أنت هاديا العمي، ويبقى المعنى على ما كان.فقد عملت (ما) الحجازية عمل ليس برفع الأول ونصب الثاني.كما تدخل الباء الزائدة على الفاعل في مثل قوله تعالى:{كفى بالله شهيداً} والمعنى كفى الله شهيدا، لكن الباء إنما دخلت للتوكيد [58]، وللتّوضيح يقول الجرجاني في زيادة الباء:"وإنّما وجوب الحكم بهذه الزيادة لهذه الجهة كنحو قولهم:(بحسبك أن تفعل، وكفى بالله)، إن لم تقتض بزيادة الباء لم تجد للكلام وجها تصرفه إليه، وتأويلا تتأوّله عليه البتّة، فلا بدّ لك من أن تقول إنّ الأصل حسبك أن تفعل وكفى الله، وذلك أنّ الباء إذا كانت غير مزيدة كانت لتعدية الفعل إلى الاسم، وليس في (بحسبك أن تفعل) تعدية بالباء إلى حسبك ومن أين يُتصور أن يتعدّى إلى المبتدأ فعل، والمبتدأ هو المعرّى من العوامل اللّفظية؟ وهكذا الأمر في 'كفى' وأقوى وذلك أنّ الاسم الداخل عليه الباء في نحو (كفى زيد) فاعل كفى ومحال أن يتعدّى الفعل إلى الفاعل بالباء أو غير الباء، ففي الفعل من الاقتضاء للفاعل ما لا حاجة معه إلى متوسط وموصل ومعدٍّ" [59]وهذا تعليل جيّد إذ لا تأويل للباء في (بحسبك)و(كفى بالله)، إلّا الزيادة إذ لا وجه لتعدية الحرف إلى المبتدأ في(حسبك)لتعريه

عن العوامل اللّفظية، وفي كفى بالله محال أن يتعدّى الفعل إلى الاسم الفاعل والأمثلة في هذه المواضع التي تزاد فيها الباء،أو الكاف في مثل{ليس كمثله شيء}أو زيادة في قوله تعالى:{هل من خالق غير الله}، أو (ما أتاني من أحد).يقول الأستراباذي في سرّ تسمية هذه الحروف بالزوائد : "سميت هذه الحروف زوائد لا لأنّها تقع زائدة ولا لأنّها لا تقع إلاّ زائدة بل وقوعها غير زائدة أكثر، وسميت حروف الصّلة لأنهّا يتوصل بها إلى زيادة الفصاحة أو إلى إقامة وزن أو سجع أو غير ذلك" (60) وهذا من باب التأدّب حين القول بزيادة هذه الحروف في القرآن الكريم.أمّا سيبويه فذكر أنّ هذه الزيادة إنّما لغرض التّوكيد يقول:"معنى ما أتاني من أحد وما أتاني أحد واحد، ولكن (من) دخلت هنا توكيدا كما تدخل الباء في قولك (كفى بالشيب والإسلام ناهيا)، وفي ما أنت بفاعل ولست بفاعل" (61) ، زيادة في المبنى زيادة في المعنى والتوكيد معنى.

الكلمة: كالاسم أو الفعل وهذا من العدول عن الأصل مثاله زيادة (كان)الناقصة، وبالتالي تكون ملغاة لا عمل لها، فكان تأتي ناقصة (تدخل على المبتدأ فترفعه وعلى الخبر فتنصبه) وتامة ترفع فاعلا، وزائدة لا عمل لها بشرط أن ترد بلفظ الماضي، وأن تكون بين شيئين متلازمين ليس جارا ومجرورا نحو:ما كان أعدل عمر!،وأكثر ما تزاد ما بين(ما وفعل التعجب)(62). والأصل في ما كان أعدل عمر هو ما أعدل عمر بغير أن يتأثر التركيب، لكن ليس زيادة كان هنا لغير حاجة. ومثاله زيادة الاسم، قال سيبويه:"واعلم أنّ ما كان فصلا لا يغيّر ما بعده عن حاله التي كان عليها قبل أن يذكر وذلك قولك:حسبت زيدا هو خيرا منك وكان عبد الله هو الظريف" (63)، فدخول ضمير الفصل (هو) بين المفعولين للفعل القلبي حسب، حسبت زيدا خيرا منك فصل بضمير بين المفعول الأول زيدا والمفعول الثاني خيرا، ودخوله فاصلا بين اسم كان عبد الله والخبر الظّريف، لم يغير ما بعده أي لم يرفع ما بعده على الخبر وأنه مبتدأ إذ(هو) هنا لا أثر له، فهو زائد، فدخوله كخروجه، لم يغير المعنى الأصلي ولا مبناه، يقول ابن السرّاج:"إنه لا موضع له من الإعراب ولو كان له موضع لوجب أن يكون له خبر إن كان مبتدأ، ويكون له مبتدأ إن كان هو الخبر" (64)

الجملة: زيادة الجملة من وجوه العدول عن الأصل مثال ذلك الجملة الاعتراضية إذ تفصل بين متلازمين كبين المبتدأ وخبره، وبين الفعل وفاعله، فالجملة الاعتراضية هي التي تعترض بين شيئين متلازمين لإفادة الكلام تقوية وتسديدا وتحسينا، كالمبتدأ والخبر، والفعل ومرفوعه، والفعل ومنصوبه، والشرط وجوابه، والحال وصاحبها، والصفة والموصوف، وحرف الجر ومتعلّقه، والقسم وجوابه" (65)، وفيما يلي جملة من الأمثلة عن الجملة الاعتراضية وما فصلت فيه بين المتلازمين، قال الشاعر:

وفيهن والأيام -يعثرن بالفتى- نوادب لا يملكنه ونوائحُ

فالجملة(يعثرن بالفتى) فعلية، فصلت بين المبتدأ(الأيام) وخبره (نوادب). وقال آخر:

وقد أدركتني -والحوادث جمّة- أسنّة قوم لا ضعاف ولا عزل

جملة (الحوادث جمة) اسمية فصلت بين الفعل ومفعوله أدركتني وفاعله أسنّة قومٍ (66)

*ومما يزاد(جملة أفعال القلوب) ولا عمل لها أي ملغاة كقولنا: الفقر ظننت مؤدّب فجملة (ظننت) فصلت بين المبتدأ والخبر (الفقر مؤدب) فلما تأخر العامل (ظننت) أبطل عملها، والأصل أن يتقدم العامل كي يعمل تقول ظننت الفقر مؤدبا، فظنّ من أفعال القلوب التي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر.يقول ابن السرّاج: "وحقّ الملغى عندي أن لا يكون عاملا ولا معمولا فيه حتى يلغى من الجميع وأن يكون دخوله كخروجه لا يحدث معنى غير التّأكيد"[67] فابن السراج يتحدث عن زيادة الجملة ولكن ليس لغير معنى بل وجودها له معنى التّأكيد.

ج-الاستبدال في الموضع: وهو من آليات العدول عن الأصل، وهو مطرد في العربية وأوجهه متعددة من ذلك أن الاسم أصله أن يكون معربا متمكّنا، لكنّ هذا الأصل قد يحدث أن يحل محله ما يعدل به عن أصله بالاستبدال في الموضع ويكون له محل من الإعراب، ولا سبيل للاستصحاب معه بمعنى أنّ اللّفظ لم يبق على حاله الأصلي، من ذلك:

الاسم المبني: والأسماء المبنية عديدة كأسماء الإشارة والموصولة والاستفهام والضمائر ..قال تعالى:{هذا يومٌ عصيبٌ}، الآية جملة اسمية تأليفها من مبتدأ (هذا) وخبر (يوم عصيب)، فقد حلّ محلّ المبتدأ - وأصله أن يكون اسما معربا معرفة- لفظ الإشارة (هذا)، فحلول اسم الإشارة محل المبتدأ الاسم المعرب عدول عن الأصل واستبدال في الموضع، ومثاله أيضا الضّمير المنفصل في قوله تعالى على لسان فرعون:{أنا ربُّكم الأعلى}، فالضمير (أنا) قد حلّ محلّ المسند إليه (الاسم المعرب) في الجملة الاسمية وهو المبتدأ، وهذا من الاستبدال في الموضع. جاء في كتاب سيبويه: "اضرب أيُّ من رأيت أفضلُ، فـمن كَملَ اسمًا برأيت فصار بمنزلة القوم، فكأنك قلت: أيُّ القوم أفضل، وأيُّهم أفضل كذلك أيُّ الذين رأيت في الدار أفضل، وتقول أيُّ الذين رأيت في الدّار لأنّ رأيت من صلة الذين، وفيها متصلة برأيت، لأنّك ذكرت موضع الرؤية فكأنّك قلت أيضا: أيُّ القوم أفضل وأيُّهم أفضل لأنّ فيها لم تغيّر الكلام عن حاله"[68] ، الموصول مع صلته كالاسم الواحد، فالموصول له محل من الإعراب أمّا الصّلة فهي من تمام الموصول لا محل لها من الإعراب.

المنادى العلم المفرد المبني على الضم في محل نصب، أي الموضع موضع نصب، فقد وقع استبدال في موضعه، ذكر هذا سيبويه في باب النّداء فقال: "اعلم أن النّداء كل اسم مضاف فيه، فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره، والمفرد رفع في موضع اسم منصوب"[69]. وكما هو معلوم في أصول النّحاة أنّ المنادى حكمه النصب، وما نصب إلاّ لأنه مفعول به لفعل محذوف أي هو من الأصول المقدرة المتروكة الاستعمال، وتقدير الفعل بـ:أدعو وأريد فهو مقدر غير مستعمل في أصل الوضع. يقول ابن جنّي: "إذا تركت العرب أمرا من الأمور لعلّة داعية إلى تركه وجب اتّباعها عليه، ولم يسعْ أحدا بعد ذلك العدول عنه"[70]، بمعنى اتّباع السّماع لأنه هكذا ورد عن العرب وليس مجاراة القياس، ولا معنى للتمسّك بالاستصحاب هنا .

الجملة: قد تقع الجملة موقع المفرد وهو ما سمّاه النّحاة الجمل التي لها محل من الإعراب، وقد عدّها ابن هشام بسبع[71] الواقعة خبرا، وحالا، ومفعولا به، ومضافا إليه، ونعتا، والواقعة بعد الفاء أو إذا الفجائية جوابا لشرط جازم، والسابعة هي التابعة لجملة لها محل من الإعراب.

ومثاله(جملة الخبر) في الآية {والله يغفر لمن يشاء} فجملة يغفر حلت محل الاسم المفرد إذ هو الأصل والجملة فرع، عليه يقول سيبويه: "فإذا بنيتَ الفعل على الاسم قلت زيد ضربته فلزمته الهاء وإنّما تريد بقولك مبني على الفعل أنه موضع منطلق، إذا قلت: عبد الله منطلق فهو في موضع هذا الذي بني على الأول وارتفع به فإنّما قلت عبد الله فنسبته له ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء"[72]، جملة ضربتة في نصّ سيبويه حلّت محلّ الخبر المفرد إذ هي نظير منطلق.وكذلك (جملة الحال) والأصل في الحال كقاعدة اسم نكرة مشتق فيعدل عن هذه القاعدة فيقع الحال جملة بالاستبدال في الموضع في مثل قوله تعالى:{وجاءوا أباهم عشاء يبكون} فيبكون في موضع باكين.وكذا(جملة النعت(الصّفة)) تقع موقع الاسم المفرد إذ هو الأصل المتبوع تقول: كتبت قصيدة مثيرة فيحل محل النّعت المفرد مثيرة مثلا: أثارتني، أو أبياتها مثيرة، والقاعدة أن الجمل بعد النكرات صفات وبعد المعارف أحوال...إلخ.

د-الإجراء على الموضع، من آليات العدول عن الأصل، ذكر سيبويه:"في باب ما يجري على الموضع لا على الذي قبله وذلك قولك: ليس زيد بجبان ولا بخيلا، وما زيد بأخيك ولا بصاحبك"[73] ، فقد عطف بخيلا على موضع الجبان فنصب لأنّه موضع نصب وهو خبر (**ما**) العاملة عمل ليس فالعطف على المنصوب منصوب مثله ولم يعطف على اللفظ فلو فعل لجُرّ الاسم والأصل المقدر في الوضع ما زيدٌ جباناً ولا بخيلاً، والحمل على الموضع كثير في كلام العرب كقولهم:(فلسنا بالجبال ولا الحديدا)، نصب الحديد عطفا على موضع بالجبال لأنه موضع نصب وهو خبر ليس.قد تحدث ابن السرّاج عن زيادة الباء في (بالجبال) يقول:"لك أن تعطف على الموضع فتقول:لست بقائم ولا قاعدا، ومن ذلك: هل من رجل عندك، وما من أحد في الدار فهنا لك أن تعطف على الموضع لأن موضع (من رجل) رفع، وكذلك: خشنت بصدره وصدر زيد، ولو أسقطت الباء كان جيّدا فلقد خشنت صدره وصدر زيد وكذلك كفى بالله إنما هو كفى الله."[74] وهذا عين الاستصحاب،فالأصل حذف الباء، فيرتفع الفاعل ولا يجرّ.

ه-التقديم والتأخير: التركيب في أصل الوضع أن يتقدم الفعل ثم يليه الفاعل في الجملة الفعلية، ويتقدم المبتدأ ويتأخر الخبر في الجملة الاسمية، إلاّ أن عوارض الاستعمال تزلزل هذا البناء ويتقدم ما حقه التأخير ويتأخر ما حقه التقديم لعلّة أو لغرض بلاغي، يقول ابن الأثير: "من ذلك تقديم المفعول على الفعل كقولك زيدا ضربت، وضربت زيدا، فإنّ في قولك: زيدا ضربت تخصيصا له بالضرب دون غيره، وذلك بخلاف ضربت زيدا لأنّك إذا قدمت الفعل كنت بالخيار في إيقاعه على أي مفعول (شئت)، بأن تقول ضربت خالدا أو بكرا أو غيرهما، إذا أخرجته لزم الاختصاص للمفعول[75]، فالمعنى يعين على الغرض من تقديم المفعول زيدا وهو تخصيص له بالضرب، ويقول:"وكذلك تقديم خبر المبتدأ عليه

كقولك: زيد قائم أنت بالخيار في إثبات القيام له ونفيه عنه، بأن تقول: ضارب أو جالس أو غير ذلك(76)، فهو يرى تقديم الخبر هنا للاختصاص فلما قال: قائم زيد، فالقيام خاص بزيد وعلى العكس منه لو قال: زيد قائم فأنت مخير بنفي القيام عنه أو إثباته. فمتى يتقدّم الخبر على المبتدأ كوجه من وجوه العدول عن الأصل؟

1- إذا جاء المبتدأ نكرة وجب تأخيره وتقديم الخبر عليه، ذكره ابن مالك في ألفيته المشهورة(77)

ولا يجوز الابتدا بالنكرة   ما لم تفد كعند زيد نمرة

بمعنى أن تتأخر النكرة، إلاّ إذا أفادت تقدمت، ومسوغاتها كثيرة كالإفادة والوصف والتّعريف والتّصغير. فهنا قلّلت من شيوع النكرّة، عندها يجوز الابتداء بها.

2- إذا كان اسم استفهام؛ وأسماء الاستفهام لها الصدارة في الكلام كـ: كيف حالك؟ فكيف اسم استفهام مبني في محل رفع خبر مقدم، وحالك مبتدأ مرفوع مؤخر، وقدّم الخبر لأنّه اسم استفهام له الصّدارة وهذا من العدول عن الأصل، إذ الأصل تقديم المبتدأ.

وممّا ذكره النّحاة أنه قد تكون رتبة مجموعة من الكلمات محفوظة في مدرج الكلام بالنّظر إلى ما قبلها وما بعدها فلا تحتاج إلى تقدير لأنّها إنّما تأتي على الأصل فلا يجوز تقديمها: لا الصلة على الموصول ولا الصفة على الموصوف والتوابع على منوالها ولا المضاف إليه على المضاف، ولا المضمر على الظاهر، ولا التمييز على المميز، لأنّها جميعا بمثابة الاسم الواحد، فالصفة مع الموصوف بمثابة الاسم الواحد، يعلّل السُّهيلي ذلك بقوله: "لأنّ التوابع من تمام الاسم المتبوع...فقد صار النعت كجزء مع الاسم المنعوت، فلا يتقدم عليه بإجماع(78) و هذا تمسّك بالأصل.

والحقّ أنّ مظاهر العدول عن الأصل كثيرة نكتفي بما ذكرنا، فقط لندلّل أنّ الاستصحاب دليل معتبر قال به نحاتنا وإن لم يصرحوا باسمه، إلاّ أنّ حديثهم عن أصل الوضع، وعن الأصل والعدول عن الأصل والرّد إليه، أثبت أنّهم كانوا يجرون عليه المسائل المختلفة.

كان للنّحاة منهجيّة في الاستدلال بأصل الاستصحاب على حكم الألفاظ والتراكيب وهي إذا ثبت لهم بقاؤها على حالها وأصلها في بابها ولم يقع لها عدول لعلّة ما، أُسوة بالفقهاء إذ يعتمدون على النقل ثمّ القياس ثمّ الاستصحاب فإذا ثبت لهم دليل نقضوه.

استدل النّحاة بمظاهر العدول والتّحويل من أصل الوضع والقياس و القاعدة إلى الفرع المستعمل ليبيّنوا بطلان دليل الاستصحاب معها وأنّه دليل ضعيف لا يثبت، للعلل الّتي ذكروا.

كما استدل النحاة على الأصل بطرق شتّى كالاستقراء والقياس والاشتقاق ليبيّنوا الأصل الذي يستصحب حكمه والأصل المهجور الذي يبطل معه الاستصحاب، وأنّ اللفظ الذي عدل عنه لعلّة يصير هو القياس.

الهـوامــش :

[1] مصطلحات علم أصول النحو، النواجي أشرف ماهر،دار غريب، القاهرة،2001م ص 09.

[2] نظرية الأصل والفرع، الملخ حسن خميس، دار الشروق، عمّان الأردن، ط1، 2001ه ، ص46.

[3] الأصول، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1425ه/ 2006م ص119.

[4] نظرية الأصل والفرع، مرجع سابق، ص46.

[5] نظرية الأصل والفرع، مرجع سابق، ص46.

[6] الأصول، تمّام حسّان، ص11.

[7] ظاهرة التقدير في كتاب سيبويه، مخطوط رسالة دكتوراه لمخلوف بن لعلام، جامعة الجزائر،2004م، ص46-119.

[8] الأصول، تمام حسّان،مرجع سابق، ص107.

[9] الأصول، المرجع نفسه، ص108.

[10] نظرية الأصل والفرع، مرجع سابق، ص46.

[11] الأصول، مرجع سابق، ص110.

[12] المرجع نفسه، ص110.

[13] الأصول، تمام حسان، ص110-111.

[14] الأصول ،تمام حسّان، مرجع سابق، ص117.

[15] الأصول المقدّرة غير المستعملة، بحث في مجلة التبيين، د.مخلوف بن لعلام، جامعة الجزائر، 2004م ص125.

[16] المنصف في شرح كتاب التصريف، للمازني، أبو الفتح عثمان بن جنّي، تح:إبراهيم مصطفى أمين، إدارة إحياء التراث القديم وزارة المعارف، مصر، ط 1، 1954م/ 1427ه ص348.

[17] نظرية الأصل والفرع، الملخ، ص110.

[18] المنصف، ابن جنّي، ج1، ص45.

[19] جامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت لبنان، 1423ه،2003م، ج2، ص244.

[20] همع الهوامع في شرح جمع الجوامع،، السيوطي جلال الدين، تح:أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،1418ه/ 1998م، ج3، ص363.

[21] الأصول، تمام حسان، ص104.

[22] ظاهرة التقدير، مخلوف بلعلام، ص219.

[23] الكتاب، سيبويه، أبو عثمان، بن قنبر، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط1، ج1، ص52-53.

[24] الأصول، تمام حسان، ص139.

[25] الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن ابن الأنباري، تح:محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، لبنان،ط1، 1424ه/ 2003م، م72، ج2، ص430/ و م92، ج2، ص532.

[26] ظاهرة التخفيف في النحو العربي، د.عفيفي أحمد، الدار المصرية اللّبنانية، السودان، ط1417،1ه/ 1996م ه ص189.

[27] الكتاب، سيبويه، ج2، ص279 وص330.

[28] المرجع نفسه، ص244، والإعلال في كتاب سيبويه في هدى الدراسات الصوتية الحديثة،الحجّي عبد الحق أحمد محمد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الوقف السنّي بالعراق، ط1 ،2008 م، ص317.

[29] بحوث ودراسات في علوم اللسان (مدخل إلى علم اللسان الحديث)، د. الحاج صالح عبد الرحمن، موفم للنشر،2007م ص195-196.

[30] المنصف، مرجع سابق، ج2، ص327.

[31] القياس في النحو، د.منى إلياس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط1،1405ه/ 1985م، ص48.

[32] ظاهرة التقدير، مرجع سابق، ص135-136.

[33] المرجع نفسه، ص116.

[34] بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007م ، ج1، ص216.

[35] المنصف، مرجع سابق، ج2، ص324.

[36] الخصائص، ابن جنّي أبو الفتح عثمان، تح: محمد علي النّجّار، دار الهدى بيروت، ط2، 1372ه/ 1952م، ص05-261.

[37] الخصائص، ابن جنّي أبو الفتح عثمان، ج1، ص261.

[38] الخصائص، مرجع نفسه، ج1، ص257-258.

[39] الخصائص، المرجع نفسه، ص260.

[40] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، الأنصاري جمال الدين بن هشام، دار الفكر، ط6، مج2، ج4، ص412.

[41] الأصول، تمام حسان، ص121.

[42] المرجع نفسه، ص122.

[43] الأصول في النّحو، ابن السرّاج، محمد بن سهل، تح: عبد المحسن الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط1، 1988م، ج1، ص66.

[44] نظرات من التراث اللغوي العربي، المهيري عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م، ص131.

[45] نظرات في التّراث، المرجع نفسه، ص131.

[46] الكتاب، ج1، مرجع سابق، ص24-25.

[47] الخصائص، ج1، مرجع سابق، ص80.

[48] إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، القاهرة، ط2، 1992م، ص48.

[49] الإنصاف في مسائل الخلاف، مج 2، مرجع سابق، ص522.

[50] المرجع نفسه، مج 2، ص646.

[51] الأصول، ابن سراج، ج3، ص343، وينظر: الإنصاف، مج 2 ، ص646.

[52] الكتاب، ج2، مرجع سابق، ص108.

[53] شرح المفصل، ابن يعيش، موفق الدّين بن علي، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ج2، مرجع سابق، ص11.

[54] أسرار البلاغة، الإمام الجرجاني عبد القاهر، تح: ميسر عقّاد،ومصطفى الشيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان،ط1، 1428ه/ 2007م ص293.

[55] الخصائص، ج2، مرجع سابق، ص360.

[56] الكتاب، ج1، مرجع سابق، ص291.

[57] الأشباه والنظائر، ج1، دار الأبحاث الجزائر، ط1، 2007م، ص239.

[58] منازل الحروف، الحدود، رسالتان في اللغة، الروماني علي بن عيسى، تح: إبراهيم السّامرائي، دار الفكر، عمّان الأردن، ط1، 1984م، ص37.

[59] أسرار البلاغة، الجرجاني، مرجع سابق، ص297.

[60] شرح الكافية في النحو، الأستراباذي رضي الدين بن حسين، دار الكتب النّحوية، 1995م، ج2، ص384.

[61] الكتاب، ج1، ص316.

[62] جامع الدروس العربية، ج2، مرجع سابق، ص366-367.

[63] الكتاب، ج2، ص390.

[64] الأصول، ابن السرّاج، ج2، ص257.

[65] جامع الدروس العربية، ج2، ص606-607.

[66] جامع الدروس العربية، مرجع سابق، ص607.

[67] الأصول، ابن السرّاج، ج2، ص259.

[68] الكتاب، ج2، مرجع سابق، ص404.

[69] الكتاب، ج1، مرجع سابق، ص182.

[70] الخصائص، ج1، مرجع سابق، ص362.

[71] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، الأنصاري جمال الدين عبد الله بن هشام، تح:بركات يوسف هبّود، دار الأرقم، بيروت، لبنان، ط1419،1/ 1999م مج2، ص48 وما بعدها.

[72] الكتاب، ج1، ص81.

[73] الكتاب، ج1، ص66.

[74] الأصول، ابن السرّاج، ج2، مرجع سابق، ص64-66.

[75] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير ضياء الدين،تح: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار النّهضة للطباعة، الفجالة القاهرة، مصر، ط2، ج2، ص210-211.

[76] المرجع نفسه، ص211.

[77] شرح المكودي على الألفية في علمي النحو والصرف، المكودي عبد الرحمن بن صالح، تح: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية، ط1، 1417ه/ 1996م، ص48.

[78] نتائج الفكر في النحو، السهيلي أبو القاسم، تح: عادل أحمد، وعلي عوض، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط1، 1412ه/ 1992م، ص313.

قائمة المصادر والمراجع:

[1] مصطلحات علم أصول النحو، النواجي أشرف ماهر،دار غريب، القاهرة،2001م ص 09.

[78] نظرية الأصل والفرع، الملخ حسن خميس، دار الشروق، عمّان الأردن، ط1، 2001ه ، ص46.

[78] الأصول، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1425ه/ 2006م ص119.

[78] ظاهرة التقدير في كتاب سيبويه، مخطوط رسالة دكتوراه لمخلوف بن لعلام، جامعة الجزائر،2004م، ص46-119.

[78] الأصول المقدّرة غير المستعملة، بحث في مجلة التبيين، د.مخلوف بن لعلام، جامعة الجزائر، 2004م ص125.

[78] المنصف في شرح كتاب التصريف، للمازني، أبو الفتح عثمان بن جنّي، تح:إبراهيم مصطفى أمين، إدارة إحياء التراث القديم وزارة المعارف، مصر، ط 1، 1954م/ 1427ه ص348.

[78] جامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت لبنان، 1423ه،2003م، ج2، ص244.

[78] همع الهوامع في شرح جمع الجوامع،، السيوطي جلال الدين، تح:أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،1418ه/ 1998م، ج3، ص363.

[78] الكتاب، سيبويه، أبو عثمان، بن قنبر، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط1، ج1، ص52-53.

[78] الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن ابن الأنباري، تح:محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، لبنان،ط1، 1424ه/ 2003م، م72، ج2، ص430/ و م92، ج2، ص532.

[78] ظاهرة التخفيف في النحو العربي، د.عفيفي أحمد، الدار المصرية اللّبنانية، السودان، ط1417،1ه/ 1996م ه ص189.

[78] الإعلال في كتاب سيبويه في هدى الدراسات الصوتية الحديثة،الحجّي عبد الحق أحمد محمد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الوقف السنّي بالعراق، ط1 ،2008 م، ص317.

[78] بحوث ودراسات في علوم اللسان (مدخل إلى علم اللسان الحديث)، د. الحاج صالح عبد الرحمن، موفم للنشر،2007م ص195-196.

[78] القياس في النحو، د.منى إلياس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط1405،1ه/ 1985م، ص48.

[78] بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007م ، ج1، ص216.

[78] الخصائص، ابن جنّي أبو الفتح عثمان، تح: محمد علي النّجّار، دار الهدى بيروت، ط2، 1372ه/ 1952م، ص05-261.

[78] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، الأنصاري جمال الدين بن هشام، دار الفكر، ط6، مج2، ج4، ص412.

[78] الأصول في النّحو، ابن السرّاج، محمد بن سهل، تح: عبد المحسن الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط1، 1988م، ج1، ص66.

[78] نظرات من التراث اللغوي العربي، المهيري عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م، ص131.

[78] إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، القاهرة، ط2، 1992م، ص48.

[78] شرح المفصل، ابن يعيش، موفق الدّين بن علي، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ج2، مرجع سابق، ص11.

[78] أسرار البلاغة، الإمام الجرجاني عبد القاهر، تح: ميسر عقّاد،ومصطفى الشيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان،ط1، 1428ه/ 2007م ص293.

[78] الأشباه والنظائر، ج1، دار الأبحاث الجزائر، ط1، 2007م، ص239.

[78] منازل الحروف، الحدود، رسالتان في اللغة، الروماني علي بن عيسى، تح: إبراهيم السّامرائي، دار الفكر، عمّان الأردن، ط1، 1984م، ص37.

[78] شرح الكافية في النحو، الأستراباذي رضي الدين بن حسين، دار الكتب النّحوية، 1995م، ج2، ص384.

[78] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، الأنصاري جمال الدين عبد الله بن هشام، تح:بركات يوسف هبّود، دار الأرقم، بيروت، لبنان، ط1419،1/ 1999م مج2، ص48 وما بعدها.

[78] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير ضياء الدين،تح: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار النّهضة للطباعة، الفجالة القاهرة، مصر، ط2، ج2، ص210-211.

[78] شرح المكودي على الألفية في علمي النحو والصرف، المكودي عبد الرحمن بن صالح، تح: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية، ط1، 1417ه/ 1996م، ص48.

[78] نتائج الفكر في النحو، السهيلي أبو القاسم، تح: عادل أحمد، وعلي عوض، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط1، 1412ه/ 1992م، ص313.

الصوت اللغوي والدرس اللساني الحديث

الأستاذ زاوي عبد الرحمن
جامعة المدية

ملخص البحث:
بدأت الدراسات الصوتية المعاصرة في العالم العربي منذ فترة طويلة، ولعلّ أول كاب في هذا لمجال هو الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، إذ يعد الكتاب الأول المتأثر بالفكر اللغوي الحديث، وتمثل مباحثه اتجاها تجديديا في البحث الصوتي المعاصر.ومن المتعارف عليه عند اللسانيين المعاصرين أنّ هناك ثلاثة أفرع لعلم الأصوات هي:
علم الأصوات النطقي الفسيولوجي.
وعلم الأصوات الفيزيائي الأوكوستيكي .
و علم الأصوات السمعي الإدراكي .
فالأول حضي بقسط وافر من البحث وبقي الثاني والثالث لم يأخذا نصيبهما من البحث، لذا سنركز في بحثنا هذا على الفرع الأخير.
ولقد أكد الدرس اللساني الحديث مدى أهمية علم الأصوات لأي مستوى من مستويات اللغة،" فالأصوات هي المظاهر الأولى للأحداث اللغوية، وهي كذلك بمثابة اللبنات الأساسية التي يتكون منها البناء الكبير.

The Sound of langage and the modern linguistics

modern Sound studies started in the arabic world âges ago. And the first sound of language in this domain is the one for Ibrahim Anis. This writer is considered as the first one who was influenced by the modern thinking. His researches are considered as the new thinking in the world of modern Sound researches.

إن طبيعة اللغة وجوهرها لا يمكن أن يفهم بوضوح إلا من خلال الدور الذي تؤديه في حياة الفرد والجماعة اللغوية الواحدة وحياة الإنسان بعامة.
وقد عبر أحدهم عن هذه الحقيقة بقوله: "إذا أردنا أن ندرس الفكر والنتاج الفكري فالواجب أن ندرس اللغة، وإذا أردنا أن ندرس اللغة فعلينا أن ندرس عملها في المجتمع" [1].

ويرى اللغويون من أصحاب الفلسفة والمنطق أن الوظيفة الرئيسية للغة هي نقل الخبرة الإنسانية والتعبير عن الفكر واكتساب المعرفة، وعلى هذا فاللغة ضرورة حتمية لتقدم الثقافة والعلم، لأن الألفاظ "حصون الفكر" وبالتالي فلا وجود للفكر بدون اللغة، لأن الكلمة أداة للتفكير في المعنى الذي تعبر عنه.
يقول "لوك" اللغة تولد الفكر، وأن الناس ليطلبون في تكوين أفكارهم عون اللغة...فاللغة تعد أم التفكير، وما يسمى عمليات العقل ليس إلا من عمل اللغة... فالمرء لا يفكر دون عون اللغة"[2].
فإن فقد التعبير ضاع الفكر، وهذا ما كان يعنيه "سقراط" بعبارته المشهورة "يا هذا كلمني حتى أراك" التي وجهها لى رجل كان صامتا ولا يشارك في الحوار، "فسقراط" يشير بهذا أن الإنسان إن لم يفصح عن ذات نفسه بالكلام فإنه لا يرى، أي لا يعرف عنه شيء، فاللغة كما يقول المفكر الألماني "همبولت" Humboldt هي "عمل العقل و"هي الصوت المنطوق الذي نستطيع به أن نعبر عن الفكر".
وهي ليست مقصودة على وظيفة التوصيل كما في لغة الحيوان، ولكنها أداة للتفكير الحر والتعبير الذاتي.
فاللغة في نظر العقليين فكر أو تعبير عن فكر، وهذه نظرة قاصرة جدا لأنها لا يمكن أن تستوعب جميع أشكال "الأحداث اللغوية" أو أنواع السلوك الكلامي وحقا ما يقوله "يسبرس O.Jesperson أنه ما دمنا ننظر إلى اللغة باعتبارها العقلي أي كوسيلة من وسائل الاتصال ونقل الأفكار، فسوف لن نقترب من الفهم التام لطبيعتها.

نظريات اكتساب اللغة.

يعرف ابن جني اللغة بقوله "أما حدها –أي اللغة– فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[3].
هذا التعريف على إيجازه –يتضمن معظم الجوانب التي يتفق عليها المحدثون في تعريف اللغة، فهو يشير إلى الوظيفة "التعبيرية" للغة، ويفصح –أيضا– عن كون اللغة اجتماعية، أي أنها لا توجد إلا في أحضان جماعة لغوية معينة يتعاملون بها تعبيرا عن أغراضهم.
وأهم من كل ذلك يقرر أن اللغة "أصوات" وهذا ما يؤكد اللغويون المحدثون وعلى رأسهم العالم اللغوي السويسري "فرديناند دي سوسير Ferdinand De Saussure" (1857/ 1913) الذي يرى أن اللغة في جوهرها، نظام من الرموز الصوتية أو مجموعة من الصور اللفظية تختزن في أذهان أفراد الجماعة اللغوية، وتستخدم للتفاهم بين أبناء مجتمع معين، ويتلقاها الفرد عن الجماعة التي يعيش معها عن طريق السماع.
وعبارة ابن جني –أيضا– تشير ضمنا إلى أن الرموز الصوتية لا معنى لها في ذاتها وقد حسم "علم اللغة الحديث" هذه القضية التي شغلت المفكرين دهرا طويلا، فهو يقرر أن اللغة عرفية، وأن العلاقة بين جزئي العلامة اللغوية (الدال والمدلول) علاقة اعتباطية، ذلك لأن الدال والمدلول –في الحقيقة– ليسا شيئا واحدا بل هما شيئان مختلفان تماما، فالدال أي الصوت إن هو إلا رمز أو علامة على الشيء يغني عن استحضاره عند التفاهم، فمعنى الشيء غير ذاته.

وفي العصر الحديث اهتم العلماء باللغة اهتماما كبيرا، وأجروا تجارب مكثفة للكشف عن طبيعتها مما أسفر عنه ظهور "علم اللغة الحديث" والذي بين من خلاله دي سوسير عن طبيعة اللغة عن طريق التفرقة بين ثلاثة مصطلحات أساسية هي:

- الكلام La parole. - اللسان La langue– اللغة Le langage

1- الكلام: La parole

هو الأحداث المنطوقة فعلا من متكلم فرد [4]، أي العبارات التي لها واقع مادي مباشر، ويمكن أن يدرك إدراكا حسيا، وعلى ذلك فالكلام نشاط فردي يقوم به شخص ما في حديثه مع الآخرين، ونظرا إلى أن الأفراد هم الذين يمارسون الكلام وليست الجماعة، فهو لذلك ليس "حقيقة اجتماعية" لأنه عمل الفرد يعمل فيه بالحذف والزيادة والتعديل، وذلك على العكس من الوقائع الاجتماعية التي يجب أن تكون "عامة" يمارسها المجتمع بشكل جبري.

أما اللغة: Le langage

فيعني بها اللغة بالمعنى المطلق، هي كلام ينقصه التكلم، إنها المجموعة الكلية للعادات اللغوية، التي تسمح للفرد بأن يفهم وأن يُفهم [5].

وهي على هذا الأساس، ملك للفرد وللمجتمع أيضا، فهي فردية واجتماعية في آن واحد، ولذلك فهي أيضا ليست "واقعة اجتماعية" لأنها تتضمن العوامل الفردية المنسوبة إلى المتكلمين الأفراد [6]، وهي تقع على تخوم عدة ميادين فيزيائية وفسيولوجية ونفسية.

وهي تتحقق في أشمال متعددة ومتنافرة، ولذلك لا يمكن أن تدرس دراسة علمية لما تفتقده من مبدأ التجانس والوحدة.

أما اللسان La langue

فهو اللغة المعينة الصالحة للدراسة العلمية كالعربية والإنجليزية وسواهما، وهو مجموعة من الصور اللفظية المختزنة في العقل الجماعي، وهذه الصور ذات قيم موحدة عند جميع الأفراد وهو نتاج اجتماعي لملكة اللغة، وهو خارج عن نطاق الفرد لأنه يرثه باعتباره تراثا جماعيا وليس له في هذا الميراث أي نوع من الاختيار.

فهو لا يملك التدخل في اختيار مفرداته أو تنظيم قواعده، واللسان لا يوجد إلا بنوع من الاتفاق الجماعي، ولذا فإن الإنسان لا يستحوذ على اللسان إلا بالدربة والمران.

واللسان متميز عن الكلام، فلو أن هناك فردا فقد القدرة على الكلام فإنه يظل يحتفظ باللسان، ذلك أن اللسان نظام أي مجموعة محددة من القواعد الكلمية التي تنظم المفردات والتراكيب وتمثلها كتب القواعد والقواميس.

أما الكلام فهو أحداث منطوقة حسب نظام اللغة المعينة، أي أن اللسان يمد الكلام بالقواعد التي يطبقها فعلا في وجوده المادي.

وخلاصة هذا كما يرى "دي سوسير" أن الكلام لا يمكن دراسته دراسة علمية لأنه فردي، وما لا يمكن التنبؤ به لا يمكن دراسته دراسة علمية، و"اللغة" كذلك لا تدرس بشكل علمي لأنها لا تمثل واقعة اجتماعية خالصة حيث أنها تخص الفرد وتخص الجماعة، أما اللسان فهو وحده الذي يمكن دراسته دراسة علمية لأنه موضوع محدد يتصف بالتجانس ولذا يمكن ملاحظته وتصنيفه وله بذلك مكان بارز بين الحقائق الإنسانية [7].

واللغة عنده نظام من العلامات التي تتكون من صورة صوتية ومن مفهوم مرتبط بها ارتباطا وثيقا، والعلامة أو الرمز علاقة ترابطية بين المفهوم والصورة الصوتية.

وهذه العلامات مزدوجة، أي أنها اتحاد لصورة صوتية هي "الدال" بتمثيل ذهني أو مفهوم هو "المدلول" وتتحقق الدلالة من مجموع هذين العنصرين اللذين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فهما كوجه الورقة وظهرها لا يمكن تمزيق الأول دون تمزيق الثاني. [8]

ويتصدى "أ. يسبر سن O.Jespersen" العالم الدنمركي لآراء "دي سوسير" ولا يقبل قوله أن الكلام من نتاج الأفراد، بينما اللسان من نتاج المجتمع.

ففي رأيه أن الجماعة ليست سوى مجموعة من الأفراد وعلى ذلك فالكلام واللسان هما جانبان لشيء واحد، وكلام الفرد ليس شيئا منفصلا عن لغة الجماعة، إنه مثل أو صورة لها، فالكلام وإن كان نشاطا فرديا إلا أنه يرتبط بعنصر اجتماعي، هو الإفهام، ومفردات "اللسان" المعني هي جميع ما ينطق به كل أفراده من ألفاظهما اختلفت درجة شيوعها والأمر كذلك بالنسبة للتراكيب ومخارج الحروف.

ويرى "يسبر سن" أن العلاقة بين اللسان والكلام، شبيهة بعلاقة النوع بالفرد، فكل "خروف" يختلف عن آخر وبالرغم من ذلك نستطيع أن نتصور معنى عاما مشتركا بين جميع "الخراف" نطلق عليه كلمة خروف، والخروف بالمعنى المطلق ليس له وجود في عالم الواقع وإنما هو أمر ذهني، وكذلك اللسان بالنسبة للكلام فالموجود فعلا هو النشاط الإنساني الذي يقوم به فرد أو أفراد.

وهو يتساءل مستنكرا إذا كان "اللسان" عند "دي سوسير" مجموعة من الصور الذهنية للكلمات والتراكيب اللغوية الموجودة لدى جماعة لغوية خاصة، ومستقر هذه الصور أذهان الأفراد، فماذا تكون الصورة الذهنية المستقرة في ذهن فرد خاص؟ هل هي كلام أم لسان؟.

إنها بمفهوم "دي سوسير" ليست كلاما، لأن الكلام عنده نشاط فعلي، والصور الذهنية لدى فرد معين ليست كذلك، وهي أيضا ليست "لسانا" لأنها أمر فردي بينما "اللسان" أمر جماعي، فماذا تكون –إذن– إن لم يكن كلاما ولا لسانا؟ ويجعل "دي سوسير" القاموس والكتب الخاصة بالقواعد تمثيلا "للسان" الذي هو أمر جماعي لا تمثيلا للكلام الذي هو أمر فردي، وهنا يسأل "يسبر سن" ما قوله في وجود قاموس خاص "بهوميروس" وآخر خاص "بشكسبير" مثلا كما توجد كتب خاصة للقواعد التي جرى عليها كل من هذين الشاعرين، هل يكون القاموس مجالا لتسجيل النشاط اللغوي الفردي على غير ما قرره "دي سوسير"؟ [9].

لذلك نجد أن يسبر سن يعتمد تقسيما آخر يقدم فيه ثلاثة مصطلحات هي:

1- **الحدث اللغوي:** وهو نطق فرد معين بعبارة معينة مرة واحدة، ولو أن الفرد نفسه كرر العبارة نفسها، فإن هذا يشكل حدثا لغويا جديدا لأنه لا يمكن أن تتشابه المواقف أو الدوافع للأحداث اللغوية في جميع تفصيلاتها.

2- **لغة الفرد:** وهي القيم اللغوية الموجودة لدى فرد من الأفراد.

3- **لغة الجماعة:** وهي مجموعة القيم اللغوية لدى أفراد الجماعة اللغوية الواحدة.

كما أن يسبرسن يرى أن الواقع اللغوي يكون "أحداثا لغوية "أما العلاقات والقواعد والأمور التجريدية فهي "لغة" وقد تكون اللغة "فردية" حين تكون هذه القواعد والعلاقات والتجريدات خاصة بفرد من الأفراد، وقد تكون اللغة "جماعية" حين تكون هذه الأمور عامة تشمل الجماعة كلها [10].

كما يرفض فيرث Firth أيضا نظرية " دي سوسير" في الكلام واللسان، فهو لا يؤمن بثنائية الفرد والمجتمع التي ابتدعها "دور كايم" عالم الاجتماع الفرنسي وتابعه فيها "دي سوسير"، فالفرد وإن كان له شخصيته المستقلة المتميزة عن غيرها من الشخصيات، إلا أنها تشترك معها في كثير من الأمور، واللغة أيضا تدرس باعتبارها جزءا من عملية اجتماعية، وأن ما نسميه النظم الصوتية أو الأجناس النحوية أو الصرفية أو الدلالية ليست إلا هياكل مبتكرة ومنتظمة تستهدف تحليل الأحداث اللغوية.

فهذه النظم ليس لها وجود خارجي، وإنما هي مجرد اصطلاحات ذات مفهومات معينة نستعين بها على فهم اللغة، فليس في اللغة فعل أو فاعل أو مفعول أو مصدر، ولكن اللغة أقوال تنطق لا غير. [11]

أولا: النظريات السلوكية:

في النصف الأول من القرن العشرين ساد في الدراسات اللغوية "المنهج الوصفي التشكيلي" ورائده اللغوي الأمريكي ليونارد بلوم فيلد L.Blomfield 1887-1949 صاحب كتاب "اللغة Langages" الذي وصفه الباحثون بالقيم.

وقد تأثر بلوم فيلد بالمذهب السلوكي في علم النفس الذي كان سائدا في أوروبا وأمريكا، والسلوكيون يوجهون كل عنايتهم إلى دراسة ظاهرة السلوك فقط على اعتبار أنه مكون من عادات مختلفة تتكون عن طريق "المثير" و "الاستجابة" وهذا يعني أن السلوك الإنساني يمكن التنبؤ به عن طريق فهم الظواهر الفسيولوجية، وغيرها من الظواهر المادية في سلوك الأفراد.

يعرف "ل. بلوم فيلد" اللغة بأنها "مجرد سلوك بشري شبيه بما عداه من العادات السلوكية الأخرى" ولذلك فهو يطلق على اللغة اسم "السلوك النطقي" أو "السلوك اللغوي" وبناء على ذلك فغن دراسة اللغة ينبغي أن تهتم بوصف الأشكال اللغوية الظاهرة المتمثلة في الأصوات والتراكيب الصرفية والنحوية، فهذه هي التي يمكن ملاحظتها وتسجيلها مثلها في ذلك مثل أي عادة سلوكية أخرى، أما المعنى فقد أبعده كلية عن حقل الدراسة اللغوية، على أساس أنه أمر نفسي، فهو ليس مظهرا خارجيا يمكن النظر فيه بالمنهج العلمي الموضوعي المستخدم، في العلوم التجريبية.

وهذه نقطة ضعف بارزة عند بلوم فيلد ومدرسته، فاللغة رموز تتضمن معاني أو دلالات، وعلى ذلك فالدراسة الوصفية التشكيلية هي دراسة علمية ليس فيها أي محاولة من أجل الفهم أو التغيير، إنها تصف الملامح السطحية، من غير أن يمتلك محتواها الفكري وكأن اللغة مجرد علامات مفرغة من الدلالات، لذا فقد انتقد بعضهم هذا المنهج باعتبار أن الكلام عن التحليل اللغوي من غير إشارة إلى المعنى هو كمن يصف طريقة صنع السفن من غير إشارة إلى البحر. [12]

إن التفسير السلوكي للظاهرة اللغوية، ينبني على المعطيات العلمية السلوكية "Béhaviourisme" وهي نظرية من نظريات علم النفس، شاعت وتوغلت في كل الميادين العلمية، حتى أوشكت أن تكون المنهج الفريد، المعول عليه في تقصي مظاهر النشاط الإنساني فلا غرر إذن إن ألفيناها تقتحم الميدان اللساني فتضفي عليه طابعها الخاص.

ولأن العملية التواصلية من وجهة نظر النظرية السلوكية، لا تعدو أن تكون آلية تقوم على مفهوم المثير والاستجابة، تطورت النظرية السلوكية وأخذت مسارها الطبيعي في الوصف اللساني على يد اللساني الأمريكي "بلوم فيلد" الذي كان جادا في تطبيقها.

حيث نجد أن هذه النظرية ترتكز في جوهرها على أسس علمية، كعدم الاهتمام بالجوانب الذهنية مثل العقل والتصور والفكرة ودحض كل تحليل نفسي يعول على الاستبطان، وإبراز كل ما يمكن ملاحظته ملاحظة مباشرة بالاعتماد على السلوك الظاهر دون سواه، وحين تطبيق هذا المنهج على الظاهرة اللغوية ينصب التحليل على الأشكال اللغوية الظاهرة، والمواقف المباشرة التي أدت إلى إنتاجها في الواقع اللغوي، لذلك أطلق بعضهم على اللغة مصطلح السلوك النطقي أو السلوك اللغوي.

كما تعتمد هذه النظرية على تقليص دور الدوافع والقدرات الفطرية في الظواهر السلوكية، وإعطاء أهمية قصوى لعملية التعلم في اكتساب النماذج السلوكية، كما أن التواصل اللغوي في نظر السلوكيين لا يعدوا أن يكون نوعا من الاستجابات réponses لمثيرات ما stimulus تقدمها البيئة أو المحيط environnement.

إن ما انتهى إليه "بلوم فيلد" من إسقاطات سلوكية على الظاهرة اللغوية، إنما بناه على تلك الأسس المشار إليها –سالفا- فكانت حصيلة ذلك كله أن أقر مبدئيا أن الجوانب الدلالية للعناصر اللسانية لا تعدو أن تكون الموقف الذي يقوم فيه المتكلم المستمع المثالي للغته بالإنتاج الفعلي للكلام، ورد الفعل أو الاستجابة التي يتطلبها ذلك من المستمع. [13]

فالمتكلم حين أدائه الفعلي للكلام يكون قد قام باستجابات نطقية لمثيرات ما تخضع خضوعا مطلقا لحافز البيئة، دون أن ترتبط هذه الاستجابات بأدنى قدر من التفكير.

"لأن الاستجابة الكلامية مرتبطة بصورة مباشرة بالحافز ولا تتطلب تدخل الأفكار، وذلك لأن اللغة في نظر السلوكيين لا تعدوا أن تكون عادات صوتية يكيفها حافز البيئة" [14].

ترتكز المعطيات العلمية للتفسير السلوكي على التجارب المخبرية التي أجريت على الحيوانات، مما جعلت السلوكيين يعممونها على المظاهر السلوكية لدى الإنسان، فتبدوا اللغة وفق هذا من الاستجابات المتتالية.[15]

كما تفترض النظرية السلوكية عامة أنه ينبغي أن نولي الاهتمام بالسلوكيات القابلة للملاحظة والقياس، ولا يركزون اهتمامهم على الأبنية العقلية أو العمليات الداخلية التي تولد الأبنية اللغوية، والمشكلة الأساسية في هذا المنظور أنه نظرا لأن الأنشطة العقلية لا يمكن أن ترى فإنها لا يمكن أن تعرف أو تقاس.

فالسلوكيون لا ينكرون وجود هذه العمليات العقلية، ولكنهم يرون أن السلوكيات القابلة للملاحظة مرتبطة بالعمليات الداخلية أو الفسيولوجية ويرون أنه لا يمكنهم دراسة ما لا يمكن أن نلاحظه، ومن ثم فإن السلوكيين يبحثون عن السلوكيات الظاهرة التي تحدث مع الآداء اللغوي.

ويرى السلوكيون أن اللغة في مراحلها الأولى هي نموذج بسيط من السلوك إنها عادة، وأن اللغة هي شيء يفعله الطفل وليس شيء يملكه كما يرون أن اللغة مستعملة وفقا لنفس المبادئ المستخدمة في تدريب الحيوانات، فسلوكيات الحيوانات المتعلمة هذه هي نفسها السلوك اللغوي المتعلم بالتقليد والتعزيز.

إن أبرز أوجه الخلاف مع السلوكية أن الطفل يكون سلبيا خلال عملية تعلم اللغة، فالطفل يبدأ الحياة بجعبة لغوية خاوية، ثم يصبح الطفل مستخدما للغة حينما تمتلئ الجعبة بالخبرات التي توفرها النماذج اللغوية في بيئته، وهذا لا يعني القول بأن الطفل غير فعال تماما، فهو فعال بمعنى أنه تقليد الأشكال اللغوية ولكنه لا يبادر بهذه السلوكيات من جانبه، وشكل لغته الناشئة يتحدد ليس بالاكتشاف الذاتي أو التجارب الإبداعية ولكن بواسطة التعزيز الانتقائي الذي يتلقاه من المحيطين به.

إن هذا يقود إلى الافتراض الأساسي الكامن خلف تصور السلوكيين للنمو اللغوي، بالرغم من أن السلوكيين لديهم آراء مختلفة حول كيفية حدوث عملية التعلم بالضبط، إلا أنهم يتفقون جميعا حول البيئة أنها هي العامل الأكثر أهمية في عملية الاكتساب، وبينما يؤكد الفطريون على التشابهات التي تحدث في النمو اللغوي لدى الأطفال، فإن السلوكيين يؤكدون على الاختلافات التي تحدث بواسطة البيئات الواسعة الاختلاف، للأطفال أثناء فترة اكتساب اللغة، فالسلوكية تركز على القوى الخارجية التي تشكل سلوكيات الطفل اللفظية في صورة لغة، فهم يرون الطفل باعتباره مستجيب لهذه القوى.[16]

إن هذا يقودنا إلى الافتراض الأساسي الكامن خلف تصور السلوكيين للنمو اللغوي، بالرغم من أن آراءهم تختلف حول كيفية حدوث عملية التعلم إلا أنهم يتفقون جميعا حول الأكثر أهمية في عملية الاكتساب، وبينما يؤكد أصحاب النظرية الفطرية على التشابهات التي تحدث في النمو اللغوي لدى الأطفال، فإن السلوكيون يؤكدون على الاختلافات التي تحدث بواسطة البيئات الواسعة الاختلاف،

للأطفال أثناء فترة اكتساب اللغة، فالسلوكية تركز على القوى الخارجية التي تشكل سلوكيات الطفل اللفظية في صورة لغة فهم يرون الطفل باعتباره مستجيب القوى.

- **الكلام واللغة كسلوكيات إجرائية:**

ومن أبرز المنظرين المرتبطين بالتفسير السلوكي لنمو الكلام واللغة هو "سكنر" وليس بمستغرب أن يرى "سكنر" الكلام باعتباره سلوكا متعلما لأنه ينظر إلى كل السلوكيات باعتبارها متعلمة وفق مبادئ التعلم أو الاشتراط الإجرائي.

ولكي نفهم تفسير "سكنر" لنمو اللغو والكلام علينا أن نفهم أولا المبادئ الأساسية للاشتراط الإجرائي، ويمكن أن نتناول ذلك بتوضيح مختصر.

الإجراء هو أي سلوك يمكن أن يتأثر حدوثه بالاستجابات التي تعقبه أو بعبارة بسيطة السلوك الإجرائي هو رد فعل الكائن تجاه البيئة، فإذا ما زاد حدوث تكرار سلوك معين كنتيجة لاستجابة تعقبه، فإنه يحدث التعزيز، وإذا ما نقص التكرار، فإن السلوك المعين تتم معاقبته.

وفي الاشتراط الإجرائي، فإن الأحداث التي تعقب السلوكيات المستهدفة هي أشياء ذات أهمية للتعلم، بيد أن الأحداث التي تسبق السلوكيات أو المستهدفة هي أيضا من الأهمية بمكان، لأنها تتحكم في حدوث السلوكيات المطلوبة من عدمه، ولنفترض أن أحد الوالدين قام باشتراط الطفل تعليمه أن يقول "شكرا" حينما يتلقى هديته "تعزيز" في كل مرة يقول فيها ذلك، فإذا ما زادت كلمة شكرا كنتيجة للعدية، فإننا نستطيع أن نقرر أن التعزيز والتعلم قد حدثا، أثناء فترة التعلم قد يعطي الوالد –شعوريا أو لا شعوريا– نظرة معينة للطفل أثناء تلقيه الهدية، هنا النظرة تذكر الطفل أنه يجب أن يقول "شكرا" وتسمى هذه النظرة "المثير المميز". [17]

كما أن للتقليد دور هام في عملية اكتساب اللغة، فالوالدين والأفراد المحيطين بالطفل يستخدمون اللغة ولديهم الخبرة في تنمية الأشياء للطفل، هذا ما يمثل نماذج (modèle) للاستخدام اللغوي الكفء.

وهكذا يحاكي الطفل كلام الراشدين، ويرى الباحثون أن الأصوات المقلدة تتكرر مع الطفل نتيجة لأنها تسبب خبرات سارة لديه بالإضافة إلى أن هذا التقليد يعزز من المحيطين بالطفل [18].

وهنا نشير إلى رأي "ميرفي" Murphy فهو يرى ضرورة التفرقة بين عمليتين مختلفتين تقومان وراء اكتساب الطفل اللغة، الأولى هي عملية فهم لغة الغير من الراشدين والثانية هي استخدام هذه اللغة، ويتفق معظم الباحثين على أن العملية الأولى تسبق الثانية، فالطفل يفهم بعض العبارات ويستجيب لها استجابات ملائمة قبل أن يستطيع استخدام اللغة بمعناها الدقيق. [19]

ويعترف التجريبيون الذين يدعون أنهم قد علموا الحيوان شيئا من اللغة الإنسانية أن تلك الحيوانات التي دربوها لم تستطع أن تكتسب اللغة بالطريقة التي يكتسبها الأطفال وقد ظلت "القردة" مثلا المدربة عدة سنوات تتعلم النطق بثلاث كلمات فقط هي (بابا) (ماما) و(كب) أي فنجان، والواقع أنها قد فعلت ذلك بصعوبة كبيرة وبعد تدريب شاق اشتمل على تحريك شفتي القردة باليد بشكل مباشر. [20]

إذ ثمة اعتقادا سائدا بأننا نولد مزودين بأعضاء صوتية وجهاز عصبي يمكننا من النطق، ولا يلبث الطفل طويلا حتى يكتشف الأصوات ويتلفظ بها، بغض النظر عن الثقافة التي ولد فيها، وبالمثل فإن السرعة التي تتحول بها هذه التلفظات إلى نطق له معنى (لدى كل من الطفل والمحيطين به) وإلى أصوات قابلة للإعادة خلال السنوات القليلة الأولى من حياة الطفل تعد شهادة مقنعة لما في وسع الطفل من قدرة على اكتساب اللغة. [21]

ليس هناك شك أن التعزيز والتقليد لهما دور هام في النمو اللغوي، إلا أنه بالرغم من ذلك فإنه من الصعوبة بمكان أن ينظر إليهما باعتبارهما التغيير الوحيد لنمو الطفل اللغوي.

فالنظرية السلوكية هي نظرية مبسطة وعامة إلى حد ما، فمثلا من الصعوبة أن نعلل ونفسر التماثل والتشابه في اكتساب اللغة لدى الكائنات البشرية، فكل الأطفال يكتسبون لغة، ويكتسبونها بطرق متشابهة إلى حد كبير، فلو كان اكتساب اللغة هو بمثابة حالة بسيطة من تشكيل البيئة للغة الطفل فإنه سيكون هناك اختلاف وتباين واضح في الصور والأشكال والعمليات اللغوية.

إن نظرية التعلم تفشل في توضيح وشرح استخدام الأطفال للكلمات والجمل الجديدة، فالالتزام بنموذج نظرية التعلم باعتباره التغير الوحيد لاكتساب اللغة هو بمثابة النظرة القاصرة للموضوع، فعلى سبيل المثال فإن الأطفال الصغار يفهمون اللغة أكثر مما يستخدمونها فنظرية التعلم ليس لديها تفسير لفهم الطفل للكلمات والجمل المتنوعة كما أن التعزيز والتقليد لا يضعان في الحسبان مسألة السرعة الفائقة التي يتعلم بها الأطفال اللغة بمجرد أن يبدأون في التحدث. علاوة على هذا فإن الراشدين يميلون إلى تعزيز محتوى الكلام، أكثر من تعزيزهم للتركيب النحوي.

وهناك بحث قام به كل من براون "Brown" وجازدن" gazden وبيولوجيbullugi، قارنوا فيه بين صحة الكلام عند الأطفال حين تعقبه علامات الاستحسان من الوالدين بحديث الأطفال الذي لا تعقبه علامات الاستحسان فأوضحت النتائج أن الأسس التي كان يتم بناء عليها الاستحسان أو عدم الاستحسان لكلام الأطفال أسس غير لغوية على الإطلاق، ولكنها كانت تقوم على مدى الاتساق بين الكلام والواقع، أي مدى واقعية الجملة. [22]

ولهذا نجد جملا خاطئة نحويا مثل "أنالا مثل أختي" والتي يقصد بها "أنني لست مثل أختي" قد يستقبلها الوالدين بالاستحسان والموافقة، بينما نجد جملة سليمة البناء مثل "إنني نائم" قد تواجه بعدم الموافقة "لا أنت لم تنم".

وكذلك من أبرز جوانب القصور في هذه النظرية السلوكية هو الافتراض أن الطفل يلعب دورا سلبيا في اكتساب اللغة، فالأطفال حتى في المراحل المبكرة من تعلم اللغة يقومون بالتجريب بشكل فعال من خلال إحداث الأصوات بصرف النظر عن رد فعل الوالدين، فهم يشيرون إلى الموضوعات والأشياء التي يسميها الوالدين لهم، ويبتكرون كلمتان أو ثلاث لم يتحدث بها أبدا الوالدين إليهم [23].

وفيما يتعلق بالتقليد فإن التقليد ليس هو السبيل الوحيد الذي يتعلم بواسطته الأطفال اللغة فلو كان ذلك صحيحا فإن كلام الأطفال ينبغي أن يكون صحيحا نحويا بشكل دائم، لأن الراشدين يستخدمون النحو غالبا بشكل صحيح، بيد أننا نجد أن الطفل في الواقع قد يكون كلامه غير مناسب من حيث القواعد النحوية.

كما قدمت جايمس "james" تلخيصا لبعض المشاكل والانتقادات الموجهة لهذا النموذج السلوكي، ففيما يتعلق بدور التقليد فإنه مثار تساؤل، فالأطفال ينتجون جملا لم يسمعوها أبدا من قبل، وهذا يعني أنهم ينتجون جملا أكثر ابتكارية وأكثر اختلافا عما سمعوه فالطفل قد يقول أشياء مثل "لا بابا جاء" ويعني بها أن الأب لم يجيء، أو غيرها من الجمل المختلة نحويا وصرفيا...

كما أن التقليد يقل بشكل كبير بعد العام الثاني، ولكن نجد أنه ما زال هناك كثيرا من اللغة يجب اكتسابها بعد عمر الثانية، ولو كان التقليد هاما كما يعتقد السلوكيون فإننا نتوقع أن نرى تقليدا أكثر اتساقا من النماذج التي نراها.

وهكذا يمكننا القول أنه بالرغم من بعض الفائدة التي تكمن في نظريتي الاشتراط والتقليد في شرح كيفية اكتساب اللغة، إلا أنه بالإضافة إلى ما سبق فإن هذه النظريات تغفل بعض العوامل البيولوجية أو النضجية المهيأة لاكتساب اللغة، فعلى سبيل المثال، نجد أن القراءة للغة المكتوبة تبدأ في عمر السادسة تقريبا وكل الأطفال لا يستطيعون القراءة في نفس الوقت وبعض الأطفال يبدون استعدادا للقراءة مبكرا عن البعض الآخر، إن التهيؤ يدل على أن النمو الملائم يجب أن يحدث أولا قبل أن يستطيع الأطفال التعلم، وهذا التهيؤ للقراءة يجب أن يكون محددا بيولوجيا، فإذا لم يكن ذلك صحيحا، فإنه ينبغي على الوالدين نظريا على الأقل أن يكونوا قادرين على تعليم طفلهم الصغير القراءة بمجرد أن يولد.

ومن نقد النظرية السلوكية نجد تشو مسكي، فهو يدحض الآراء التي عرضها سكنر في كتابه السلوك اللغوي verbal bahaviar وقد رأينا أن السلوكيين ومنهم سكنر يؤمنون بأن اللغة لا تعدوا أن تكون عادة اجتماعية سلوكي مثلها في ذلك مثل سائر العادات السلوكية الأخرى، وأن اكتساب اللغة يتم عن طريق المحاولة والخطأ.

أما تشو مسكي فيرى أنه لا توجد أي علاقة بين سلوك حيوانات التجارب وبين اللغة البشرية، لأن اللغة خاصية من خصائص الإنسان التي لا يشاركه فيها غيره وأن أنظمة الاتصال عند الحيوان والتي تسمى تجاوزا لغات تختلف بصورة جذرية عن اللغات الإنسانية فلهذه اللغات طاقة توليدية لا متناهية ولا يمكن التنبؤ بعبارات اللغة التي سوف تقال استنادا إلى المثيرات الخارجية ويرى أن اللغة ظاهرة معقدة غاية التعقيد وأن الطفل لا يولد وذهنه صفحة بيضاء كما يزعم السلوكيون، بل أنه يولد "مزودا" بمعرفة تامة بالنحو الكلي، أي أنه يولد ولديه قدرته أو استعداد لغوي فطري Compétence وهذا الاستعداد الفطري هو الذي يفسر تلك السرعة المذهلة والسهولة الفائقة التي يكتسب بها الطفل لغة الأم.

وقدرة الطفل على تعلم الكلام ليس له علاقة بالذكاء أو الحافز، فجميع الأطفال سواء أكانوا أذكياء أم أغنياء يتعلمون الكلام باللغة الأم، ولو فرض أن الطفل لم يتعلم هذه اللغة الأولى قبل البلوغ فمن الصعب إن لم يكن من المستحيل أن يتعلمها بعد ذلك، والتعليم المدرسي لا يعلم اللغة، فالمدرسة تعلم الطفل القراءة والكتابة ولا تعلمه التكلم باللغة. [24]

وقد رأى تشو مسكي أن هناك عموميات لغوية، أي قواعد وأشكال عامة تنطبق على جميع اللغات الإنسانية وهذا هو الذي يتيح للطفل أن يكتسب أي لغة يوجد في محيطها وقد أبرز خاصية هامة تميز لغة الإنسان عن أنظمة الاتصال الحيواني تلك هي القدرة الإبداعية للغة الإنسانية، فالإنسان خلاق في لغته وفي وسعه أن يخلق بعدد محدود من الأصوات phonèmes ما لانهاية له من الجمل، والطفل عندما يمتلك خاصية اللغة تتكون عنده القدرة على الخلق والابتكار أي خلق وتوليد الجمل.

إن مثل هذه الانتقادات تدل بوضوح على أن التعلم ليس ميكانيزما مفردا يتم بواسطته اكتساب اللغة، ولهذا يمكننا أن نتناول نماذج ونظريات أخرى من نظريات اكتساب اللغة.ثم ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية حركة تزعمها عدد من علماء كان أهمهم وابعدهم أثرا "سابير Sapir وبلوم فيلد"، الذين يعتبران أبا المدرسة البنيوية الحديثة... وقد امتد أثر هؤلاء على الدراسات اللغوية النظرية في أواخر الخمسينات من القرن الحالي، وظل أثرهم التطبيقي واضحا حتى أوائل السبعينات بل حتى الوقت الحاضر في كثير من البلدان، ذلك لأن أعمال هؤلاء العلماء اعتبرت ثورة فعلية على القواعد التقليدية، فما هي أسس هذه المدرسة وما هو منهجها وما هي نتائج مجهوداتها؟.

لقد اتخذت هذه المدرسة من المدرسة السلوكية في علم النفس حجر الأساس الذي ترتكز عليه ولذلك فقد كان اهتمامها مقصورا على السلوك اللغوي الظاهر الذي يمكن ملاحظته، دون التطرق إلى ما يجري داخل الدماغ، ولطلك ركزا دراستهم على لغة الحديث الشفوية بالدرجة الأولى، واعتبروا هذه المظهر من المظاهر اللغوية الأولى والأساسية والاهم ولهذا فقد ظهر في دراستهم الاهتمام الواضح بالجانب اللفظي verbal للغة والعناية الفائقة بانعكاس ذلك على المعاني.

إلا أنهم في مقابل ذلك أهملوا دراسة المعنى إهمالا كبيرا، وتركوه لعلماء النفس والفلاسفة ليعالجوه بطرائقهم الخاصة، على أساس أنه شيء غير ظاهرة وغير محسوس، ولهذا فهو ليس من اختصاص اللغويين.

وقد كان لتأثر أصحاب هذه المدرسة بالحركة العلمية التي سادت القرن الماضي، أثره الكبير على أسلوب أو منهج عملهم بحيث كانوا يجمعون المادة اللغوية من أفواه الناس ويسجلونها ثم يبدؤون بتقسيمها إلى جمل، فأشباه جمل، فكلمات فأجزاء الكلمات، إلى أن يصلوا إلى الأصوات أو اللبنات الأولى، التي تتألف منها اللغة جميعا ثم يستخدمون الأسلوب العلمي الدقيق في اكتشاف الطرائق التي تتجمع بها الأصوات لتؤلف الكلمات والكلمات لتؤلف الجمل، أي لتؤلف النماذج أو الأنماط التي تنتج عن كل عملية من تلك العمليات.

لقد كان اهتمام "دي سوسير" الرأي الأول لهذه المدرسة منصبا على وصف اللغة، أي لغة، من داخلها وبالاعتماد على المعايير اللغوية دون سواها سعيا وراء التوصل إلى وصف دقيق علمي شامل لتركيب أو بنية اللغة الأساسية، وما يتفرع عنها من أبنية فرعية، بحيث يأتي الوصف شاملا وعلميا ودقيقا للغاية، ولذلك فقد كانت المعايير المستخدمة واضحة جدا ومنهجية ومطبقة بحرفيتها على جميع الحالات، وهذه بلا شك واحدة من أكبر حسنات منهج هذه المدرسة لأنها تأتي دائما بالنتائج الموثوقة المبنية على أساس ثابت. [25]

إلا أن أبرز جوانب القصور في هذه النظرية هو اهتمامها بالشكل فقط فهي لم تحاول النفاذ إلى جوهر اللغة وأهم مظهر من مظاهرها وربما كان ذلك هو عبء هذه النظرية الرئيسي فما قدمته هذه النظرية لا يتعدى أن يكون تأخيرا للجمل الرئيسية التي تتكون منها اللغة وقد ساعدتهم النظرية السلوكية في علم النفس على افتراض أن وضع الأطر أو الأنماط اللغوية، سواء على مستوى الكلمة أو على مستوى الجملة، فيه الكفاية لعطاء الصورة الكاملة عن اللغة، ذلك أنهم وخصوصا بعد أن أتى "سكنر" بنظريته القائلة: "إن اكتساب اللغة شبيه باكتساب العادات الأخرى عن طريق 'المثير والاستجابة والتعزيز' ارتأوا أن تلك الأطر أو الأنماط أو القوالب التي قسموا اللغة إليها ما هي إلا أجزاء من العادات أو السلوك اللغوي يكتسبها الطفل واحدة بعد الأخرى بالاستماع والمحاكاة والتعزيز والتكرار إلى أن يتقنها.

وبما أنهم كانوا مهتمين بوجه خاص بتعليم اللغات الأجنبية فقد رأوا أن هذا هو الأساس السليم لتبسيط اللغة على المتكلم –بتقسيمها إلى تلك الأطر أو الأنماط– وبنوا عليها طريقتهم المعروفة باسم الطريقة السمعية الشفوية التي سادت معظم أنحاء العالم فترة من الزمن.

ولكننا نعرف الآن أن معظم علماء النفس المحدثين وكذلك علماء اللغة والمختصين في علم اللغة النفسي، لا يعتقدون أن التغير السلوكي لاكتساب العادات بوجه عام ينطبق على اكتساب اللغة، ولهذا يتضح لنا بجلاء مدى الخطأ الذي ارتكبه أصحاب هذه المدرسة في توجههم النظري لتحليل اللغة وفرضيتهم المتعلقة باكتساب اللغة التي كان لها أكبر الأثر على توجههم اللغوي.

لقد تعاملوا مع اللغة كما يتعاملون مع المواد الكيماوية التي يمكن تحليلها في المختبر بطريقة علمية موضوعية لا علاقة لها بالفكر أو المعنى، أو كما يتعامل العلماء مع الظواهر الطبيعية أو النظريات الرياضية وغيرها، وأهملوا إهمالا تاما علاقة اللغة بالعقل، كما أهملوا علاقتها القوية جدا بالمجتمع فأتت نظريتهم قاصرة إلى حد كبير. [26]

النظرية الفطرية:

في عام 1957 ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية كتيب صغير الحجم عظيم الأثر بقلم عالم اللغة من أتباع النظرية البنيوية وهو "نوم تشومسكي" N.chomsky حيث أتى بنظرية جديدة تختلف عن سابقتها، اختلافا كاملا، واستطاعت أن تقوض النظرية البنيوية من أساسها.

لقد أخذت هذه النظرية الجديدة على سابقتها أنها اعتمدت على عينة، من الكلام الفعلي، ووضعتها في أطر موحدة، وكأن تلك الأطر هي الوحيدة التي تمثل أبنية اللغة جميعها، وبذلك سدت الباب على تلك الأبنية التي يمكن أن تتمخض عنها قواعد اللغة، بل التي تصدر عن الناس بالفعل سواء في لغة الحديث أو لغة الكتابة، كما أنها أخذت على المدرسة اللغوية السابقة أنها لم تتوصل إلى القواعد الفعلية التي تعمل كالمولد الآلي لتوليد جميع الجمل الصحيحة الممكنة في اللغة، سواء أصدرت عن أحد منذ بدء الخليقة حتى الآن، أم لم تصدر، أما أنها تصدر عن بعض الناس فيما يأتي من الزمن.

كما أخذت هذه النظرية على سابقتها سطحيتها في الوصف اللغوي، واقتناعها بالشكل الخارجي للغة دون الالتفات إلى المضمون، أو المعنى الذي يكمن في أعماق اللغة، ويكون المرحلة العميقة الأساسية من مراحلها، ثم أن أصحاب هذه النظرية الجديدة لم يكونوا يؤمنون بالمذهب السلوكي، في علم النفس، واعتبروه سطحيا لا ينفذ إلى أعماق الإنسان الذي تصدر عنه اللغة التي هي أعقد ما يصدر عنه على الإطلاق. [27]

وقد افترض أصحاب هذه النظرية أن الطفل يولد مطبوعا على قدرة خاصة تختلف عن جميع المخلوقات الأخرى، لاكتساب أي لغة أو لغات يتعامل معها في مجتمعه بشكل طبيعي، وخالفوا كل من سبقهم ممن قالوا أن اكتساب اللغة يتم عن طريق الاستماع والمحاكاة والتعزيز والتكرار، لأن هذا القول يعني أن يلتزم الطفل بما يسمعه فقط ويختزنه في الذاكرة.

ثم يسترجعه عندما يحتاج إلى شيء منه في مناسبة ما، وهذا في رأي أصحاب هذه النظرية خطأ كبير لسببين: السبب الأول أن هذا لو كان صحيحا لتطلب وقتا طويلا جدا، بينما نجد أن الطفل يتقن لغة قومه في زمن قياسي لا يتعدى السنوات الثلاث أو الأربع الأولى، عن عمره، على أكثر تقدير وفي وقت يكون فيه عقله وذكاؤه قاصرين جدا، أما السبب الثاني فهو أن الواقع يدحض هذه الفرضية ذلك لأن الطفل ما إن يبلغ الخامسة من عمره وربما قبل ذلك بعام أو أكثر، حتى نجده قادرا على خلق الجمل التي يحتاج إليها في المناسبات المختلفة وفي كثير من الأحيان لا تكون هذه الجملة شبيهة بتلك التي يستخدمها الكبار، والتي يسمعها الطفل منهم، ولهذا فقد افترض أصحاب هذه النظرية أن هناك قدرة تولد مع الطفل تتكون مما يسمى بالقواعد الكلية (لجميع اللغات) grammaire universelle ولذا فقد وجد كل من "تشو مسكي" ولين برج lanberg أن نموذج التعلم السابق شرحه بسيط جدا ويتعذر الدفاع عنه وفي إشارة إلى أهمية الجوانب البيولوجية يرى لين برج أن بزوغ الكلام يكون تحت ضبط نضوجي صارم، وهكذا نجد أن بعض علماء اللغة يرون أن اللغة يتم تعلمها جزئيا من خلال خبرات الطفل وأن الجانب الأكبر منها يكون بسبب قدرات لغوية فطرية capacité linguistique.

فيرى لين برج أن هناك محدد بيولوجي فطري للسلوك اللغوي ويرى أن الكائنات تولد بقدرة لغوية ولديها استعداد فطري على إنتاج اللغة، وترى هذه النظرية أن اللغة ليست مكتسبة كلها، ولكن بعض منها غير ولادي فهناك عناصر معينة من اللغة شائعة فيما يبدو، ويرى "لينبرج" أن قدرة الأطفال على

تعلم اللغة هي نتيجة للنضج، ويتحدث عن الفترة الحرجة لاكتساب اللغة فهو يرى أنه عند الميلاد وفي الأشهر الأولى المبكرة فإن النضج يحدد قدرة الطفل على أن يتكلم وعلى العكس فعند حوالي 18 شهرا إلى سن سنتين فإن الأطفال ينمون القدرة على الكلام واستخدام اللغة، فقدراتهم العصبية نضجت لدرجة أن اكتساب اللغة يصبح ممكنا.

وعموما فإن المنهج البيولوجي يرى أن هناك تفاعلا بين الاستعداد المبدئي أو الفطري السابق للغة وبين البيئة، وهذا المنهج يفترض أن اكتساب اللغة هو اكتساب سلسلة من القواعد التي تسمح للأطفال أن ينتجوا الجمل [28] وإلى جانب ما سبق يناقش "لينبرج" عدة أمور شائعة في نمو اللغة، تؤكد مسألة النضج الفطري لنمو اللغة هي:

أ- أن بداية انتظام اللغة تحدث ما بين سنتين وثلاث سنوات.

ب- أن اللغة تبزغ قبيل أن يستخدمها الأطفال بشكل مباشر.

ت- أن التلفظات المبكرة مثل المناغات والسجع لا تمثل ممارسة أو متطلبات تعلم لاكتساب اللغة فيما بعد.

كما يعتقد "تشومسكي" أن نمو اللغة هو حالة مبدئية من النضج وأن العامل البيئي الوحيد الضروري للطفل لكي يتعلم اللغة هو أن يتعرض لبعض اللغة وبعبارة أخرى فإن المعرفة بقواعد اللغة –أي قواعد كيفية تجميع الكلمات في جمل وعبارات ذات معنى- أي التركيب syntaxe هي عملية بيولوجية الأساس. [29]

وبناء على ما يذهب إليه "تشومسكي" فإن كل كائن حي يولد مزودا بقدرة أولية نوعية لاكتساب اللغة، وهي التي يطلق عليها "تشومسكي" آلة اكتساب اللغة، فكل طفل يولد ببناء لغوي عام شائع يرشد محاولات و مجهودات الطفل ليفهم القواعد الأساسية للغة فآلة اكتساب اللغة بالمخ تسمح للطفل الصغير أن يستنتج نظام القواعد الأساسية فالأطفال يكتشفون التناسق والانتظام المجرد في الكلام الذي يسمعونه، ويحللون هذه الأنماط اللغوية، ويستخدمون نتائج التحليل في لغتهم.

إن وسيلة اكتساب اللغة تضع في الاعتبار حقيقة أن كل الأطفال يسيرون خلال نفس المراحل في اكتساب اللغة بالرغم من الاختلافات الكبيرة في حصيلتهم أو لغتهم الفطرية، كذلك تضع في الاعتبار أن الأطفال يقعون في الأخطاء عند قيامهم بعملية الجمع (أي جعل المفرد جمع) مثل قولهم "أغنية" فيجمعونها مثلا "أغنانات" بدلا من أغاني...

ويخطئون كذلك عند التحويل إلى زمن الماضي أو التحويل إلى صيغة النفي مثل "أنا نمت لا ويقصدون بها "لم أنم أو لن أنام"... وكلها لا يمكن أن تكون قد سمعت أو قلدت.

كما يرى تشو مسكي أن الكلام الذي يسمعه الطفل يدخل إلى وسيلة اكتساب اللغة، وبواسطة العملية التي تحدث هناك، تخلق الأفكار الخاصة بقواعد اللغة لاشعوريا، فالقواعد الفطرية التي تشكل وسيلة اكتساب اللغة والقواعد المكتسبة للغة معينة تكون وتشكل النحو لهذه اللغة. [30]

ومن الجدير بالشرح والتوضيح أن هناك مناطق خاصة باللغة في المخ والمنطقة الأساسية يشار إليها باسم منطقة بروكا "Brocer" نسبة إلى العالم "بيربول بروكا" حيث قام ببحث شامل على هذه المنطقة من المخ، واكتشف أنه عندما تحدث إصابة في هذا الجزء تنشأ عن ذلك "الأفازيا" أي فقدان القدرة على النطق" ونجد أن الأطفال والراشدين المصابين بالأفازيا غير قادرين على تسمية الموضوعات والأشياء أو غير قادرين على إنتاج الكلمات على الإطلاق، وهناك منطقة أخرى في المخ متضمنة في الكلام هي منطقة وزنك وإصابة هذه المنطقة في المخ تحدث عدم القدرة على تنفيذ الجمل السمعية أو إتباع التعليمات البسيطة، مثل ضع هذا الكتاب فوق المكتب.

ثم إن جانبا من تعلم الطفل للغة وقدرته على ذلك هو الفهم الفطري للبناء الأساسي للغة، وهو ما يسميه تشو مسكي البناء العميق، ويمثل البناء العميق المعنى أو الفكرة التي تكمن وراء الكلمات في الجملة، أما الجانب أو المستوى الآخر للفهم والذي يأخذ فترة ليتم تعلمه هو البناء السطحي والذي يمثل الجملة التي نراها تسير من كلمة لأخرى خلال الصفحة. [31]

ويمكن توضيح الاختلافات بين هذين المستويين من الفهم من خلال الجمل الآتية "البنت حركت الكرة، الولد قذف الكرة".

"الكرة حركت بواسطة البنت"، "الكرة قذفت بواسطة الولد".

هاتين الجملتين لهما بناء سطحي مختلف، ولكن معناهما واحد، فالجملتين تتحدثان عن طفل قذف الكرة، ولذلك فالبناء العميق هو نفسه البناء السطحي.

مثال آخر:

"لقد كان نباح الكلب مرعبا"

هذه الجملة لها بناء سطحي واحد فقط، ولكن لها معنيان:

1) أن الكلاب كانت تنبح بشكل سيء.
2) أن الكلاب كانت تنبح.

في هذه الحالة هناك بناءان عميقان وبناء سطحي واحد، فالبناء العميق قد ترجم إلى بناء سطحي بواسطة تطبيق مجموعة من القواعد، وهذه القواعد تحويلية، وتسمى نظرية "تشومسكي" بنظرية "النحو التحويلي".

إن أهمية القواعد التحويلية تكمن في قدرتها الذاتية على تفريع الجمل من خلال العلاقة التي تتبدى في ضوء ما تقدمه هذه القواعد من إجراءات تفسيرية من خلال بيان العمليات التحويلية المسموح بها من القواعد وتحديد عددها وترتيبها وتعداد القيود المتعلقة بتطبيقها [32].

وتنقسم القواعد التحويلية إلى قسمين: قواعد تحويلية وجوبية وقواعد تحويلية جوازية (اختيارية) ويعرف هذا في التراث النحوي العربي بالوجوب والجواز ، وجوب أو جواز تقديم عنصر وحذف عنصر. [33]

وعموما فإن النظرية الفطرية أو البيولوجية ترى أن هناك تفاعلا بين الاستعداد الفطري السابق على اللغة وبين البيئة، وهذه النظرية تفترض أن اكتساب اللغة سلسلة من القواعد التي تسمح للأطفال أن ينتجوا الجمل.

وهكذا وطبقا لمنظور "تشو مسكي" فإن اللغة المنطوقة في بيئة الطفل يتم ترشيحها وتصفيتها من خلال وسيلة اكتساب اللغة، حيث يتم إدراك واختزال النظام النحوي إلى قواعد ثم تقوم وسيلة اكتساب اللغة باستخدام هذه القواعد لإيجاد وخلق تجمعات جديدة من الكلمات، تلك التجمعات قد لا يكون الطفل قد سمع الآخرين ينطقون بها. [34]

ولعل هذه القدرة قد تفسر لنا العدد الضخم من التلفظات الأصلية التي يصدرها الطفل، وتشرح أكثر من ذلك كيف يسلك الطفل ليكسب اللغة من خلال التغذية المرتجعة لتلفظاتهم الصحيحة. [35]

لقد ترك تشو مسكي وأتباعه العديد من الأسئلة المثارة دون محاولة التصدي للإجابة عليها حول كيفية تعلم اللغة، فالفكرة الأخيرة والسابق شرحها بأن الأطفال يجردون نظام نحوي توليدي تساعدنا على فهم النمو السريع للتركيب، إلا أنها لا تولي اهتماما كبيرا لنمو "السيمانتيك" أي تطور معاني المفاهيم وينظر كثير من العلماء إلى ذلك باعتباره نقصا أساسي في النظرية.

كذلك من الصعب أن نعرف شيئا من وسيلة اكتساب اللغة التي يدعيها "تشو مسكي" فهم لم يبرهنوا على أن المخ يحتوي بالفعل على هذه الآلة اللغوية الخاصة، وذلك يمثل نقصا عاما في الدعم التجريبي لهذه النظرية، وبالتالي فإن وسيلة اكتساب اللغة هي بناء فرض مفيد، ولكن خصائص هذه الوسيلة وكيفية عملها بالضبط تظل غير واضحة.

هوامش البحث:

---

1. ف.م.لويس، اللغة والمجتمع، ترجمة تمام حسان، دار إحياء الكتب العربية، سنة 1959، ص295.
2. يسبرسن، اللغة بين الفرد والمجتمع، ترجمة عبد الرحمن أيوب.القاهرة 1954 ص55
3. ابن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الكتب المصرية (1956) ج1، ص33.
4. انظر: cours de linguistique général éditions talantikit béjaia 2002 page 13 et 14 Ferdinand De Sausseure
5. د. عبد الصابور شاهين، فصول في علم اللغة العام، مكتبة دار العلوي، ط3، 1978، ص140.
6. انظر: د/ عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص 26/ 29.
7. انظر: عبده الراجحي، المرجع السابق، ص29-30.
8. د. عبد الصابور شاهين، فصول في علم اللغة العام، ص197.
9. انظر: يسبر سن ، Jespersen، اللغة بين الفرد والمجتمع، ترجمة د/ عبد الرحمن أيوب، ص24 وما بعدها .
10. انظر: نفس المرجع ص24 وما بعدها.
11. نظر: عبد الرحمن أيوب، اللغة والتطور، معهد الدراسات العربية 1969، ص92.
12. عاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987، ص33.

13. ميشاال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغات، ص145.
14. المرجع السابق، ص145.
15. المرجع نفسه، ص73.
16. مارك ريشل، اكتساب اللغة، ترجمة كمال بكداش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص78.
17. انظر: عبد الرحمن أيوب، اللغة والتطور، معهد الدراسات العربية، 1969، ص92.
18. نايف خرما، علي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة،/ الكويت، العدد 162، 1988، ص33.
19. سويف مصطفى: الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي، دراسة ارتقائية تحليلية، القاهرة، دار المعارف، ط3، 1970، ص136.
20. إسماعيل محمد عماد الدين، الأطفال مرآة المجتمع، النمو النفسي الاجتماعي للطفل في سنوات تكوينه الأولى، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، عدد 99، 1986، ص91-92.
21. تشايلد دنيس، علم النفس والمعلم، ترجمة عبد الحليم محمود السيد وزين العابدين درويش وحسين الدريني، القاهرة، مؤسسة الأهرام، 1983، ص172.
22. نوال محمد عطية، علم النفس اللغوي، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط3، 1995، ص163.
23. نفسه، ص205.
24. انظر: جون سيرل، مجلة الفكر العربي، تشومسكي والثورة اللغوية (مقال) مارس 1979.
25. ينظر: ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغات، ص144 وما بعدها.
26. مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، عالم المعرفة، الكويت، العدد 193: 1998.
27. جون سيول، تشو مسكي والشؤون اللغوية، مجلة الفكر العربي، عدد8، 1979، ص124.
28. مصطفى ناصف، المرجع السابق، ص310-311.
29. المرجع السابق، ص312.
30. انظر: ستفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، القاهرة، 1988، ص63.
31. المرجع السابق، ص65.
32. انظر: ستفان أولمان، المرجع السابق، ص64.
33. د. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص124.
34. د/ مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، العدد 193، 1995.
35. / أنس محمد أحمد قاسم، اللغة والتواصل لدى الطفل، مركز الإسكندرية للكتاب، 2005، ص64.

إشكالية التّداخل اللّغوي
وأثره في شخصية الطّالب الجامعي الجزائري .

د/ يوسف بن نافلة
(جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف)

الملخّص :
تتناول المداخلة مفهوم التداخل اللّغوي باعتبار أنّ الألفاظ تهاجر وتنتقل مثلما يهاجر النّاس،ويؤدي انتقالها وهجرانها إلى تداخلها ،وتسرّب ألفاظ لغة قوم في الأخرى ،وأنّ اللغة كذلك تموت ميتة طبيعية، لكثرة الناطقين أو تباعد بيئاتهم ،فيحدث بعدها التفاعل ،والتصارع بين اللغات ،مثلما يحدث في المجتمعات والأمم. بعدها أتناول موضوع التعدد اللغوي وتأثيراته على أفراد المجتمع ،وعلاقاتهم فيما بينهم ،وكذا التفرد اللغوي ونتائجه على المجتمعات البشرية ،ثم أتحدث عن الازدواج اللغوي ،وفي الأخير أركّز على أثر التداخل اللغوي في شخصية الطالب الجامعي في الجزائر.

Summary:
Dealing with intervention concept of overlapping linguistic grounds that words migrate move as migrating people, leads the transition and Hjeranha to overlap, and leakage of the words of the people of the language in the other, and that language as well die a natural death, to the large number of speakers or spacing environments, occurs after the reaction, and wrestle between languages, such as occurs in communities and nations. Then I take the subject of multilingualism and its effects on members of the community, and their relationships with each other, as well as the uniqueness of language and its consequences on human societies, and then talk about the taxation of language, and in the latter focus on the impact of the overlapping language in the character of a university student in Algeria.

المقدّمة :
من المتعارف عليه لدى معشر اللسانيين ،وأهل الاختصاص أنّ التداخل اللغوي يقصد به استعمال المتكلم ثنائي اللغة ، في اللغة الهدف (1) لسمة صوتية ،أو صرفية ،أو تركيبية ،أو معجمية ،تكون خاصية

اللغة (2) ، وأنّ التداخل اللغوي يظل في نظرهم فرديا لا جماعيا وغير مقصود عكس مصطلح الاقتراض اللغوي الذي يدمج في اللغة .ومن هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة لتجيب عن الإشكالية الآتية :

ما مدى تأثير التعدّد اللّغوي وانعكاساته على أفراد المجتمع ؟،وما المراد من التفرد اللغوي وما أثره على العملية التعليمية ؟،و إلى أيّ مدى يؤثّر التداخل اللغوي على هُوية ،وشخصية الطالب الجامعي الجزائري ؟ وعلى أيّ مستوى يحدث هذا التداخل الذي يحدث عند المتكلم؟

مفهوم التّداخل اللّغوي :

أ-في اللّغة :

جاء في لسان العرب في باب (دخل) :"تداخل المفاصل ودِخالها :دخول بعضها في بعض .وتداخل الأمور :تشابهها ،والتباسها ،ودخول بعضها ببعض ..." [1]

ويعرّفه مجمع اللغة العربية في المعجم الوسيط :(ادّخل :دخل ،واجتهد في الدخول ،وتداخلت الأشياء :داخلت ،والأمور :التبست ،وتشابهت ،ويقال تداخل فلانا منه شيء :خامره.

والدّخيل مَن دخل في قوم وانتسب إليهم وليس منهم ،والضّيف لدخوله على المُضيف ،وكل ّ كلمة أُدخلت في كلام العرب وليست منه ،والفرس بين فرسين في الرّهان ،والمُداخل الباطن ،والأجنبي الذي يدخل وطن غيره ليستغلّ ،دُخلاء :ويقال داء دخيل :دَخْلُ ... [2]

ب- في الاصطلاح :

يعرّف(لويس جان كالفي)LOUIS-JEAN. CALVET مصطلح التداخل بقوله :"يدلّ لفظ التداخل على تحوير للبنى ناتج عن إدخال عناصر أجنبية في مجالات اللغة الأكثر بناء ،مثل مجموع النظام الفونولوجي ،وجزء كبير من الصّرف ،والتراكيب ،وبعض مجالات المفردات (القرابة ،واللون ،والزّمن ..الخ. [3] وجاء في (المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات) :"تداخل :هو استعمال متكلم ثنائي اللغة في اللغة الهدف (أ)لسمة صوتية ،أو صرفية أو معجمية أو تركيبية تكون خاصية اللغة (ب) .. [4]

ويحدّد ج.هامرس و م.بلان ظاهرة مزج اللغات بقولهما :

يتميز مزج اللغات بتحويل أو نقل عناصر تنتمي إلى لغة (ل.ي) إلى اللغة الأساس (ل.س) .ويمكننا أن نميز في صلب الملفوظ المزوج العناصر اللغوية التي تنتمي إلى ل.س.والتي تتعاقب مع عناصر من (ل.ي) والتي تخضع لقواعد النظامين .وعلى عكس الاقتراض،الذي يقتصر في الغالب على الوحدات الإفرادية ،فإن مزج اللغات يحوّل عناصر إلى وحدات تنتمي إلى جميع المستويات اللغوية وقد تمتد من الوحدة الإفرادية إلى غاية الجملة التامة ،بحيث يصعب علينا في المحصّلة التمييز بين التعاقب اللغوي والمزج اللغوي.والمزج اللغوي ،كالتعاقب اللغوي ،استراتجية يعمد إليها مزدوج اللغة في حين أنّ الاقتراض ليس كذلك ولكن يمكن للناطقين الوحيدي اللغة ممارسته في الأوضاع التي تتّسم باحتكاك اللغات [5]

وحين يكون الفرد إزاء لغتين يستعملهما بالتناوب ،فيحصل أن تتمازجا في خطابه ،وأن ينتج ملفوظات مزدوجة ،ولا يتعلق الأمر ههنا بالتداخل ،بل يتعلق بعملية تلصيق ،وانتقال من نقطة من الخطاب بلغة إلى أخرى ،وهو مايدعى بمزج اللغات ،أو التعاقب اللغوي في مجرى الجملة نفسها أو من جملة إلى أخرى .[6]

التفرّد اللّغوي :

المقابل اللغوي المقابل العربي للفظ الأجنبيUNILINGUE وهو يصدق على الوضعية اللسانية المتميزة باستعمال أهل البلد أو البلدان للغة واحدة للتعبير بطلاقة ،ويسر تامين عن تجاربهم العلمية والعملية والوجدانية في مختلف المجالات [7]

التفرّع اللّغوي :

التفرّع اللّغوي حين DIGLOSSIE يُجعل في مقابل الازدواج اللغويBILINGUISME ،يكون دالاّ على وضعية لسانية خاصة ،تتميز بأن يتواجد في البلد الواحد لغة ما إلى جانب اللهجة أو اللهجات المنحدرة منها ،بحيث تتسارع في أذهان المتكلمين للغة واللهجة المتفرعة عنها للفوز باستعمال أهل ذاك البلد لتبليغ أغراضهم والتعبير عن تجاربهم [8]

الازدواج الّلغوي :

لقد اعتاد اللّسانيون أن يطلقوا الازدواج اللغوي BILINGUISME على وضعية لسانية تتميز بأن يتواجد في البلد الواحد لغتان من نمطين مختلفين كالعربية والاسبانية في شمال المغرب وجنوبه ،والعربية والفرنسية في الوسط ،وهما مع ذلك الاختلاف تستعملان بالطلاقة نفسها نسبيا للتعبير عن التجربة الشخصية للناطقين بتينكم اللغتين [9]

التعدّد اللّغوي :

التعدّد اللّغوي المقابل للّفظ الأجنبي MULTILINGUISME وهو يصدق على الوضعية اللسانية المتميزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد ،إمّا على سبيل التساوي إذا كان كانت جميعها لغات عالمة ،كالألمانية ،والفرنسية ،والإيطالية في الجمهورية الفدرالية السويسرية وإما على سبيل التفاضل إذا تواجدت لغات عالمة كالعربية بجانب لغات عامية مثل الهوسا والغورمانشه ،والسوناي زارما ،والتماشيق ،والفولفولدة ،والتوبر في جمهورية النيجر .[10]

التعدّد اللّساني :

يذكر عبد العليّ الودغيري في موضوع (التعدداللساني : سياقه ،وشروطه ،وقضاياه) يذكر أنّ خوف المجتمعات الأوروبية الكبرى من سيطرة الإنجليزية أدّى بها إلى رفع شعار التعدّدية اللّغوية إشفاقا على لغاتها ،وحماية لها من التراجع والانهيار ،وليس خوفا على اللغات الضعيفة والصغيرة كما يشاع ،إذ أصبح واضحا أنّ المتضرّر الأول من العولمة اللغوية الذي يعني فرض الإنجليزية على العالم هو اللغات

الكبرى المركزية والوطنية وخاصة في دول الشمال حيث يرتبط اسم الدولة باسم لغتها الرسمية في غالب الأحيان ،أما اللغات الصغيرة فالعولمة تضمن لها مقعدها ،ولاتستهدفها ،ولاتهدّدها بالموت والانقراض لأنها لاتنافسها في شيء [11]

ويذكر أيضا أنّ الدول الاستعمارية تلجأ إلى نشر إيديولجية تُقنع بها هذه الشعوب المغلوبة على أمرها ،ونخبها السياسية على الخصوص بأهمية التعددية اللسانية في حياة الأفراد ،والدول ،وتدفع بعلمائها ومنظّريها من رجال السياسة، والتربية ،والبيداغوجية ،واللغة ،والاجتماع ،وعلم النفس ،إلى التبشير بفوائد التعدد ومزاياه ،ومضار الأُحادية اللسانية وسلبياتها . [12]

ويبرز بعدها بعض مساوئ التعدد اللساني بالتأكيد على أنّ الزيادة المعرفية المكتسبة عن طريق التعدد اللساني ،ولاسيما عند الإفراط فيه ،غالبا ماتكون على حساب الكيف ،ويكون الامتداد الأفقي والعددي على حساب العمق ،وليس خافيا أن من المشاكل التي يعانيها التعليم المتعدد اللغات في عصرنا هذا مانشاهده من تدني مستوى التحصيل المعرفي لدى المتعلمين ،لأنه غالبا ما يُعنى بتوسيع الكمّ ويكون أفقيا أكثر منه عموديا أي على حساب توسيع المدارك العلمية والمعرفية والتعمق في لغة من اللغات .

وأنّ الغالب في الشخص الذي يستعمل عددا من الألسنة أنه قد لا يتقن أيًّ واحد منها إتقانا جيّدا متعمّقا ،أو على الأقل لاتكون معرفته باللغات التي يستعملها متساوية القيمة وهذا ما يجعلنا في التعليم المعاصر القائم على الثنائية والتعددية أمام وضع يتخرّج فيه التلميذ من المؤسسة التعليمية الثانوية ،أو الجامعية وهو لا يتقن لغته الوطنية ،ولا أية لغة أخرى إتقانا جيدا .وفي هذه الحالة يحدث مايطلق عليه كثير من الباحثين في تعليم اللغات اسم (انعدام الأمن اللغوي)الذي أسال حبر كثير من الباحثين في السنوات الأخيرة . [13]

ثم يقدّم عبد العليّ الودغيري جملة من الملاحظات على التعدّد اللّساني أوجزها فيما يأتي :

1-التعدد لايكون ناجحا إلاّ إذا كان متحكما فيه عن طريق قيود وشروط منها :

أن يتم تدبيره على الوجه الأحسن، والأكمل ،والأفضل ،والأليق ،وأن لا يكون عل حساب اللغة الوطنية والرسمية والمشتركة للدولة ،أو يؤدي إلى إضعافها ،أو تهميشها ،وإنما يجب أن يتمّ أن يتم تحت سيادتها وإشرافها ومن غير مزاحمتها أو التضييق عليها .

وأن لا يكون فيه تهديد للأمن والاستقرار المجتمعيّين ،ولا يؤدي إلى تفتيت كيان المجتمع ،ولا يضرّ بوحدته ،وأن لا يؤدي إلى تشظي الهُوية الجماعية ،وبسط هيمنة ثقافية ولغوية أجنبية تفضي إلى إحداث شروخ داخل المجتمع ،وأن لا يؤدي إلأى تلوث أو هجنة لغوية تفقد الناس القدرة على التعبير بلغة صحيحة صافية منسجمة....

2-أنّ هناك علاقة لاحظها العلماء الباحثون والختصون بين التعدد اللغوي والتخلف الاقتصادي والتنموي ،فقد تنبهوا لوجود ظاهرة لافتة وهي أن الدول الأقل ّ تعددا لغويا هي عادة ما تكون الأكثر تقدّما ،وتنمية ،وتحديثا ،وثراء،وقوة ،والعكس بالعكس .

3-أنّ العالم رغم تقليعه التعددية التي راتفعت موجتها في العقود الأخيرة ،ومتّجه -لامحالة - لأسباب كثيرة نحو التقليص من عدد اللغات ،والدليل هو النسبة المرتفعة لعدد اللغات الصغيرة التي تنقرض وتختفي كلّ يوم مما أثار الرّعب في نفوس الكثيرين ،فاتّجهوا للدعوة إلى المحافظة على لغات الأقليات ،واللغات الإقليمية ،والمحلية باعتبارها تراثا إنسانيا .

4- أنّ هناك ازدواجية في الخطاب تمارسها بعض الدول الكبرى التي نراها متحمسة للتعدد اللغوي حين تتحدّث للآخرين فتراها حريصة على توجيههم وإسداء النصح لهم بل وممارسة ضغوطها عليهم ،حتى يسلكوا طريق التعددّ اللساني ،قصد المحافظة على مصالحها وتثبيتا لمكانة لغتها وثقافتها .

5-أنّ التعدّد اللّغوي لا يعني بأية حال المساواة المطلقة بين اللغات المستعملة في مجتمع متعدّد .

6-أنّه بجانب كلّ المزايا التي يمكن التفكير فيها للتعددية اللسانية ،هناك بعض المحاذير والمزالق بل الأخطار التي ينبغي التنبّه لها ،ووضعها في الحسبان حتى تكون رؤية الموضوع عامة ،وشاملة ومتبصّرة بكل جوانبه وزواياه . [14]

التداخل اللّغوي :

يذكر الأستاذ صالح بلعيد أنّ اللّغة قد تُغزى من لغة اخرى ،حيث يكون الغزاة أكثر عددا من أهل اللغة المغزوّة ،وهذا كلّه في إطار التفاعل بين المجتمعات والتصارع ومثله يحدث في اللغات .وأنّ هذا التداخل الذي يحدث عند متكلّم ما يكون على مستويات عدّة حيث يأخذ المستوى الصّرفي والدّلالي الحيّز الأكبر نتيجة بعض المواقف التي تستدعي ذلك ،وأنّ لغة المنشأ تأخذ النصيب الأوفر في فرض أنماطها ،ودلالاتها على اللغة المغزوّة أو الثانية ،بل تكون عاداتها طاغية في أكثر من موقف ،ويظهر هذا في لغة المترجم الذي يستعمل لغتين ،فإننا نراه ينحاز إلى لغة نتيجة صمود العادات اللغوية في اللغة الأولى ،وهي لغة المنشأ التي أُخذت في المدرسة. واستدلّ بقول أبي عمرو بن بحر الجاحظ :أنّه متى وجدناه تكلّم بلسانيين علمنا أنّه قد أدخل الضّيم عليهما ،لأنّ كلّ واحدة من اللغتين تجذب الأخرى، وتأخذ منها ،وتعترض عليها ،وكيف يكون تمكّن اللسان منهما مجتمعين فيه ،كتمكّنه إذا انفرد بالواحدة ،وإنّما له قوّة واحدة ،فإن تكلّم بلغة واحدة استُفرغت تلك القوة عليها [15]

ويخلص الدكتور صالح بلعيد إلى القول بأنّ مصطلح التداخل في عمومه يشير إلى الاحتكاك الذي يحدثه المستخدم للغتين أو أكثر في موقف من المواقف ،وقد تكون للبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الطفل فعالية أكثر في تولّد توجّه سلبي ،أو إيجابي تجاه لغة ما أكثر من الأخرى ،وهذا يظهر أثر اللغة الأجنبية في اللغة القومية . [16]

ويحدث التداخل اللغوي على كثير من المستويات :الفونولوجي ،والصرفي ،والمفرداتي ،والتركيبي ،والدلالي ،الحركي والثقافي حسب رأي محمد الخولي [17]

ويحدث التداخل على كثير من المستويات وذلك راجع للأسباب الآتية :

-طبيعة المهمة اللّغوية .

-ضغط الاستعمال المبكّر .

-ضعف الرقيب.

-إتقان اللغة 1،واللغة 2

-مكانة اللغة .

-محدودية التعرض .

-الموقف من اللغة 2. [18]

والتداخل هو تدخل في اتجاه واحد ،كأن تتدخل اللغة الأولى في اللغة الثانية ،فقط ،أو تتدخل اللغة الثانية في اللغة الأولى (اتجاه واحد)،وليس ثنائي المسار ،وهذا يحصل في المناطق التي تشتهر عادة بالثنائية اللغوية ،لا بالازدواجية لأن هذه الأخيرة تستدعي التحكّم في لغتين على الوتيرة نفسها ،ويكون هنا التداخل من المنشأ فقط ،أو من اللغة الثانية تجاه لغة المنشأ.

الاقتراض والتدخل:

فالاقتراض هو توظيف كلمة أو كلمات أو عبارات من لغة ما لأي لغة أخرى ،مثلما نقترض الآن المصطلحات العصرية ،أما الفرق بينه وبين التدخل فتتمثل في الآتي :

1-التدخّل لاشعوري، والاقتراض شعوري .

2-التدخّل فردي ،والاقتراض فردي وجماعي .

3-التدخّل يتمّ في جميع المستويات اللغوية ،والاقتراض لا يتمّ إلاّ في مستوى المفردات فقط.

4-التدخّل يحدث في حالة معرفة الفرد للغتين ،والاقتراض قد يحدث والفرد لا يعرف إلاّ لغة واحدة ،فكثير من الناس يستخدم مفردات مقترضة من خارج لغته دون أن يعرف سوى لغة واحدة .

5-التدخّل عملية لغوية نفسية ،أمّا الاقتراض فهو عملية لغوية اجتماعية . [19]

التدخّل والتّحوّل :

حين يتحدّث فرد ثنائي اللغة قد يتحوّل أثناء إنتاج الكلام من اللغة 1،إلى اللغة 2، أو العكس .وهو عملية واعية لها أهدافها النفسية ،والاجتماعية ،والاتّصالية ،وغالبا مايكون المستعمل للتحوّل بارعا لغويا .وهذه البراعة ليست مقصورة على ثنائي اللغة ،بل نجدها تظهر في التحوّل الذي يحدثه المستعمل للهجة ،ثم يتحول إلى لهجة أخرى ،أو عندما يتحوّل المتحدّث بالعربية الفصحى إلى الدّارجة . [20]

ومن أسبابه :

-البحث عن الدقة ،أو التأثير في المتلقي .

-الإفهام أو الحاجة .

الاقتباس .

انفعال معيّن .

الاتّصال الجيّد.

-إرسال إشارة خاصّة ،أو استعمال السرية .

-الاقتراب من المستقبل أو تحديد المخاطب.

-الرّسمية .

-الإبعاد (وضع الحواجز) أو الإقصاء ،أو توسيع المسافة الاجتماعية .

-مناسبة الموضوع (الحديث حسب المقام والحاجة .)

التدخّل والتحوّل عمليتان متّفقتان في بعض الأوجه ،بل إنّ التحوّل نتيجة للتدخّل لكنّهما يختلفان في كثير النقاط منها :

التدخّل	التحوّل
-لاهدف له لأنّه لاشعوري .	-له هدف لأنه شعوري.
-غير مرغوب فيه.	-مرغوب فيه.
-يحدث على جميع المستويات .	-يكون على مستوى المفردات .
(الصوتية ،النحوية ،المفرداتية ،الدلالية)	(وعلى مستوى الجمل الطويلة .)
-المتلقي ليس شرطا أن يكون ثنائي اللغة .	-المتلقي يكون ثنائي اللغة.
-دقيق صعب اكتشافه.	-ظاهر لأنه مقصود .
-لايستدعي أن يعرف المستمع لغتين .	-يستدعي وجود متكلم يعرف ل1،ول2
بل المتكلم فقط.	ومستمع يعرف ل1،ول2 أيضا.
-يحدث في الكتابة	-يستدعي وجود متكلم ومستمع. [21]

التدخّل والانتقال :
الانتقال أوسع من التدخّل ،حيث يختص باللغات في حين أنّ الانتقال يختص بجميع أنقاع التعلّم ،ومثال ذلك معلّم تلقّى منهجية في تعليم اللغة العربية فإنه اكتسب عادات سينقاها أثناء تعليمه للغة أخرى يتقنها إلى المتعلمين وهذا مايسهل له التعليم الجيد .
ويحصل النقل عادة مع التصرف في المعنى أو المبنى وينقسم إلى :
أ-نقل بتحويل :والذي هو عملية التعبير الإبداعي ،و الضروري عن معنى بهدف إعادة التوازن البلاغي الذي يختلّ بفعل الترجمة ،وذلك عند الانتقال من لغة إلى أخرى.
ب-نقل بتعريب أو بأخذ :وهو نقل المعارف إلى اللغة العربية في حقل من حقول العلم وتطويعها له ،استنادا إلى مؤلّفات أجنبية في الموضوع دون التقيّد بنصّ معيّن. [2 2]

التّداخل اللّغوي وأثره في شخصية الطّالب في الجامعة الجزائرية :
إنّ التداخل الّلغوي في اعتقادي يؤثر تأثيرا بالغا في العملية التعليمية وكذا في تكوين شخصية الطالب الجامعي الجزائري ،وتحصيله العلمي .
ومن أهم محاسن تعليم اللغات الأجنبية ما يأتي :
-تعليم اللغات الأجنبية وتعلّمها فعل حضاري يكتسي كبيرة في عصر الانفجار المعرفي والانترنت .
-تعليم اللغات الأجنبية يُمكّن الأبناء من الاطّلاع على العلوم والمعارف التي تزخر بها دول العالم المحيطة بنا ،ولاسيما المتقدّمة منها.
-لتعليم اللغات الأجنبية فوائد اقتصادية ،إذ في ظلّ الاقتصاد العالمي ليس من سبيل أمام المدرسة والجامعة إلاّ الاستجابة لضرورة تعليم هذه اللغات بهدف نقل تجارب الدول في الميدان الاقتصادي، وفتح الأبواب للاستثمار ممّا يُسهم فيتقدّم المجتمع ،ورفاهيته .
-تعليم اللغات الأجنبية أداة للانفتاح على العالم الخارجي ،ووسيلة لتعزيز التواصل بين الأمم ،ولتبادل العلم والمعرفة ووسيلة أيضا لإزالة حواجز الزمان والمكان بين مختلف الشعوب والثقافات .
-تعلّم اللغات هو السبيل الأمثل لتوسيع مدارك الفرد وإثراء تجاربه ،حيث لا ينبغي أن تنحصر معارفه باللغة العربية فقط.

-تعليم اللغات الأجنبية لا يعني أنّها تحلّ محلّ لغتنا العربية ،أو أن نتخلى عنها ،بل إنّ تعليم هذه اللغات اليوم هو مطلب تربوي عولمي لكلّ متعلّم ،أو طالب ،أو باحث .

-من متطلّبات مستقبل التعليم في عصر العولمة هي الاهتمام باللغات بدءا باللغة القومية (اللغة الأمّ) ثم اللغات الأجنبية (لغة الأمة)خاصة منها اللغة الإنجليزية ،ثم تليها اللغات الأخرى كونها المسيطرة على التحرّك العلمي والتكنولوجي.

-من الخطأ أن نهون من شأن هذه اللغات ،أو أن ندعو إلى مقاطعتها ،أو ازدرائها إخلاصا للغة العربية لأنها لغة ديننا الحنيف بل علينا أن ننظر إلى اللغات الأجنبية بوصفها أداة أساسية نسعى من تعليمها إلى تحقيق ما هو أنفع للفرد خاصة ،والمجتمع عامّة ،وأن نخطّط لتعليمها من باب أنّ لذلك أثرا في خدمة لغتنا ،إذ كلما تعلّم أبناؤنا لغة أجنبية كلما فُسح المجال للترجمة ،ونقل المعارف إلى العربية وإثرائها . [23]

وحقيقة الأمر أنّ الازدواجية اللغوية لم تكن عاملا من عوامل الضعف اللغوي، وقد يكون لها بعض التأثير في ما يحدث على مستوى عدم الاستعمال السليقي ،لكن إتقان اللغة يؤدي إلى الاستعمال المعياري ،والذي يعمل على الترقية اللغوية ،و مسألة الازدواجية لاتعالج إلاّ بخطة تربوية ،حيث تنزل اللغة العربية منزلتها من مقام اللغات الأخرى ،ومقام اللغات الأجنبية ،وهذا يستدعي من التربويين والباحثين تقديم دراسات تربوية حول مقام العربية كلغة رسمية ،ومقام اللغات الأجنبية ،وحقّ كلّ لغة في الاستعمال ،وفي المحيط ،وفي الإعلام ،وهذا مايسمى بالتخطيط التربوي ،حيث تنزّل كلّ لغة المنزلة الموضوعة لها ،ويأتي القرار السياسي يضع في الاعتبار ذلك التخطيط وهذا ما يسمى بتخطيط السياسة اللغوية .ومشكلة الازدواجية لم تحصل إلاّ في محيطنا العربي [24]

وقد أظهرت الدراسات الميدانية أنّ هناك عدة عوامل تعمل على التأثير في عملية تعلّم اللغة الأولى والثانية ومنها :-القلق .-الأمان .-التفاعل الاجتماعي والتواصل .-النقل والتداخل .-العوامل الفردية الخاصة [25]

أما فيما يتعلّق بأثر الازدواجية والثنائية اللغوية في الضعف اللغوي وشخصية الطلبة الجامعيين الجزائريين فإن الباحث الدكتور صالح بلعيد يقسم الوضع اللغوي في الجزائر كما يأتي :

1-اللغات ذات الانتشار الواسع :العاميات أو الدارجات العربية .

2-اللغات الكلاسيكية :العربية الفصيحة واللغة الفرنسية .

3-اللغات المحلية :الأمازيغية بمختلف تأدياتها ،ولهجاتها. [26]

ويرى صالح بلعيد أن اللغة العربية كانت لغة التدريس بالنسبة للمستويات الثلاث :الابتدائي والمتوسط ،والثانوي ،بينما يقتصر تدريسها في الجامعات على طلبة الشعب الأدبية ويمثل القطب الجامعي بمنطقة تيزي وزو قطبا يجمع الطلبة في مختلف التخصصات ،ثم إنهم يختلفون في اللهجات ،فمنهم الناطق باللغة العامية ،وأكثرهم ناطقين باللغة الأمازيغية بحكم القرب الجغرافي لهذا القطب ،وفيما يتعلق باللغة المستعملة لتدريس هذه التخصصات العلمية والتقنية منها ،سنجد أنها تدرّس باللغة الفرنسية غير قسم اللغة العربية وآدابها الذي يدرّس فيه اللغة العربية وعلومها ،إلاّ أنّ الإشكال المطروح في نظره هو هل حقّا طلبة اللغة العربية التي يمارسها أساتذة قسم اللغة العربية تمثل عربية فصيحة خالية من شوائب العامية ،والألفاظ المفرنسة ؟ وهل حقّا طلبة القسم الذين يقضون مدّة أربع سنوات في تحصيلها ،ثم الحصول على شهادات في آخر السنة يتخرّجون وهم مسلحون بملكة لغوية تعبّر عن أفكارهم ،ومعارفهم بكلّ طلاقة ودون إحداث أخطاء إعرابية ؟ ولاحظ من خلال دراسته في هذا القسم وانطلاقا من الملاحظات ،والاحتكاك اللغوي مع الطلبة ،والأساتذة تخرّج دفعات من الطلبة دون ملاحظة ارتقاء لغوي يهم ،إذ أنّ طالب هذه الشعبة يتخرّج من الجامعة ولا يستطيع كتابة جملة سليمة المعنى والمبنى ،أو حتى أن يعبّر عنها دون إحداث أخطاء شفوية ماعدا قلة من الطلبة النجباء المتفوقين و المتميّزين عن غيرهم بقدراتهم اللغوية ،وهذا ما لاحظه على طلبة السنة الرابعة للسنة الجامعية 2007-2008م،بقسم اللغة العربية بجامعة تيزي وزو ،حيث لا تنفك الثنائية اللغوية تبارح أفواههم أثناء المشافهة اللغوية مع الأساتذة ،ثم يعرض مثالا منتشرا بين أفواه الطلبة وهو جزء من الأمثلة الكثيرة .

ثم يخلص بالقول إلى أنّ ظاهرتي الازدواجية ،والثنائية اللّغوية لهما الأثر في تدني مستوى الطلبة في اللغة العربية وضعفهم في التحصيل ،والاستيعاب وفي القراءة ،والكتابة ،والمشافهة وفي الوقت الذي يسعى فيه الباحثون إلى إيراد المشاكل التي تعاني منها العربية ،وإلى محاولة ترقيتها وإيجاد الحلول لها ،والدعوة إلى تعميمها في قطاع التعليم العالي نقف أمام أصحاب السلطة والقرار ،وهذا مايجعله يطرح السؤال الآتي : من المسؤول على طغيان استعمال العامية والفرنسية على حساب العربية الفصيحة عند طلبة قسم اللغة العربية ؟ويرى أنّ الأسرة هي النموذج الأول الذي استقى منه هؤلاء لمثل هذه اللغات ،ثم يليه المجتمع بكلّ ما يحويه ،وغيرها من العوامل التي تساهم في تدني المستوى اللغوي عند الطلبة .[27]

إنّ إتقان لغة أجنبية أمر واجب ،ولابدّ منه لمتابعة التقدّم العلمي ولكن شتان مابين إتقان اللغة الأجنبية وبين استخدامها بديلا عن اللغة الأمّ ، و في إتقان اللغة الأجنبية دعما للثقافة ورفدا لها في كلّ ميدان من ميادين العلم ،وأمّا استخدمها بديلا عنها فهذا عزل ،ووأد للغة الأمّ .

ويقول مازن المبارك : "إنّنا نعتقد أنّ الواجب القومي اليوم يفرض علينا أن نعمل على تخريج الباحث العربي ،والعالم العربي ،وأن نعمل على أن يكون المتخرّج مالكا لقابلية التعلّم ووسيلة البحث وأسلوب التفكير .إنّ تعليمنا يجب أن يهدف إلى تخريج الشاب العربي الأصيل المدرك لذلك ،الواعي لواقع أمّته ،المؤهّل بقابلية التطور المتّزن ،وتعليمنا يجب أن يهدف إلى القضاء على التخلّف المادي مع المحافظة على روح الأمة ،وشخصيتها ،وأصالتها ،وتنمية الافتخار بالانتماء إليها ،والاعتزاز بتراثها... [28]

الخاتمة :

وفي نهاية المطاف أعتقد أنّ التّداخل اللّغوي فعل حضاري أملته التحوّلات التكنولوجية ،والتطوّرات العصرية التي جعلت العالم قرية صغيرة يتأّثر بكلّ اللّغات ،وعليه فإنّه يتطلّب منّا دعم طرق تدريس اللّغة العربية ،وضرورة مواكبتها لثقافة العصر ومتطلباته ،مع الاهتمام بصورة خاصة بتطوير أساليب تدريس العربية في مناطق التداخل اللغوي في العالم العربي ،وذلك مايكسب اللغة صورة واضحة ،دقيقة تؤهّلها لأن تقف صامدة أمام تلك التحديات ،والتأثيرات الأجنبية،ولايعني هذا أنها تقف صامدة أمام التأثير الوافد ،بل تقف في وجه العادات اللغوية الجديدة التي تغيّر مسارها .

وعلى الطّالب الجامعي في الجزائر أن يحرص على إتقان الّلغات الأجنبية ويواكب التقدّم العلمي ،ووتكنولوجيات العصر الحديثة ،حتى يزداد تمكّنا ،وحصانة ،وخبرة بما يجري من حوله ،لكن ليس على حساب شخصيته المسلمة الجزائريّة ،وتكوينه الأصيل ،ومبادئه السّامية ،وثقافته الصّافية ،ولغته الجميلة الرّاقية .

هوامش البحث:

---

[1]-ينظر لسان العرب لابن منظور .دار الحديث القاهرة ،1423ه ،2003م ،3/ 316.

[2]-ينظرالمعجم الوسيط ،القاهرة ،دار الدعوة ،ماي 1972 ،الجزء الأول ص 318.

[3]-علم الاجتماع اللغوي ،لويس جان كالفي ،ترجمة:محمد يحياتين ،دار القصبة ،حيدرة الجزائر ،ص27.

-ينظر المعجم الموحّد لمصطلحات اللسانيات (انجليزي ،فرنسي ،عربي)مطبعة النجاح الجديدة الدار [4]البيضاء ،المغرب ،ص 74.

[5]-ينظر الجزائريون والمسألة اللغوية ،د/ خولة طالب الإبراهيمي ، ص112.

[6]- ينظر علم الاجتماع اللغوي للويس جان كالفي ،ترجمة :محمد يحياتين ،ص32.

[7]-ينظر التعدد اللغوي انعكاساته على النسيج الاجتماعي ،محمد الأوراغي ،منشورات كلية الآداب بالرباط ،2002،ص9

[8]-المصدر السابق ص10.

[9]-المصدر السابق ص11.

[10]-المصدر السابق ص11.

[11]-ينظر لغة الأمة ولغة الأمّ عن واقع اللغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية ،عبد العلي الودغيري ،ص66

[12]-يراجع المصدر السابق ص69.

[13]-ينظر المصدر السابق ص73.

[14]-ينظر المصدر السابق ص73 وما بعدها .

[15]-كتاب الحيوان ،لأبي عمرو بن بحر الجاحظ ،طبعة القاهرة ،2/ 443.

[16]-ينظر دروس في اللسانيات التطبيقية ،د/ صالح بلعيد ،دار هومة ،بوزريعة الجزائر ،ص124 وما بعدها .

[17]-ينظرالحياة مع لغتين (الثنائية اللغوية) لمحمد الخولي ،ط1،السعودية ،جامعة الملك سعود ،1988م،ص103.

[18]-ينظر دروس في اللسانيات التطبيقية ،صالح بلعيد ،ص127.

[19]-الحياة مع لغتين (الثنائية اللغوية)محمد علي الخولي ،ط1،السعودية ،جامعة الملك سعود ،1988م،ص96،

[20]-ينظر دروس في اللسانيات التطبيقية ،د/ صالح بلعيد ،ص129.

[21]- ينظرالمصدر السابق ص129و130.

[22]- ينظرالمصدر السابق ص 130.

[23]-ينظر أهمية التخطيط اللغوي –اللغات ووظائفها –المجلس الأعلى للغة العربية ،منشورات المجلس 2012 ص92.

[24]-ينظر في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى ...د/ صالح بلعيد،دار هومة ،الجزائر 2008م،ص151.

[25]-ينظر علم اللغة النفسي ،د/ صالح بلعيد ص154.

[26]-ينظر ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية -جامعة تيزي وزو نموذجا- دار هومه ،بوزريعة ،ص49.

[27]-ينظر المصدر السابق ص49ومابعدها .

[28]-اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي ،الدكتور مازن المبارك ،دار النفائس ،مؤسسة الرسالة ص20.

علاقة التضمن عند الراغب الأصفهاني
من خلال كتاب المفردات في غريب القرآن

أ. حسين قاضي
جامعة الجيلالي بونعامة
بخميس مليانة- الجزائر

ملخص البحث:

الرموز اللغوية تختلف في دلالتها ضيقا واتساعا، يتسع اللفظ ليشمل ألفاظا أو معان أخرى، ويضيق أحيانا فيصير مشتَمَلا عليه.

وينقل أحيانا للدلالة على غير ما كان يدل عليه فيستغرق مساحة دلالية غير مساحته الأولى.، **والتضمن أو الاشتمال hyponym**: من العلاقات الدلالية الأساسية، ويشير إلى تلك الوحدات المعجمية التي تنضوي تحتها دلالة وحدات معجمية أخرى و"هو يختلف عن الترادف في أنه تضمن من طرف واحد، والمقال يناقش هذه القضية في كتاب المفردات للراغب الأصفهاني.

Abstract

Linguistic symbols differ in size Remember narrow and widen, It expands to include other word verbally, and sometimes narrows Faiser having it.

Sometimes transferred to signify what he is suggesting it takes space tag is the first area.,

The hyponym: is the inclusion or inclusion of basic Remember relations, and refers to those lexical units that fall beneath denote units and other lexical and "is different from that Linguistic synonymy to ensure unilaterally

تمهيد:

تختلف الرموز اللغوية في مساحاتها الدلالية ضيقا واتساعا، فقد يتسع اللفظ ليشمل ألفاظا أخرى، وقد يضيق فيصير مشتَمَلا عليه، وقد ينقل أحيانا للدلالة على غير ما كان يدل عليه فيستغرق مساحة دلالية غير مساحته الأولى، وتلك هي حركية دلالات الألفاظ ضيقا واتساعا، وهجرة أو نقلا، وسيطرة على مساحات دلالية تزيد أو تنقص اعتبارا بقوة تلك الرموز أو ضعفها. وتربط هذه الرموزَ اللغوية المنتميةَ إلى المجال نفسه علاقاتٌ مختلفة، تكشف عن المساحة الدلالية التي يشغلها كل لفظ، ومن ذلك

التضمن أو ما يسمى بالاشتمال ، والذي سنحاول التعرف على قيمته في ميدان البحث الدلالي خاصة من الناحية الإجرائية، ومن ثم الكشف عن مدى اعتماد الراغب الأصفهاني (ت502ه)[1] عليه في تحقيق مفردات ألفاظ القرآن الكريم والكشف عن معانيها.

التضمن أو الاشتمال hyponym: يعتبر التضمن أو الاشتمال من العلاقات الدلالية الأساسية، ويشير إلى تلك الوحدات المعجمية التي تنضوي تحتها دلالة وحدات معجمية أخرى و"هو يختلف عن الترادف في أنه تضمن من طرف واحد. يكون (أ) مشتملا على (ب) حين يكون (ب) أعلى في التقسيم التصنيفي أو التفريعي."[2] وهو استلزام من جهة واحدة فقولنا: (هذه ريحانة) يستلزم بالضرورة أنها (وردة) ويتضمنها، غير أن قولنا: (هذه وردة) لا يستلزم بالضرورة أنها ريحانة ولا يتضمنها، بل قد تكون زنبقة أو ياسمينة أو غيرها من الورود.

فالتضمن أو التضمين-إذا- يعتبر علاقة موضعية أساسية في نظر علم اللغة الحديث، وهو كثيرا ما يذكّر بمفهوم الاحتواء inclusion لاشتمال بعض الألفاظ على بعض. فلفظة ريحانة التي مثلنا بها تحتويها لفظة وردة وتشتمل عليها لكون الثانية أوسع مساحة دلالية من الأولى، ولكون الأولى جزءا من الثانية، وهو ما جعلها أضيق مساحة دلالية من الأخرى. وتسمى اللفظة العليا الواسعة المساحة الدلالية ضامنةً، فيما تسمى اللفظة السفلى الضيقة المساحة الدلالية تضمينةً. وتتنوع علاقة التضمين هذه من لغة إلى أخرى، كما أنه لا توجد أحيانا لفظة ضامنة، فلا وجود مثلا للفظة ضامنة لجميع كلمات الألوان.[3]

وتحت التضمن يدخل ما يسمى **بالجزيئات المتداخلة** مثل يوم، أسبوع، شهر، سنة...[4] ومثله حي، بلدية، دائرة، ولاية... حيث يكون في كل واحدة من هذه الكلمات درجة ما من العموم مقارنة بالتي تليها، ولذلك يطلق بعضهم على التضمين اسم درجة العموم، حيث " يمكن أن نجد مثلا تحت أية كلمة منها مجموعة أكثر تخصصا، ولذا ليس الأمر خاصا بدرجة من العموم وأخرى من الخصوص، بل يمكن ترتيب الكلمات الخاصة بذلك في شكل هرمي." [5]

وإن أهم ما يلفت الانتباه اعتمادُ الراغب في مفرداته أثناء تحقيقِه ألفاظ القرآن الكريم وتفريقِه الدلالي بين كثير من المفردات المتقاربة الدلالة على التضمن أو الاحتواء باعتباره معيارا من معايير التفرقة بين الألفاظ المتقاربة الدلالة، وذلك من أجل تحقيقها وتحرير معانيها، ومن ذلك تفريقه بين ثلاثة ألفاظ تقاربت بناءً ودلالةً وهي:

1- الفَرْق والفلق والفَطْر، حيث قال الراغب:

"**الفَرْقُ** يقارب **الفلق** لكن الفلق يقال اعتبارا بالانشقاق، والفرق يقال اعتبارا بالانفصال قال تعالى:{ وَإِذْ فَرَقْنا بِكُمُ الْبَحْرَ} [البقرة/ 50]، والفِرْقُ: القطعة المنفصلة، ومنه: الفِرْقَةُ للجماعة المتفرّدة من النّاس، وقيل: فَرَقُ الصّبح، وفلق الصّبح. قال:{فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ}

[الشعراء/ 63]... وفَرَقْتُ بين الشّيئين: فصلت بينهما سواء كان ذلك بفصل يدركه البصر، أو بفصل تدركه البصيرة. قال تعالى:{فَافْرُقْ بَيْنَنا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ} [المائدة/ 25]."[6]

وقال في مادة **فلق**:" الفَلْقُ: شقّ الشيء وإبانة بعضه عن بعض. يقال: فَلَقْتُهُ فَانْفَلَقَ. قال تعالى:{ فالِقُ الْإِصْباحِ} [الأنعام/ 96]... {فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ} [الشعراء/ 63]، وقيل للمطمئنّ من الأرض بين ربوتين: فَلَقٌ... والْفَلِيقُ والْفَالِقُ: ما بين الجبلين وما بين السّنامين من ظهر البعير."[7]

وقال في مادة **فطر**:" أصل الفَطْرِ: الشّقُّ طولا."[8]

فهذه الأحداث المتفقة ألفاظُها في كثير من الحروف يجمعها معنى عام هو مفارقة شيء لشيء وانفصاله عنه، غير أن ذلك الافتراق يتم بأشكال متمايزة عن بعضها البعض وبدرجات متفاوتة، ومن ثم كان لزاما أن تكون لكل منها مساحة دلالية مختلفة ضيقا واتساعا، كما كان ممكنا أن تكون بعض المساحات الدلالية متضمنة للبعض الآخر ومشتملة عليها، ولا يعرف ذلك في الواقع إلا بمعرفة الفرق بين هذه الألفاظ من خلال السياقات التي ترد فيها، وهي المهمة التي رآها الراغب ملقاة على عاتقه ككل المشتغلين بالفروق الدلالية الذين صرفوا اهتمامهم " إلى التحليل وشرح المعاني وبسط المساحة الدلالية التي يحددها الرمز الخاص بها، وما هي الحدود الفاصلة بينها وبين جارتها."[9] ولذلك تتحدد دلالة لفظ (الفرق) حين يبين الشيء من الشيء بينونة تامة لأنه كما حده الراغب (يقال اعتبارا بالانفصال) بين الشيئين. و(الفلق) أقل انفصالا واستقلالية منه(الفرق) لأنه يدل على بينونة من جانب دون جانب لكونه انشقاقا، فهو انفصال جزئي. أما (الفطر) فأخص من الفلق لأنه يمثل نوعا منه فقط بسبب كونه (الشّقّ طولا) كما قال الراغب، ومنه فطر البئر أي شقها، ومعلوم كيف تُشق البئر. وقد ذهب ابن منظور إلى أن (الفطرَ) الشقُّ مطلقا فقال:" فطَرَ الشيءَ يَفْطُرُه فَطْراً فانْفَطَر وفطَّرَه شقه وتَفَطَّرَ الشيءُ تشقق والفَطْر الشق وأَنشد ثعلب:

شَقَقْتِ القلبَ ثم ذَرَرْتِ فيه   هواكِ فَلِيمَ فالتَأَمَ الفُطُورُ.[10]

وأَصل الفَطْر الشق ومنه قوله تعالى:{ إذا السماء انْفَطَرَتْ}[الانفطار/ 1] أَي انشقت وفي الحديث (قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى تَفَطَّرَتْ قدماه.)[11] أَي انشقتا... وسيف فُطَار فيه صدوع وشقوق قال عنترة:

وسيفي كالعَقِيقَةِ وهو كِمْعِي   سلاحي لا أَفَلَّ ولا فُطارا."[12]

وإلى مثل ذلك ذهب الأزهري قائلا:" أصلُ الفَطْر الشقّ، ومنه قول الله جلّ وعزّ: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} [الانفطار/ 1]، أي: انشقت. وتفطّرت قدماه، أي: انشقتَا، ومنه أُخِذ فِطْرُ الصائم لأنه يفتح فاه."[13] لتدل بذلك آيةُ{ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} [الانفطار/ 1] على ما تدل عليه آيةُ { إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} [الانشقاق/ 1] فيفسَّر القرآن بالقرآن. ومع ذلك يبقى بين الفعلين (فطر) و(فلق) الدالِّ على

الانشقاق فرق لا يظهر إلا لمن نظر في ألفاظ القرآن الكريم محققا ومدققا، وإلا فيم يكمن سرّ توظيف الفَطر في آية الانفطار والشق في آية الانشقاق؟ وهل يمكن الإبدال بينهما في السياقات المختلفة إن كان اللفظان مترادفين؟ وذلك ما دعا الراغب من أجل تفسير القرآن وإيفائه البيان إلى القول بأن بينهما فرقا كامنا في اختلاف زاوية النظر إلى ذلك الشق لكونه حدثًا عاما يدل على مطلق الانفصال أو المباينة، ويتخصص باختلاف الرؤية، فإذا كان المشقوق مشقوقا بالطول سمي مفطورا كالبئر الفطورة أو المشقوقة طولا، ليعتمد الراغب في ذلك على ملمح الطول في تمييزه بينهما. فيما يذكر الفخر الرازي في رواية عن ابن مسعود في تفسير قوله تعالى:{ تَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ} [الانشقاق/ 19] أن " هذه الآية في السماء وتغيرها من حال إلى حال، والمعنى لتركبن السماء يوم القيامة حالة بعد حالة، وذلك لأنها أولا تنشق كما قال:{ إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ} [الانشقاق/ 1] ثم تنفطر كما قال:{ إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ} [الانفطار/ 1] ثم تصير:{ وَرْدَةً كَالدِّهانِ} [الرحمن/ 37] وتارة: {كَالْمُهْلِ} [المعارج/ 8] على ما ذكر اللّه تعالى هذه الأشياء في آيات من القرآن."[14]

ففعل الانفطار حسب الرازي وما نقله عن ابن مسعود غير الانشقاق، لأنه تالٍ له والآخر متقدم عليه، ومن ثم كانا مختلفين رتبة وصفة، كونهما مما يصيب السماء يوم القيامة من مشاهد انقلاب يحدث في الكون، وتغيرات رهيبة غير مألوفة فيها انشقاق، وانفطار، وكشط، وطي، وغير ذلك من أشراط الساعة.

أما ابن عباس رضي الله عنهما فقال في تفسير أصل الفطر معتمدا على السماع وكفى به دليلا:" كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها يقول أنا ابتدأتها."[15] ليعطي بذلك للفطر ملمحا دلاليا آخر غير ما ذكر الراغب والرازي وهو الإبداع على غير مثال سابق.

وقريب من هذا ما ذكره صاحب المقاييس في تحقيق هذه المواد المتقاربة شكلا ومعنى، حيث بيّن معنى كل لفظ منها في مواضع متفرقة من مقاييسه، مع إقراره بوجود معنى عام يجمعها جميعا هو عين ما ذكره الراغب، فقال:

فرق: الفاء والراء والقاف أُصَيلٌ صحيحٌ يدلُّ على تمييز وتزييلٍ بين شيئين.[16]

فلق: الفاء واللام والقاف أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على فُرْجةٍ وبَيْنُونةٍ في الشيء.[17]

فطر: الفاء والطاء والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على فَتْح شيء وإبرازه.[18]

ومن ثم يمكن التمييز بين هذه الألفاظ من خلال مكوناتها الدلالية التي تشترك فيها الألفاظ الثلاثة، ومن خلال مكوناتها التمييزية التي ينفرد بها كل لفظ، وذلك حسب ما اعتمد عليه الراغب خصوصا لتبدو كما يلي:

الفَرْقُ = حدث + المباينة + **التامة**

الفلق = حدث+ المباينة + **الجزئية**

الفَطْر = حدث + المباينة + الجزئية + **الطول أو العمق**

ولذلك نقول – حسب نظرة الراغب، وبعد بيان الفروق الدقيقة بين تلك الألفاظ– بأن العلاقة الجامعة بين الألفاظ الثلاثة هي علاقة التضمن ما دامت دلالة لفظ الفرق متضمنة لدلالة لفظ الفلق، ودلالة لفظ الفلق متضمنة لدلالة لفظ الفطر، ومن ثم كان لكل واحد من تلك المتقاربات مساحة دلالية، أوسعها مساحة الفرق، وأضيقها مساحة الفطر، ومساحة الفلق بينهما، كما يبدو ذلك من خلال الشكل التالي الذي تتدرج فيه تلك الألفاظ حسب المساحة الدلالية لكل منها من الأوسع إلى الأضيق مع مراعاة ما يربطها من تضمّن:

2- الحرام والبَسْل: قال الراغب:" والفرق بين الحرام والبَسْل أنّ الحرام عامّ فيما كان ممنوعا منه بالحكم والقهر، والبسل هو الممنوع منه بالقهر."[19]

ففي تفريقه بين لفظي الحرام والبسل استعان بعلاقة التضمن التي تجمعهما، حيث عدت الوحدة المعجمية (حرام) وحدة ضامنة لأنها الأعلى في التقسيم التفريعي أو التصنيفي مادامت الأوسع مساحة دلالية، والمتمتعة بدرجة من العموم مقارنة بالوحدة الأخرى(بسل) والتي كثيرا ما يُعتقد أنها مرادفة لها، غير أن كونها السفلى أو الأدنى في التقسيم التفريعي أو التصنيفي مادامت الأضيق مساحة دلالية جعلها تضمينة، ومنعها في الوقت نفسه من أن تكون مرادفة للأولى لأن مساحتيهما الدلالية مختلفة، وشرط الترادف – كما هو معلوم– أن تدل الثانية على ما تدل عليه الأولى بالتساوي بينهما، وهو ما لا سبيل إلى تحققه مادامت العلاقة بينهما تضمنا من طرف واحد لكون دلالة الثانية منضوية تحت الأولى.

3- الظل والفيء: قال الراغب في مادة (ظلل):" الظِّلُّ: ضدُّ الضَّحِّ، وهو أعمُّ من الفيء، فإنه يقال: ظِلُّ اللّيلِ، وظِلُّ الجنّةِ، ويقال لكلّ موضع لم تصل إليه الشّمس: ظِلٌّ، ولا يقال الفيءُ إلّا لما زال عنه الشمس... وقوله: أفياءُ الظِّلَالِ فَالظِّلَالُ عامٌّ والفيءُ خاصّ، وقوله: (أفياءُ الظِّلَالِ)، هو من إضافة الشيء إلى جنسه."[20]

وقال في مادة فيأ:" فَاءَ الظّلُّ، والفَيْءُ لا يقال إلّا للرّاجع منه. قال تعالى:{ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ} [النحل/ 48]. وقيل للغنيمة التي لا يلحق فيها مشقّة: فَيْءٌ، قال:{ ما أفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ} [الحشر/ 7]."[21]

فعلاقة التضمن هي العلاقة التي انطلق الراغب منها مفرقا بين هذا الزوج (الظل والفيء) الذي كثيرا ما يعامَل خطأً معاملة المترادف، فقد نص الراغب صراحة على كون لفظ الظل الذي يمثل الجنس يتمتع بقدر من العموم لا يتمتع به لفظ الفيء الذي يمثل الشيء أو الذات، مما يعطيه مساحة دلالية أوسع تؤهله لأن يشتمل على دلالة لفظ الفيء، لأنّ هذا الأخير ضيِّقُ المساحة الدلالية مادام (لا يقال إلّا للرّاجع منه) كما قال الراغب، ولذلك نلحظ في هذه العلاقة تضمنا من طرف واحد، مثّل فيه لفظ الظل اللفظة الضامنة لكونه الوحدة المعجمية الأعلى، ومثل لفظ الفيء التضمينة لكونه الوحدة المعجمية السفلى. وقد كانت الاستعانة بتلك العلاقة في تحقيق اللفظين إجراءً تطبيقيا قيّما ساهم في إدراك الفرق بين ما يُعتقد فيه الترادف، وهو ما يكشف عن وعي كبير ومبكر للراغب وكثير من القدماء بما للعلاقات الدلالية المختلفة، وعلى رأسها علاقة التضمن من أهمية، حيث يتوقف الفهم والتوظيف الصحيحان للمفردة على فهم علاقتها بغيرها.

وما يقال عن زوج (الظل والفيء) يقال عن زوج (الغنيمة والفيء) باعتبار (الغنيمة التي لا يلحق فيها مشقّة) تسمى فيئا أيضا.

4- الحسنة والسيئة: قال الراغب:" الحسنةُ يعبّر عنها عن كلّ ما يسرّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، والسيئة تضادّها. وهما من الألفاظ المشتركة، كالحيوان، الواقع على أنواع مختلفة كالفرس والإنسان وغيرهما، فقوله تعالى:{ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} [النساء/ 78]، أي: خصب وسعة وظفر، {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ} أي: جدب وضيق وخيبة، { يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} [النساء/ 78]" [22]

فالسيئة تتضمن الجدب والضيق والخيبة وغير ذلك مما يسوء من نقمة تصيب الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، والحسنة تتضمن الخصب والسعة والظفر وغير ذلك مما يسرّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، وبهذا تسمى كل من الحسنة والسيئة لفظة ضامنة، ولا يصدق هذا الاسم (ضامنة) إلا على هذين اللفظين (الحسنة والسيئة) اللذين يتمتعان بمساحة دلالية واسعة، أما بقية الألفاظ التي ذكرها الراغب فتسمى تضمينة، ويصدق ذلك الاسم على كل من الخصب والسعة والظفر باعتبار تضمُّنِ الحسنة لها، وعلى الجدب والضيق والخيبة باعتبار تضمُّنِ السيئة لها، وكل تضمينة مساحتها الدلالية أضيق بالضرورة من مساحة الضامنة، ولذلك كانت هذه العلاقة استلزاما من جهة واحدة أتاحته سعة المساحة الدلالية.

5- المثل والنّدّ والشبه والمساوي (والشكل):

المثْل: قال الراغب:" المثْل عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أيّ معنى كان، وهو أعمّ الألفاظ الموضوعة للمشابهة، وذلك أنّ النّدّ يقال فيما يشارك في الجوهر فقط، والشّبه يقال فيما يشارك في الكيفيّة فقط، والمساوي يقال فيما يشارك في الكمّيّة فقط، والشّكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة

فقط، والمِثْلَ عامّ في جميع ذلك، ولهذا لمّا أراد اللّه تعالى نفي التّشبيه من كلّ وجه خصّه بالذّكر فقال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى/ 11]. "[23]

فاللفظة الضامنة من بين هذه الألفاظ الموضوعة للمشابهة هي (المثل) لأنها تصدق على البقية من الألفاظ التي تعد جميعا تضمينات وتحتويها، ولذلك يقال- مادامت العلاقة بينها وبين كل من النّدّ والشبه والمساوي استلزاما من طرف واحد – بأن كل ندّ وكل شبه وكل مساو وكل شكل يعد مثلا، ولكن ليس كل مثل ندّا أو شبها أو مساويا أو شكلا، وذلك لسعة مساحة دلالة لفظ (المثل) وضيق مساحة دلالة بقية الألفاظ الموضوعة للمشابهة كما يوضحه الشكل التالي:

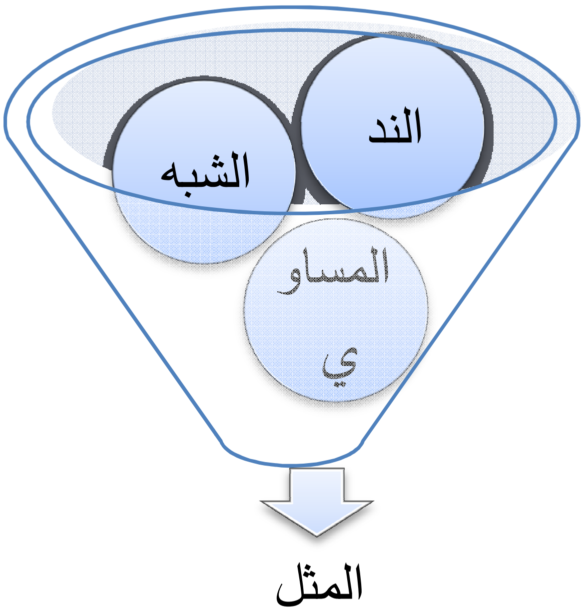

ومن الجزيئات المتداخلة الأمثلة التالية:

1- الكلام والقول والكلمة: قال الراغب:" الْكَلَامُ يقع على الألفاظ المنظومة، وعلى المعاني التي تحتها مجموعة، وعند النحويين يقع على الجزء منه، اسما كان، أو فعلا، أو أداة. وعند كثير من المتكلّمين لا يقع إلّا على الجملة المركّبة المفيدة، وهو أخصّ من القول، فإن القول يقع عندهم على المفردات، والكَلمةُ تقع عندهم على كلّ واحد من الأنواع الثّلاثة، وقد قيل بخلاف ذلك."[24]

فهذه المصطلحات عند المتكلمين وحتى عند النحويين تمثل جزيئات متداخلة يتضمن بعضها بعضا، وكل متضمِّن أوسعُ مساحة مما يتضمنه، فالكلمة أضيق هذه المصطلحات مساحة دلالية لأنها لا تصدق في الأصل إلا على الألفاظ المفردة من الأسماء والأفعال وحروف المعاني، ولذلك اعتبرها بعضهم الوحدة الدلالية الصغرى،[25] وإن كانت هي نفسها متضمنة لحروف المباني والتي لولاها ما بنيت الكلمة ولا عَرفت شكلا، ولذلك قال في مادة (حرف):" وحروف الهجاء: أطراف الكلمة."[26] والكلام أوسع مساحة من الكلمة لأنه لا يقع إلا على الجمل بشرط إفادتها معنى يحسن السكوت عليه، ومن ثم كان متضمنا للكلمة مادامت الجمل لا تتكون إلا من كلمتين فأكثر، حيث تسند إحداهما إلى

الأخرى، أما القول فأوسع هذه المصطلحات مساحة دلالية لتضمنه المفردات والمركبات من الجمل سواء أفادت أو لم تفد، وهو ما أكده ابن مالك في ألفيته بقوله:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم   واسم، وفعل، ثم حرف: الكلم

واحده: كلمة والقول عم   وكلمة بها كلام قد يؤم.

وبذلك تعرف حدود كل مصطلح وتحد مساحته، كما تعرف علاقته بغيره مما يمكن أن يتصور منه التضمن والاشتمال، ومن ثم تعرف درجة العموم لكل مصطلح، والشكل الهرمي التالي يوضح كيف يتضمن الأوسعُ مساحة الأضيقَ من بين الوحدات الدلالية التالية:

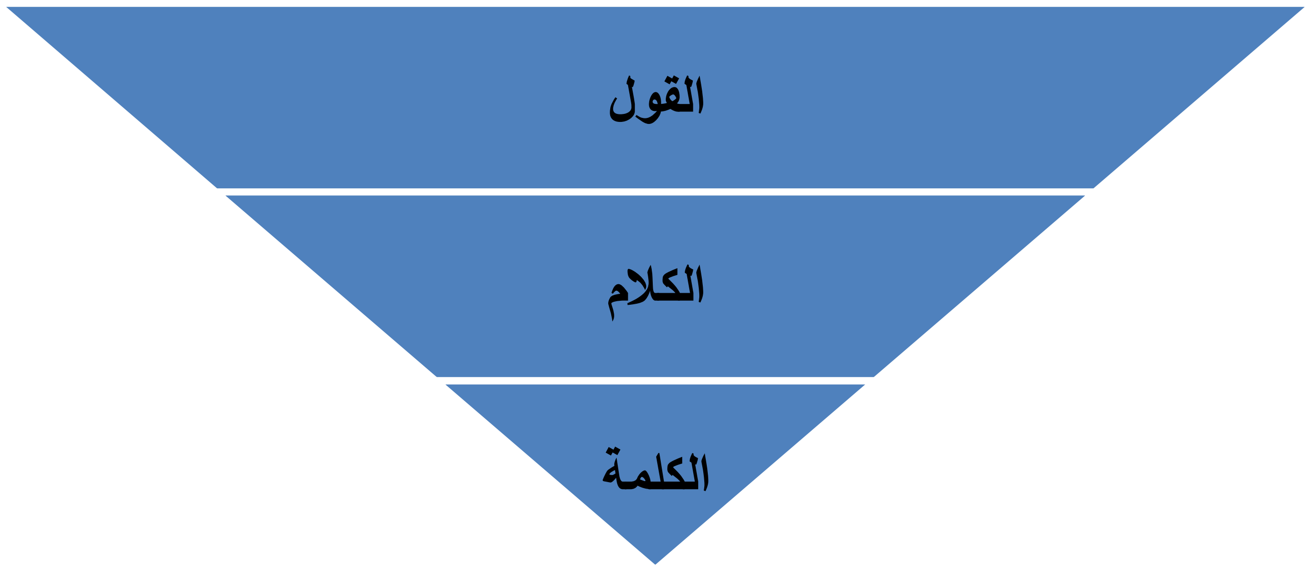

وقد أكد الراغب سعة المساحة الدلالية للفظ (القول) في مادة (قول) مقارنة بلفظ (الكلام) خاصة، لكونه مشتملا على كل منطوق مفردا كان أو مركبا مفيدا أو غير مفيد، مادامت مساحته ممتدة من الكلمات إلى القصائد والخطب ونحوهما، وهو الأمر الذي جعله مشتملا على (الكلام) لكون هذا الأخير دالا على اللفظ المفيد، ولا يكون كذلك إلا إذا كان مركبا كما قال ابن مالك، وهاهو الراغب يصرح بتلك المساحة الدلالية الواسعة للفظ (القول) مفصحا عما بينه وبين لفظ (الكلام) من علاقة تضمنية حيث يقول: " القَوْلُ يستعمل على أوجه: أظهرها أن يكون للمركّب من الحروف المبرز بالنّطق، مفردا كان أو جملة، فالمفرد كقولك: زيد، وخرج. والمركّب، زيد منطلق، وهل خرج عمرو؟ ونحو ذلك، وقد يستعمل الجزء الواحد من الأنواع الثلاثة أعني: الاسم والفعل والأداة قَوْلًا، كما قد تسمّى القصيدة والخطبة ونحوهما قَوْلًا."[27]

2- بين الجنس والنوع والذات: قال الراغب في مادة (**فضل**):

"الفَضْلُ إذا استعمل لزيادة أحد الشّيئين على الآخر فعلى ثلاثة أضرب:

- فضل من حيث الجنس، كفضل جنس الحيوان على جنس النّبات.

- وفضل من حيث النّوع، كفضل الإنسان على غيره من الحيوان، وعلى هذا النحو قوله:{ وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ} [الإسراء/ 70]، إلى قوله:{ تَفْضِيلًا}.

- وفضل من حيث الذّات، كفضل رجل على آخر ومن هذا النّوع التّفضيل المذكور في قوله:{ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ} [النحل/ 71]."[28]

فقد يلتبس مفهوم لفظ **الجنس** بلفظ **النوع**، وربما استخدم الناس لفظا واحدا منهما فيما يُستخدم فيه الآخر، مما يوهم بأنهما مترادفان، لا لشيء إلا للجهل بالعلاقة التي تجمعهما، والجهل بالمساحة الدلالية لكل منهما، ولذلك يوظف الراغب هذه الألفاظ أثناء تحقيقه للفظ (الفضل) مبينا معنى وحدود ومساحة كل لفظ. فالجنس أعم لتضمنه أنواعا مختلفة، فهو ضامنة والنوع تضمينة، غير أن النوع هو الآخر فيه درجة من العموم أيضا لاحتوائه الذوات ليمثل لفظةً ضامنةً مقارنة بما يشتمل عليه من أفراد يُعد كل واحد منها تضمينة، فالعلاقة التي تجمع هذه الألفاظ هي علاقة التضمن لكون بعضها محتوَى من البعض الآخر ومشتمَلا عليه، ولذلك تفاوتت مساحة ما يصدق عليه كل لفظ ضيقا واتساعا. ويمكن إيضاح مساحة كل لفظ من خلال الهرم التالي:

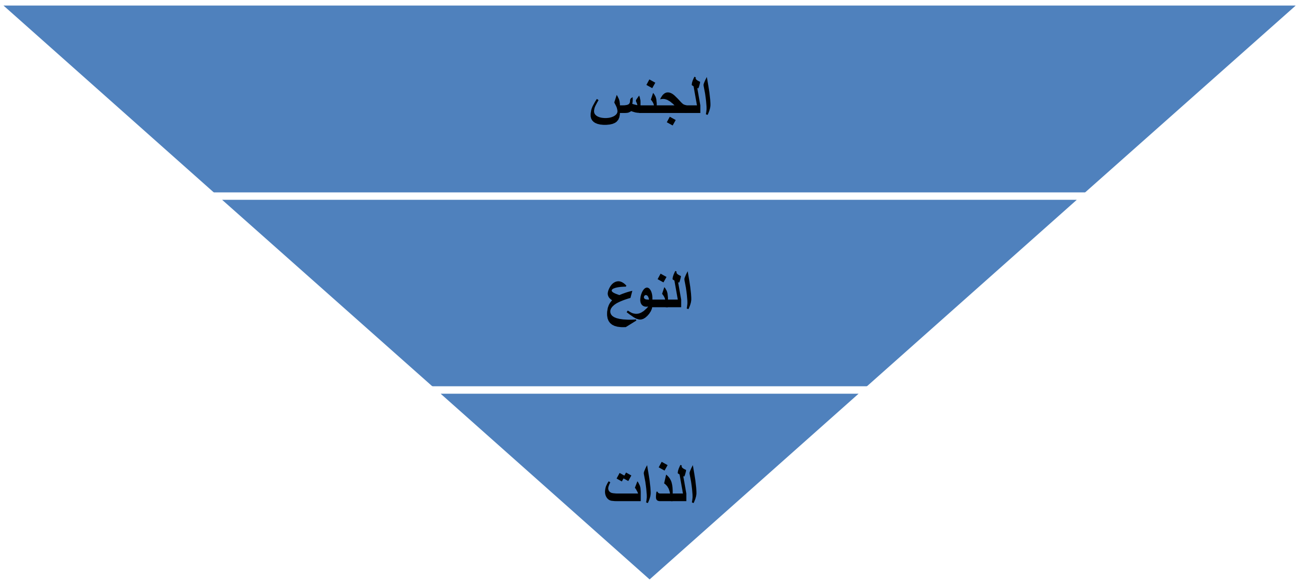

3- جَعَلَ وفعل وعمل وصنع:

قال الراغب في مادة (جعل):" جعل لفظ عام في الأفعال كلها، وهو أعمّ من فعل وصنع وسائر أخواتها."[29]

وقال في مادة (فعل):" الفِعْلُ: التأثير من جهة مؤثّر، وهو عامّ لما كان بإجادة أو غير إجادة، ولما كان بعلم أو غير علم، وقصد أو غير قصد، ولما كان من الإنسان والحيوان والجمادات، والعمل مثله، والصّنع أخصّ منهما."[30]

وقال في مادة (عمل):" العَمَلُ: كلّ فعل يكون من الحيوان بقصد، فهو أخصّ من الفعل، لأنّ الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات، والعَمَلُ قلّما ينسب إلى ذلك، ولم يستعمل العَمَلُ في الحيوانات إلّا في قولهم: البقر العَوَامِلُ، والعَمَلُ يستعمل في الأَعْمَالِ الصالحة والسّيّئة، قال:{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ} [البقرة/ 277]."[31]

وقال في مادة (صنع):" الصُّنْعُ: إجادةُ الفعل، فكلّ صُنْعٍ فِعْلٌ، وليس كلّ فعل صُنْعاً، ولا ينسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل. قال تعالى:{ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} [سورة النمل/ 88]."[32]

وقد أوردنا هذه المواد مرتبة من العام إلى الخاص أو من اللفظة الضامنة إلى اللفظة التضمينة، حيث يحتوي الأعمُّ منها الأخصَّ، لا كما جاءت في المفردات مرتبة حسب النظام الألفبائي. وإن أول ما ينكشف لنا ونحن نطالع ما بيّنه الراغب من اختصاص كل لفظ منها باستعمال معين ودلالة خاصة وعيُه بعلاقة التضمن التي جمعت هذه الألفاظ، والتي كثيرا ما أدى الجهل بها إلى استعمال جل تلك الألفاظ دون مراعاة خصوصية استعمال كل واحد منها، ولذلك وجدناه -على الرغم من تناثر مادة هذه الأفعال في مواضع متفرقة من مفرداته- حريصا على شرح المفردة وتبيان دلالتها من خلال ارتباطها بغيرها من المفردات التي يجمع بينها مجال دلالي واحد، إضافة إلى تأكيده على نوع تلك العلاقة التي جمعت بين تلك المفردات المتقاربة، لأن معرفتها كفيلة بإدراك مابين بعضها من فروق واستعمالات مخصوصة، والراغب وإن لم يسمها بتسمية المحدثين من علماء اللغة مكتفيا بذكر ما بينها من عموم وخصوص فلأن المفهوم واحد والاصطلاح لا مشاحة فيه مادام الاحتواء أو الاشتمال أهم ما يجمعها كلها. ولذلك كان اللفظ (جعل) متضمنا للبقية لكونه الأعلى في التقسيم التصنيفي والأوسع مساحة دلالية، فهو اللفظة الضامنة والبقية تضمينات. لكن العلاقة بين بقية الألفاظ علاقة تضمن أيضا، حيث يعد اللفظ (فعل) الأوسع مساحة، مما يجعله لفظة ضامنة مقارنة باللفظين الآخرين، على الرغم من كونه تضمينة عند مقارنته باللفظ (جعل). كما يتحول لفظ (عمل) إلى لفظة ضامنة مقارنة باللفظ (صنع)، وهو الذي كان يمثل اللفظة التضمينة سواء في علاقته باللفظ (جعل) أو باللفظ (فعل) لكونهما مشتملين عليه ما داما أوسعَ منه مساحة دلالية، وأعلى منه في التقسيم التصنيفي. أما اللفظ (صنع) فهو اللفظة التضمينة دائما لأنه الأضيق مساحة والأشد خصوصية، ولذلك كان الأكثر صفات تمييزية فهو:

صنع= فعل + جيد + لا ينسب إلى الحيوان والجماد.

والدائرة التالية تترجم علاقة التضمن التي تجمع الألفاظ الأربعة:

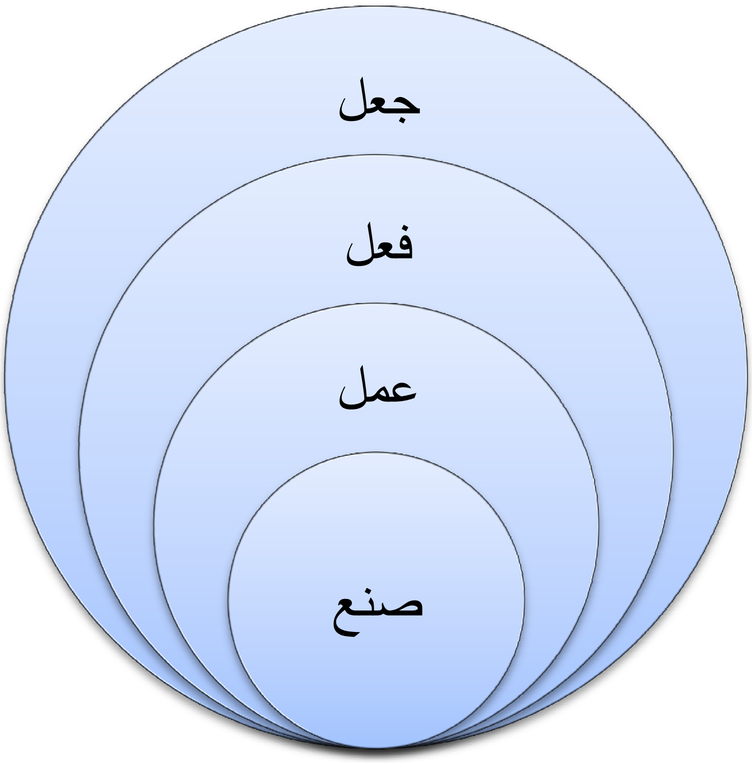

ولا أدل على وعي الراغب بقيمة هذه العلاقة في ميدان تحقيق الألفاظ وتحرير معانيها من اتكاءه عليها أثناء تناوله كثيرا من مفردات القرآن الكريم على غرار الأمثلة السابقة، وبيانه الفرق بين ما كان منها متقارب المعنى، بحيث يستعمله الناس دون إدراك لتلك الفروق التي تعد في الحقيقة وجها من وجوه الإعجاز اللغوي عامة والبياني خاصة للقرآن الكريم الذي جعل فيه الله عز وجل اللفظ المناسب في المكان المناسب، ووفق تلك الرؤية المنطلقة من الوعي بقيمة العلاقات الدلالية المختلفة بصفة عامة، وبقيمة علاقة التضمن بصفة خاصة ينطلق الراغب مفرقا بين دلالات الأزواج التالية:

الصفحة	الضامنة	التضمينة	تعبير الراغب عن علاقة التضمن
63	الإثم	الكذب	تسمية الكذب إثماً لكون الكذب من جملة الإثم.
63	الحيوان	الإنسان	تسمية الإنسان حيواناً لكونه من جملته.
167 828	النور	الضياء	الضياء أعلى مرتبة من النور، إذ كل ضياء نور، وليس كل نور ضياء. تخصيص الشّمس بالضّوء، والقمر بالنّور من حيث إنّ الضّوء أخصّ من النّور.
194	الحزن	الجزع	الجَزَع: أبلغ من الحزن، فإنّ الحزن عام والجزع هو: حزن يصرف الإنسان عمّا هو بصدده، ويقطعه عنه.
117	الموت	النوم	قد علم أنّ النوم من جنس الموت لقوله عزّ

			وجلّ:{ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها} [الزمر/ 42]
635	الجزع	الفزع	الفَزَعُ: انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف، وهو من جنس الجزع.
236 815	الإحسان	الإنعام	الإحسان أعمّ من الإنعام. والإِنْعَامُ: إيصالُ الإحسانِ إلى الغَيْرِ، ولا يقال إلّا إذا كان المُوصَلُ إليه من جِنْسِ النَّاطِقِينَ، فإنه لا يقال أَنْعَمَ فلانٌ على فَرَسِهِ. قال تعالى:{ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} [الفاتحة/ 7].

فعلة تسمية الكذب إنّما هو ما بين اللفظين من علاقة اشتمال، وذلك من باب تسمية الجزء باسم الكل ضمن المجاز المرسل، والأمر نفسه بالنسبة لتسمية الإنسان حيوانا، وقوله " كل ضياء نور، وليس كل نور ضياء." تأكيد على ما بينهما من تضمن، حيث مثل لفظ النور اللفظ الأوسع مساحة دلالية، في الوقت الذي مثل فيه لفظ الضياء اللفظ الأضيق مساحة دلالية، ولذلك قال:" الضّوء أخصّ من النّور"، وإذا كان لفظ الحزن لفظا عاما فإن لفظ الجزع دال على درجة عالية من الحزن، لأنه " يصرف الإنسان عمّا هو بصدده، ويقطعه عنه." والحال نفسها تنبه إليها الراغب فيما بين الموت والنوم، والجزع والفزع، والإحسان والإنعام، وغير ذلك من الأزواج التي يلحظ فيها علاقة التضمن، فتكون تلك العلاقة إذا فُهمت معيارا لتحديد المساحة الدلالية للفظ، ومن ثم نفي اعتقاد الترادف بين تلك الأزواج.

وفي الأخير لا يمكننا إلا التأكيد على أن الراغب كان على وعي بأهمية العلاقات الدلالية ذات الصلة بمساحات المعنى التي يشغلها كل لفظ سوى المترادف والمشترك، ومن ثم وجدناه مستعينا بعلاقة التضمن في تحقيق ألفاظ القرآن الكريم وكشف معانيها.

وقد تبين لنا من خلال ما تطرقنا إليه من أمثلة أن الراغب كان يعتبر التضمن من العلاقات الدلالية الأساسية التي يتوقف فهم المعنى على فهمها وتمثلها، ولا أدل على ذلك من كثرة اعتماده عليها أثناء تفريقه بين كثير من المفردات المتقاربة الدلالة والتي كثيرا ما يُعتقد فيها الترادف، حيث كان يعمد من أجل تحرير دلالات هذه الألفاظ إلى تحديد مكوناتها الدلالية المشتركة مركزا على ملامحها التمييزية التي ينفرد بها كل لفظ، وبذلك تُعرف مساحته وحدوده، كما تعرف علاقته بغيره مما يمكن أن يتصور منه التضمن والاشتمال، ولولا مثل هذا التحرير الدلالي لتلك الألفاظ التي يجمعها مجال دلالي واحد ما عُرف اختصاص كل لفظ من تلك الألفاظ باستعمال معين ودلالة خاصة لاسيما في القرآن الكريم وهو مجال كتابِ مفردات الراغب.

الهوامش:

[1] - هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني أو الأصبهاني، عرف أكثر ما عرف بلقبه (الراغب)، فكان هذا اللقب حالا محل اسمه، إذ لم يشر إليه الناقلون عنه إلا بلقب الأصفهاني أو الراغب، قال الزركلي في الأعلام ج2 ص 255:" الراغب... من أهل أصفهان سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي." ومع هذا فإن ترجمته من التراجم القليلة النادرة، وذلك لأن جل المصادر التي ترجمت له -على قلتها – لا تمدنا بكثير بيانات حول اسمه ونشأته وعصره ومذهبه العقدي... فكانت تراجمهم له موجزة مختصرة لا تتعدى بضعة أسطر تشير إلى أنه إمام في اللغة والأدب والتفسير والحكمة، فبينما نرى أن معجمه في (مفردات القرآن) من المراجع الهامة التي لا يستغني عنها معجمي أو مفسر جاء بعده، وأن كتابه (محاضرات الأدباء) لا يجهله أديب، وأن كتابه (الذريعة إلى مكارم الشريعة) نفيس للغاية، حتى ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ج1 ص 827، أن حجة الإسلام أبا حامد الغزالي كان يستصحبه دائما ويستحسنه لنفاسته، نلحظ في الوقت نفسه أن الراغب الأصفهاني لم يحظ من كبار المؤرخين بعده بالكتابة عنه، فضلا عن بيان عبقريته في شتى المجالات، فلم يترجم لهذا العَلم النحرير كثير من أصحاب التراجم والسير. فلا هو مذكور في معجم الأدباء ولا في وفيات الأعيان مثلا. بل حتى تلك التراجم القليلة متضاربة أحيانا سواء فيما يخص اسمه أو فيما يخص عصره ووفاته، أو فيما يخص مذهبه العقدي. ونستثني هنا إجماع من ترجم له على ثقافته ومؤلفاته، فقال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ج18 ص 120،121:" العلامة الماهر المحقق الباهر أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني، الملقب بالراغب، صاحب التصانيف، كان من أذكياء المتكلمين. لم أظفر له بوفاة ولا بترجمة."

[2] - أحمد مختار عمر – علم الدلالة– عالم الكتب، القاهرة، مصر– ط 5، 1998 م، ص 99.

[3] - ينظر: أف. آر. بالمر– علم الدلالة– تر: مجيد الماشطة– الجامعة المستنصرية، بغداد، 1985م، ص 99 -103.

[4] - أحمد مختار عمر– علم الدلالة ص 100.

[5] - محمود فهمي حجازي– مدخل إلى علم اللغة– دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ص 151.

[6] - الراغب الأصفهاني- المفردات في غريب القرآن- تحقيق: صفوان عدنان داودى– دار العلم الدار الشامية، دمشق، بيروت، 1412هـ، ص 632، 633.

[7] - المصدر نفسه ص 645.

[8] - المصدر نفسه ص 640.

[9] - فايز الداية– علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية تأصيلية نقدية– دار الفكر، دمشق، سوريا– ط2، 1996م، ص 25.

[10] - البيت لعُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود في لسان العرب لابن منظور– دار صادر، بيروت، لبنان– ط1، 1997م، مادة (ذرأ) ج1 ص 79. وهو لقيس بن ذريح في الزاهر فى معانى كلمات الناس لابن الأنباري تح: د. حاتم صالح الضامن- مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1992م، ج1 ص168 وكذلك في تاج العروس للزَّبيدي - دار الهداية، مادة (بلغ) ج 22 ص450.

[11] - حديث متفق عليه. ينظر: أبو الفضل العراقي- المغني عن حمل الأسفار- تح: أشرف عبد المقصود- مكتبة طبرية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1995م، ج1 ص337. (حديث رقم1275)

[12] - ابن منظور- لسان العرب ج8 ص313. والبيت لعنترة. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري- تح: محمد عوض مرعب- دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان-ط 1، 2001م، ج 13 ص 225. تاج العروس ج 13 ص 329.

[13]- أبو منصور الأزهري - تهذيب اللغة ج 13 ص 222.

[14] - فخر الدين الرازى- مفاتيح الغيب- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان- ط 1، 2000 م ج 31 ص 101.

[15] - السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- تح: مركز الدراسات القرآنية- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية. ج 3 ص 731، 732.

[16] - ابن فارس-المقاييس- تح: عبد السلام محمد هارون- دار الفكر، بيروت، لبنان- ط 1979م، ج 4 ص 493.

[17]- المصدر نفسه، ج نفسه ص 452.

[18]- المصدر نفسه، ج نفسه ص 510.

[19] - الراغب – المفردات ص 123.

[20]- المصدر نفسه ص 535، 536.

[21] - المصدر نفسه ص 650.

[22] - المصدر نفسه ص 235.

[23] - المصدر نفسه ص 759.

[24] - المصدر نفسه ص 722.

[25] - ينظر: أحمد مختار عمر – علم الدلالة ص 33.

[26] - الراغب – المفردات ص 228.

[27] - المصدر نفسه ص 688.

[28] - المصدر نفسه ص 639.

[29] - المصدر نفسه ص 196.

[30] - المصدر نفسه ص 640.

[31] - المصدر نفسه ص 587.

[32] - المصدر نفسه ص 493.

جهود اللغويين الجزائريين
في حقل تعليـمية اللغة من المنظـور اللساني

د. رحموني العيدية
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة البليدة ـ02 ـ

الملخــص

تقوم اللغة على الاستعمال اللغوي المرتكز على النظام القاعدي الضابط لكيفيات التوظيف اللغوي؛ فتأليف الكلام إلى بنية تركيبية، ونسق تنظيمي وعناصر لغوية يحتاج إلى قواعد نحوية لتتحدد وظائفه، واللسانيات علم وصفي (descriptive) يهدف إلى اكتشاف القواعد المستعملة من قبل أفراد مجموعة لغوية معينة وتسجيلها بطريقة مختصرة ودقيقة، وقد استطاع الدرس اللغوي العربي أن يؤسس لنفسه مدرسة ليسانية تخضع إلى مبادئ، وأسس، ومصطلحات تميزها عن غيرها ومنهج تعتمده في تحليل الظاهرة النحوية نحو ما قام به سيبويه (تـ180هـ)، وأيضا عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم، فعلم النحو ركن أساسي في علم اللغة يتمكن من خلاله إقامة بناء شامل للظاهرة اللغوية وفق ما تتطلبه عملية النظم.

كما أن البحث اللغوي الحديث يدرس المستويات اللغوية على أنّها كل متكامل؛ إذ لا يجوز الفصل بينها؛ فالصَّرف يعتمد الأصوات نحو ظاهرتي الإعلال والإبدال، والنَّحو يعتمد الأصوات والصرف معا، وتداخل هاته المستويات إنَّما يدل على أنَّ النَّص اللغوي كل لا يتجزأ بأيِّ حال من الأحوال ، وهو ما يشكل عند الألسنيين الحدث اللساني الذي يمر بثلاث مراحل عند إنجازه؛ فالتَّحليل اللساني العلمي للغة يهدف إلى وصفها وتحديد بنيتها لأنَّ القواعد التربوية التعليمية تقوم باختيار مادة تعليمية بالاعتماد على القواعد اللسانية العلمية لذلك وجب ضرورة التمييز بين تعلم مسائل اللغة وبين تعليم كيفية استعمال اللغة.

وتلتقي بعض الاتجاهات النحو العربي في دراسة اللغة مع اللسانيات الحديثة في تحديد أهداف التحليل اللساني، ولنا أن نتساءل عن العناصر المكونة للقواعد وطريقة عمل القواعد في اللسانيات؛ وعليه حاولنا رصد بعض الاجتهادات التي قام بها بعض اللغويين الجزائريين في حقل تعليمة الصيغ الافرادية والبنى التركيبية من المنظور اللساني، وقد انطلق بعض الباحثين الجزائريين في دراساتهم اللسانية بالبحث في التراث القديم؛ لأنَّ كل مجدد يفترض أن يكون ملما بالتراث حتى يتزود بالمعرفة اللسانية المعاصرة على حد تعبير أحد اللغويين.

Résumé

La langue de l'agent de système de bande de base linguistique basée sur l'utilisation pour les modalités d'emploi linguistique; Vtolev discours à la

structure synthétique, format et des éléments de régulation de la langue a besoin à la grammaire doit être déterminé et de ses fonctions, et la linguistique science et descriptive (descriptive) vise à découvrir les règles utilisées par les membres du groupe linguistique et certaine manière enregistrée concis et précis, a été Leçon pouvoir arabe linguistique à se mettre en place pour l'école Isanih est soumis aux principes et fondements, et des termes qui les distinguent des autres et de la méthodologie adoptée par le phénomène de l'analyse grammaticale de ce qu'il avait fait Sibawayh (T180h), et également Abdul omnipotent Jerjani dans la théorie des systèmes, connaissaient en tant que pierre angulaire en linguistique en mesure d'établir un bâtiment complet dans lequel le phénomène linguistique tel que requis par les systèmes de traitement.

La recherche linguistique d'étudier les niveaux linguistiques modernes comme un tout intégré, il ne peut pas être séparé; Vabv dépend votes vers les phénomènes de Alaalal et la substitution, et que les sons et l'échange dépendantes ensemble, chevauchant ces niveaux de circonstances, mais montre que le texte de la langue est un ensemble intégral en aucune façon, dont elle constitue à Alolsenyin événement linguale, qui passe par trois étapes une fois rempli; Valthalil linguale langage scientifique conçu pour décrire et de définir sa structure parce que l'éducation des règles d'éducation choisissent du matériel éducatif sur la base des règles de la science linguistique qui est nécessaire de faire la distinction entre l'apprentissage de la langue et de l'éducation de la façon d'utiliser les questions linguistiques.

Et répondre à certaines des tendances de la grammaire arabe dans l'étude de la langue avec la linguistique moderne dans la détermination des objectifs de l'analyse linguistique, et nous devons interroger sur les éléments constitutifs des règles et la façon dont les règles de la linguistique, donc nous avons essayé de suivre certaines interprétations par certains linguistes Algériens dans l'unité des formules et synthétique brun champ d'instruction en perspective verbale, certains chercheurs algériens ont lancé leurs études dans la recherche linguistique dans le patrimoine ancien, refait parce que tous sont censés se familiariser avec le patrimoine même se doter de connaissances linguistiques contemporaine dans les mots d'une langue.

لقد استطاع الدرس اللغوي العربي أن يؤسس لنفسه مدرسة ليسانية[1] تخضع إلى مبادئ وأسس، ومصطلحات تميزها عن غيرها ومنهج تعتمده في تحليل الظاهرة النحوية.

والبحث اللغوي الحديث يدرس المستويات اللغوية على أنَّها كل متكامل؛ إذ لا يجوز الفصل بينها؛ فالصَّرف يعتمد الأصوات نحو ظاهرتي الإعلال والإبدال، والنَّحو يعتمد الأصوات والصرف معا، وتداخل هاته المستويات إنَّما يدل على أنَّ النَّص اللغوي كل لا يتجزأ بأيِّ حال من الأحوال[2]، وهو ما يشكل عند الألسنيين الحدث اللساني الذي يمر بثلاث مراحل عند إنجازه؛ فأمَّا المرحلة الأولى فتتكوَّن من خلالها الرسالة اللغوية التي تصدر على شكل أصوات، والمرحلة الثانية تنتقل من خلالها الرسالة اللغوية عبر الهواء عن طريق التموجات الصَّوتية التي تصل إلى أذن السامع، والمرحلة الثالثة ترتبط بالمستمع الذي يعمل على تفكيك الأداء اللغوي لإدراك المعنى، وما يمكن أن يستخلص من خلال هذه المراحل هو المعطى التشكيلي التفكيكي للحدث اللساني[3]..

وتلتقي بعض اتجاهات النَّحو العربي في دراسة[4] اللغة مع اللسانيات الحديثة في تحديد أهداف التَّحليل اللساني كما أنَّ الدراسات الغربية استفادت كثيرا من الدَّرس النَّحوي العربي، ولنا أن نتساءل عن العناصر المكونة للقواعد وطريقة عمل القواعد في اللسانيات؛ وعليه حاولنا رصد بعض الاجتهادات التي قام بها بعض اللغويين الجزائريين في حقل تعليمة الصيغ الافرادية والبنى التركيبية من المنظور اللساني، وقد انطلق بعض الباحثين الجزائريين في دراساتهم اللسانية بالبحث في التراث القديم؛ لأنَّ كل مجدد يفترض أن يكون ملما بالتراث حتى يتزود بالمعرفة اللسانية المعاصرة على حد تعبير أحد اللغويين[5]، وهو ما يتَّضح في المسـائل الآتية:

1 ـ تصنيـف الكـلام

لقد وضع سيبويه أبوابا تتَّفق مع أسس النظرية البنيوية ومع أسس النظرية[6] التوليدية[7] وتعامل مع الجملة العربية من منظور البنية العميقة والسطحية في باب(باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره استغناء عنه) ومثَّل لذلك بأمثلة عديدة نحو قوله: بهرك الله بهرا، ويمثل لها بالرسم الآتي[8]:

البنية العميقه	التحويل	البنية السطحية
بَهرَك الله	←	بَهْرا

فالمبادئ التي ارتكز عليها سيبويه في تصنيف الكلام إلى المستقيم الحسن هو الذي يراعى فيه الأصول اللغوية التي توافق الاستعمال اللغوي؛ فصحة الجملة غير كافية إذا لم نراعي دلالتها نحو: (سـآتيك غدا: = زمن الاستقبال)

السين" أداة لا تدخل إلا على المضارع وتخلصه للاستقبال + آتيك" فعل مضارع صالح للحال والاستقبال وتعين هنا للاستقبال بدخول السين عليه +"غدا" اسم من أسماء الزمان الخاصة بالمستقبل أبدا.

والمحال: وهو أن ينقض أول الكلام آخره نحو: (سـَـآتيك أمس)= زمن متناقض بين ماهو ماض وماهو مستقبل.

"السين" أداة لا تدخل إلا على المضارع وتخلصه للاستقبال +" آتيك" فعل مضارع صالح للحال والاستقبال وتعين هنا للاستقبال بدخول السين عليه +"غدا" اسم من أسماء الزمان الدالة على الماضي أبدا، وقد لاحظ ـ أحد الباحثين ـ أن سيبويه لم ينعت هذا الصنف من الكلام بالاستقامة أو الكذب ما يدل على عدم الاعتداد به تداوليا في اللسانيات العربية، وعدم كفايته تواصليا وبالتالي فالعرب ركزوا في دراستهم للجملة على دعامة الإفادة[9].

والمستقيم الكذب وهي المقبولة تركيبا والمنحرفة دلاليا لكونها محولة نحو(حملت الجبل) ويعتد بعض الباحثين في ذلك إلى أن النحاة ذهبوا إلى ينبغي للوحدة الاسنادية الوظيفية التوليدية التي تتكون من اسم +اسم أو فعل +اسم أن يكون الاسم أو الفعل الداخل في عملية الإسناد مستعملا استعمالا عرفيا[10].

والمستقيم القبيح وهو وضع اللفظ في غير مكانه نحو: (قد زيدا رأيت)[11].

والمتمعن في القواعد التي اعتمدها (تشومسكي) في أثناء حديثه عن الكفاية اللغوية والأداء الكلامي ـ حسب ما أكده الباحثون ـ يلحظ تشابها كبيرا[12]بين ما ذهب إليه وما سبقه إليه سيبويه وغيره من علماء العرب وهو ما يتَّضح من خلال المكون التركيبي؛ حيت أقرَّ علماء اللغة أنَّ جوهر الحدث اللساني إنَّما يتَّضح في التراكيب ولذلك طغى مفهوم التركيب على النَحو في الضبط مابين الوحدات اللغوية؛ فالمتكلم يولد عددا لا متناهيا من الجمل وعندما انطلق تشومسكي في تعريفه للغة مقتفيا أثر همبلد (1767م ـ 1835م) في أنَّ اللغة استعمال غير متناه بوسائل متناهية كان الآمدي(تـ 631) قد أشار إلى ذلك ـ حسب أحمد حساني ـ في كتابه الإحكام في أصول الأحكام بدليل قوله:" إنَّ الأسماء وإن كانت مركبة من الحروف المتناهية فلا يلزم أن تكون متناهية" [13]، والدراسة الحديثة في بناء الجملة تهتم بترتيب الوحدات ضمن مستوياتها اللغوية فالنحو والعقل يبحثان في اللفظ والمعنى [14]، وهو ما نجده مجسدا في أعمال الجرجاني(تـ471هـ)؛ فالتركيب اللغوي عنده هو مجموعة من العلاقات النحوية التي تتولد عنها المعاني؛ إذ هي المنطلق لتحليل الوحدات الاسنادية[15] ففي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ غفُورٌ رَحيمٌ**﴾ نجد الناسخ (أنَّ)عنصر حول الجملة من معنى إلى معنى تأكيد[16]، وتتَّضح المسألة أكثر في قولك: هل ناجحٌ المجتهدُ؟ فهذه الجملة اسمية ظاهريا وهي فعلية في حقيقتها، جاء فيها المبتدأ محولا عن الفعل المضارع؛ إذ بنيتها العميقة هي : "هل ينجحُ المجتهدُ؟" فجاء اسم الفاعل محولا عن المضارع لمشابهته به[17].

2 ـ كان وأخواتها ودلالتـها الزمنية

من المتعارف عليه أنَّ الكلام اسم وفعل وحرف، وأمَّا الفعل فهو الدال على حدث مقترن بزمن مقيد ؛ **إلاَّ أنَّ** النحاة الأوائل لم يبينوا الفروق الموجودة بين الأفعال الناقصة نحو الفرق الزمني بين كان وأخواتها، فصنفت في خانة النَّواسخ ودلالتها خالية من الحدث، وهي أفعال لفظية لا حقيقية إن دخلت على الجملة الاسمية، والعلاقة الاسنادية في الركن الاسنادي الاسمي مجردة من الزمن قائمة على أساس ارتباط المسند بالمسند إليه عكس الركن الاسنادي الفعلي، وهي إما زائدة أو أدوات إن دخلت على الفعل فتلحق الفعل بوصفها سوابق توزيعية فيكون موقعها استبداليا في مواقع الأدوات، وهو ما أكَّده المحدثون[18]؛ في حين ذهب بعضهم إلى اعتبارها أدوات فعلية زمنية؛ فالزمن مقترن بمعناها وهي إن دخلت على الجملة الاسمية جعلت الاسم في زمان معين، فهي تفيد بصيغتها الماضية الدلالة على الزمن الماضي وإن دخلت على الفعل حددت اتجاهه الزمني للدلالة على وقت خاص[19]، نحو قوله تعالى: ﴿ **وقد كَانَ فريقٌ منهم يَسْمعُون كلاَمَ الله ثمَّ يحرِّفونه**﴾[20]، وقولك: "أصبح زيدٌ قائمًا" تدل على حصول فعل القيام في الزمن الماضي وقت الإصباح[21].

فبعض المحدثين يرون أنَّ القدماء يدرسون (**كان**) من حيث تمامها، ونقصانها، واسمها، وخبرها، دون الالتفات إلى دراسة المركبات التي تنشأ من انضمامها إلى أفعال أخرى، والصيغ المركبة المعبرة عن جهات الزمن معروفة بـ (concordence de temps)[22] ، وذلك من خلال اقترانها ببعض الأدوات نحو: (قد)، أو تقديم فعل (**كان**) عليها نحو: (**كَانَ** قَدْ فَعَلَ)، (سيَكُونُ قَدْ فَعَلَ)؛ إذ تحصر هذه الأزمنة في ستة عشرة جهة وهي: ثمانية للماضي، وثلاثة للحاضر، وخمسة للمستقبل[23]، وفي هذا يرى أحد الباحثين الجزائريين أنَّ السياق الحالي والمقامي يحمل من القرائن اللفظية والحالية ما يعين على فهم الدلالة الزمنية وهو من هذا المنظور يتقارب مع علم البلاغة العربية[24].

3ـ الجهـة الزَّمنية للأفعـال[25]

لقد قسَّم النحاة العرب زمن الفعل إلى ماضي، ومستقبل، وحاضر، وحصروه في ثلاث صيغ وهي (فَعَلَ، ويَفْعَلُ، وافْعَل)[26]، ومرد ذلك أن النحاة نظروا إلى الصيغ الفعلية من الجانب الصرفي الافرادي فقط ولم يهتموا بالسياق، فلم يتطرقوا إلى أساليب الدلالة عليه بدقة ولم يتخذوا لها اصطلاحا خاصا بها ما جعل المستشرقين يعيبون الاجرومية؛ إذ أنَّ النحاة لم يطيلوا النظر في الصيغ المركبة التي تتصل بالمعنى أكثر من اتصالها بالشكل[27]؛ نحو قولك مثلا : "إنْ جَاءني ضيفٌ فرحتُ به"؛ فالدلالة الزمنية تحولت من الماضي إلى المستقبل فالزمن هنا ليس زمن الفعل وإنما زمن الأسلوب الشرطي ، وأيضا قد يقلب زمن الفعل المضارع من المستقبل إلى الماضي إذا اقترن بحرف جزم نحو قولك: " لَمْ أَلعَبْ"[28]، وما أكثر ما نجده في القرآن الكريم من صيغ في المضارع تفيد الاستمرار في الماضي والحال والاستقبال، ومرد هذا التحول ـ عند الباحثين الجزائريين ـ أنَّه نتيجة ورود صيغة الماضي مع غيرها في تراكيب لغوية واقترانها بقرائن تساعد على تعيين الجهة الزمنية المقصود التعبير عنها ، فيما اعتبر آخرون هذا التحول من الأضداد[29].

4ـ الصِّيـغ الافـرادية منها :

أـ صيـغة (إذا فَعَـل)

لقد قسَّم السيوطي(تـ911هـ) صيغة **(إذا فعَل)** للدلالة على الزمن الماضي والحال والاستقبال، والأمثلة التي اختارها السيوطي(تـ911هـ) للدَّلالة على زمن الماضي نحو **قوله تعالى: ﴿ والنَّجْمُ إذا هَوَى﴾**[30]، فرأى بعض الباحثين في هذه الآية أنَّ النجمَ هوى، وسيظل يهوي إلى أن يشاء الله، وهذا على مذهب من يفسر هذه الآية بالنجم الذي يرجم به، إنما إذا فسرت الآية بالنجم إذا قرب وانتشر يوم القيامة فلن تكون دلالته غير الاستقبال31، وهو ما ذهب إليه ابن هشام32، في حين ذهب نحاة آخرون إلى أنَّها تدل على الحال في هذه الآية33 .

وهي عند بعضهم الآخر جملة قسم مؤلفة من الوحدة الاسنادية المضارعية للقسم وهي محولة بحذف المسند (الفعل) والمسند إليه (الفاعل) وبنيتها العميقة هي (أقسم بالنجم)، مؤلفة من (إذا) ظرف زمان وهو مضاف، والوحدة الاسنادية الماضوية (هوى) المؤدية وظيفة المضاف إليه[34] .

ب ـ صيـغة (اِفْعَـل) ينقسم زمن الفعل إلى ماضي، ومضارع، وأمر كما هو مبين في المخطط الآتي[35]:

الصيغة	**فَعل**	**يَفعلُ**	**يفعَلُ**	**اِفْعَل**
الزمن	**الماضي مطلقا (الحدث التام)**	**الحال (الحدث الذي لم يتم)**	**الاستقبال(الحدث المنتظر)**	**الاستقبال(طلب الفعل)**

إلا أنَّ بعض الأصوليين[36] أنكروا زمنية فعل الأمر[37]؛ بحجَّة أنَّه يقوم على عدم مصاحبة الحدث للفعل، وهو ما ذهب إليه بعض اللغويين المحدثين، وحسبهم في ذلك أن صيغ الأوامر ألفاظ إنشائية خالصة كالترجي والتمني، والانشائيات لا اقتران لها بزمن38، وذهب النُّحاة القدامى إلى أنَّه يدل على الاستقبال[39]، ومن ذلك يقول أطفيش(تـ1332هـ): "الأمر ـ كما علمت ـ مشتق من المصدر، وقيل: من المضارع لأنَّه تابع له في أموره، ومناسب له في الاستقبال، لا من الماضي لعدم دليل على اشتقاقه منه"[40] وهو ما ذهب إليه الكثير من النحاة[41]، في حين أضاف أحد اللغويين الجزائريين أنَّ هناك فروقا نسبية بين أزمنة الفعل حسب السياق الذي يرد فيه نحو قولك: "استقم"، يوحي بزمن غير زمن قول **الضابط** : "**استعد**"، أما الفارق الزمني بين التلفظ بصيغة (افعل) ووقوع الحدث فانه يمحى[42] نحو قوله تعالى:﴿ **فقالَ لهَا وللأرضِ اتينا طَوعا أو كرهًا قالتْ أتَينا طَائعين﴾**[43].

ولكن هناك أفعال أمر تبين القرائن أنَّها وقعت فعلا في حيز الماضي وإن جاءت للدلالة على الاستقبال[44] نحو قوله تعالى: **﴿وقيلَ ياَ أرضُ ابلعِي مَاءَكِ ويَا سَمَاءَ اقْلعِي﴾**[45]؛ فالفعلان (ابلعي، و اقلعي) ماضيان بالنسبة لزمن النزول ونحو قوله تعالى :" يابني اذهبوا فتحسَّسوا من يوسف وأخيه"[46].

5 ـ مسألة الأصـل والفرع

إنَّ الأصل كما هو معروف عند النحاة العرب هو العنصر الثابت والفرع هو الأصل بالزيادة[47] ؛ ولقد تعرض (تشومسكي) إلى هذه المسألة من خلال نظريته التوليدية التحويلية؛ ويذهب بعض المحدثين إلى أن مسألة الأصلية والفرعية أساسية في المنهج التحويلي[48] لفهم البنية العميقة وتحويلها إلى بنية سطحية[49]؛ فالتحويل من البنية السطحية إلى العميقة ما هو إلاَّ التحويل التقديري الذي يقدر فيه لكل معنى لفظ والتي تكون حاصلة في الحذف والتقديم والتأخير، ونحاة العربية هم أول من لجأ إلى التقدير[50]؛ وهو ما يهدف إلى إكساب المتعلم القدرة على النطق الصحيح.

ويتضح التحويل من البنى العميقة إلى السطحية في البنية التركيبية من خلال ما ذهب إليه بعض المحدثين في قولك مثلا: "الدنياَ جميلةٌ" يمثل (الأصل) ، و(الفروع) هي(الدنيَا جميلةٌ) ، (مَازالت الدنيَا جميلة)، (ستكونُ الدنياَ جميلةً)[51] ونحو قولك أيضا: "كانَ زيدٌ قائمًا" وتمثل (بنية ظاهرية) تقابلها زيد قائم (بنية عميقة)، وقولك: "أكلَ الرجلُ الخبزَ"/"الخبزُ أكلهُ الرجلُ"/ "الرجلُ أكلَ الخبزَ"/" سيأكلُ الرجلُ الخبزَ"/ " أكلَ الخبزَ"؛ فالجمل المحولة من جملة النواة موجودة في البنية العميقة[52]، والصيغ الصرفية التي لم يقع فيها تحويل نحو الإعلال والإبدال لا تحتاج إلى بنية عميقة[53].

وتتَّضح المسألة أكثر من خلال الجدول الآتي[54]:

البنية السطحية	البنية العميقة	الدلالة
قوله تعالى:﴿ **والمؤتفكة أهوى**﴾[55]	أهوى المؤتفكة	التقديم والتأخير بغرض الاختصاص
قال تعالى:﴿**واشْتعل الرَّأس شَيبا**﴾[56]	اشتَعل شيْبُ الرأسِ	التقديم والتأخير بغرض الاختصاص

6ـ مسألة التـَّوزيع

يرى بعض الباحثين الجزائريين أنَّ العرب كان لهم السبق في المنهج التوزيعي[57]فعندما تعذر عليهم تعميم العلاقات الوظيفية الضمنية استبدلوه بمبدأ الموقعية فاعتمد العربي الاستبدال بإقامة وحدة اسنادية مقام وحدة اسنادية أخرى[58]نحو قوله تعالى: ﴿**وأنْ تصُومُوا خيرٌ لكُم**﴾[59]؛ إذ تستبدل (وأنْ تصُومُوا) بالمصدر المؤول: (صَومُكمْ)[60]، ويتضح ذلك من خلال منهج عبد القاهر الجرجاني(تـ 471هـ) في كتابه الجمل عندما تناوله الفعل من خلال موقعه وعلاقته بالعناصر اللسانية السابقة له واللاحقة [61]، وكذلك نحو أداة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يا إِبرَاهِيمُ**﴾[62]؛ فالوحدة الاسنادية التوليدية هي ترغب تحولت إلى وحدة اسنادية اسمية[63]، ويتَّضح الأمر أكثر ـ كما ذهب إلى ذلك أحمد حساني ـ في ما فعله ابن مالك (تـ635 هـ) في تقسيمه للكلام في الألفية حينما أعطى التعريف حقه بتحديد الحوالية(environnement) التي تتباين وفقها العناصر اللسانية من حيث تواترها في

السلسلة الكلامية المنطوقة؛ وهو ما ذهب إليه التوزيعيون الغرب[64]، ومن ذلك **قول ابن مالك(تـ635هـ)**:

باالجرِ والتَنوِين والنِدا وال ومُسندٌ للاسم تَمييزٌ حَصَل

بتَا فعلَت وأتَت ويَا افْعلي ونُون اقبلْن فعلٌ ينْجَلي

وفي مسألة التصغير مثلا توصل ابن جني (تـ 392هـ) إلى أنَّ التَّصغير يرجع اللفظ إلى أصله وحقيقته؛ فـ(حَمْرَاء وسُويْداء) على وزن (فَعلاء) تصغيرهما (حُمَيْراء و سُويْداء) مؤنثهما حقيقيان، أما (علباء) تصغيره (عليبي) مؤنثه غير حقيقي وهو ما استشفه **ابن جني(تـ 392 هـ)** من خلال مساءلة عبد الله الشجري وابن عمه في أثناء جمعه للمادة اللغوية، ويقترب ذلك إلى منهج المدرسة التوزيعية ومحاولات البحث في التغيرات الفونولوجية من خلال الشكل[65]؛ حيث اهتمت بتوزيع الكلمات في السياق اللغوي؛ فأضحى تقسيمهم لفئات الكلم مبنيا على توزيع تلك الفئات ضمن سياقها اللساني المألوف وهدف النَّحو عندها هو حصر التراكيب وتصنيفها حسب الاستعمال ودرجة التواتر، واللغة ليست غير الكلام المسموع من قبل المتلفظ[66].

7ـ مسألة العامـل

إنّ العامل من أهم القضايا التي يرتكز عليها علم النحو **وهو** عند الخليل(تـ175هـ) التحليل الشكلي للظواهر النَّحوية نحو: علاقة المبتدأ بالخبر، والفعل بالفاعل وهو من أهم مبادئ النحو الوصفي عند التوزيعيين[67]، ويرى المحدثون أن العرب جمعوا في هذا مابين العمل والاختصاص بحكم أن العلاقات الوظيفية بين العناصر اللسانية تقتضي تجاورا يصل إلى درجة التلازم؛ فهناك حروف مختصة بالفعل نحو: (لم) وأخرى مختصة بالاسم نحو: (في)؛ إذ كانوا يمارسون هذه العلائق الوظيفية عن طريق الآداء الفعلي للكلام دون إدراكهم لحدود العلل[68] .

ـ النظرية الخليلية الحديثة لعبد الرحمان الحاج صالح

لقد عمل **عبد الرحمان الحاج صالح** على التوفيق مابين النظرية العربية القديمة والدراسات اللسانية الحديثة فعمد إلى خلق نظام دقيق يحاول أن يضبط تحته كل مفردات الظاهرة اللغوية **فأصَّل لنحو بنيوي عربي** استمد مبادئه من منهج الخليل بن أحمد الفراهيدي (تـ175هـ) من خلال دراسة مقارناتية فعلل، وقاس، وقال بالعوامل مع الاهتداء ببعض مقولات النظرية الغربية والقائمة على مبدأ الوضع والاستعمال؛ فاللغة نظام من الدوال يختار منها المتعلم ما يحتاجه لاستعماله، وبالتالي ميز مابين القياس والاستعمال فقوانين الاستعمال غير قوانين النَحو والقياس وهو ما تجاهله النحاة الأوائل، ومن هنا وجب مراعاة الاستعمال الفعلي للغة في جميع الأحوال الخطابية مما يستلزم العناية بالبلاغة والنحو معا[69]؛ فقولك مثلا في الجملة الاسمية :"المجتهدُ نجحَ" جاء المبتدأ فيها مرفوعا فإذا حذف هو أصبحت الجملة "ينجحُ المجتهدُ" ؛ أي أن الجملة الاسمية مكونة من ثلاثة عناصر سطحية هي: المبتدأ، والفعل

المضارع، وفاعله مستتر، ورأى أنَّ العامل في كلمة المجتهد معنى مستتر فيه اصطلاح على تسمية بالابتداء ويتضح ذلك من خلال الآتي[70]:

العلة(العامل)	المسنداليه	المسند
0	المجتهدُ	ينجحُ
إنَّ	المجتهدَ	ينجحُ
كاد	المجتهدُ	ينجح

والجملة من المنظور اللساني الحديث تتركب من مؤلفين مباشرين مركب اسمي: (المجتهد) ومركب فعلي : (ينجح) .

وقد ارتكز الباحث في نظريته على جملة من المبادئ منها : **مبدأ الباب** وهو مجموعة من العناصر تجمعها بنية واحدة ويسمى النظام اللغوي[71]، **ومبدأ المثال(sheme generateur)** وهو مجموع الحروف الأصلية والزائدة مع حركاتها وسكناتها وهو البناء نحو ما جاء على وزن (مَفْعَل)؛ **فالمثال** يحصل بتركيب عملية تجريدية وترتيبية[72].

قال تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾[73]	نَعبُد إيَّاك	لإفادة الاختصاص والقصر
قال تعالى: ﴿ **ومَا كَانَ الله ليعذبَهم وأنْت فيهم**﴾[74]	يُعذبهم	توكيد المنفي

الهوامش

[1]ـ **علم اللسان** يقابله (linguistics) جذره الأصلي لاتيني تعني (lingui)تعني اللسان. يراجع علم اللسان العربي فقه اللغة العربية ص 18.

[2]ـ يراجع المصطلح في اللسان العربي من آلية الفهم إلى آداه الصناعة ص 102ـ103، والعربية وعلم اللغة الحديث ص 108.

[3]ـ يراجع البنية التركيبية للحدث اللساني ص16ـ17 .

[4] ـ يراجع دروس في اللسانيات التطبيقية ص 15، والمنهج اللغوي العربي والبحث اللساني دراسة مقاربتية في اللسانيات وأصول النحو ص 18.

5ـ يراجع المدارس اللسانية ص 15 .

[6]ـ بدأ المنهج المميز للإجراء التوليدي التحويلي منذ أن نشر تشومسكي كتابه الأول البنى التركيبية سنة 1957 والتحليل العلمي للحدث اللغوي حسبه ليس وصفا خارجيا لما تلفظ به المتكلم وإنَّما هو تعليل العمليات الذهنية التي تمكن الإنسان

التكلم بجمل جديدة لاستكشاف الكفاية التي يمتلكها المتكلم ـ المستمع ؛ فأصبحت هذه النظرية تنعت بالنظرية النموذجية. يراجع دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات ص 25 و 26 .

[7]ـ يراجع أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث ص 21 .

ومفهوم التحويل والتوليد والبنية السطحية والعميقة الذي ارتبط ظهورها بالمدرسة التحويلية التوليدية على يد تشومسكي يقترب من مفهومه في الدرس العربي القديم دون التصريح به، يراجع التحويل في النحو العربي مفهومه ـ أنواعه ـ صوره البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة ص 45 .

واضع المنهج البنيوي هو(دي سوسور) وقد جاء كرد فعل على المنهج المقارن التاريخي في دراسة النصوص النحوية ومن مبادئه: تقديم مهارات الاتصال الشفهي في تسلسل متدرج من خلال تبادل الأسئلة بين المعلم والمتعلم، وأيضا تعليم النحو عن طريق الاستنباط من خلال النطق، يراجع دروس في اللسانيات التطبيقية ص32.

[8]ـ يراجع التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني ص 229.

[9]ـ يراجع التداولية عند العلماء العرب ـ دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ص 52 .

[10]ـ التحويل في النحو العربي مفهومه ـ أنواعه ـ صوره البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة ص 218

[11]ـ يراجع كتاب سيبويه ج1/ 25ـ26، و يراجع البنية التركيبية للحدث اللساني ص30 ، و التعبير الزمني عند النحاة العرب ـ منذ نشأة النحو حتى نهاية القرن الثالث الهجري ـ دراسة في مقاييس الدلالة على الزمن في اللغة العربية وأساليبها1/ 72.

[12] ـ يراجع البنية التركيبية للحدث اللساني ص30، وفي رحاب اللغة العربية ص 169، و النحو والاتجاه العقلي بين الجرجاني وتشومسكي ص 365،كمال عطاب أعمال ندوة تيسير النحو المنعقدة في 23ـ24 ابريل 2001 بالمكتبة الوطنية بالحامة منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر 2001م.

[13]ـ يراجع دراسات في اللسانيات التطبيقية ـ حقل تعليمية اللغات ـ ص 26 .

[14]ـ يراجع البنية التركيبية للحدث اللساني ص41ـ42 ، و النحو والاتجاه العقلي بين الجرجاني وتشومسكي ص 357 كمال عطاب أعمال ندوة تيسير النحو المنعقدة في 23ـ24 ابريل 2001 بالمكتبة الوطنية بالحامة منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر 2001م.

[15]ـ يراجع النحو والاتجاه العقلي بين الجرجاني وتشومسكي ص 362 كمال عطاب أعمال ندوة تيسير النحو المنعقدة في 23ـ24 ابريل 2001 بالمكتبة الوطنية بالحامة منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر 2001م، والتراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني ص 229، والتحويل في النحو العربي مفهومه ـ أنواعه ـ صوره البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة ص 104.

[16]ـ يراجع التحويل في النحو العربي مفهومه ـ أنواعه ـ صوره البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة ص 68.

[17]ـ يراجع التحويل في النحو العربي مفهومه ـ أنواعه ـ صوره البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة ص 105.

[18]ـ يراجع و التحويل في النحو العربي مفهومه ـ أنواعه ـ صوره البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة ص 147، والنظام النحوي العربي بين الخطاب الفلسفي والخطاب التعليمي ص 409 أحمد حساني أعمال ندوة تيسير النحو المنعقدة في 23ـ24 ابريل 2001 بالمكتبة الوطنية بالحامة منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر 2001، و علم اللسان العربي فقه اللغة العربية ص362 ، و النواسخ الفعلية والفرعية دراسة تحليلية مقارنة ص 9 و 246.

[19]ـ يراجع زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته ـ دراسات في النحو العربي ص 44ـ45. والتعبير الزمني عند النحاة العرب ـ منذ نشأة النحو العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ـ دراسة في مقاييس الدلالة على الزمن في اللغة العربية وأساليبها 1/ 120، و التحويل في النحو العربي مفهومه ـ أنواعه ـ صوره البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة ص 147، و ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم ص 22 .

وذهب **تمام حسان** إلى أنَّها أدوات لأداء وظيفة التعبير عن الجهة لا أفعال، يراجع مناهج البحث في اللغة ص 209.

[20]ـ البقرة: 85

[21]ـ يراجع التحويل في النحو العربي مفهومه ـ أنواعه ـ صوره البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة ص 149.

[22]ـ يراجع زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته ـ دراسات في النحو العربي ـ ص 75ـ79.

[23]ـ **جهات الماضي هي**: الماضي البسيط، المؤكد، والمتصل بالحاضر، والمنقطع، والاستمراري، والاستقبالي، والشروعي، والمقاربي، اما جهات الحاضر هي : الحال العادي، والاستثماري، والحكائي، اما جهات المستقبل فهي: المستقبل البسيط، والقريب، وفي الماضي، والاستمراري، والمقاربي. يراجع زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته ـ دراسات في النحو العربي ـ ص 103ـ104، ومعاني النحو 3/ 308ـ 319 .

[24]ـ قرائن المعنى عند النحاة ص 66 مسعود بودوخة أعمال ندوة تيسير النحو المنعقدة في 23ـ24 ابريل 2001 بالمكتبة الوطنية بالحامة منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر 2001م.

[25]ـ **الزمن** هو الوقت النحوي الذي يعبر عنه بالفعل الماضي والمضارع تعبيرا لا يستند إلى دلالات زمنية ، **والجهة** ما يشرح موقفا معينا في الحدث الفعلي نحو التعدي واللزوم؛ إذ يفرق بينهما بالهمز والتشديد نحو: (شاعً وأشاَّع) ، يراجع مناهج البحث في اللغة ص 209و 214 .

[26]ـ وقد أرجع **عبد الله بوخلخال** سبب هذا التقسيم إلى أنّه من اللغات السامية القديمة مالا يدل في الأصل على الأزمنة بالمعنى الدقيق لمصطلح الزمن، والزمن فيها يعني تمام حدوث الحدث أو عدم تمامه، ثم لما تطورت هذه اللغات اهتمت بتحديد الوقت بإضافة أدوات خاصة وأفعال مساعدة. يراجع التعبير الزمني عند النحاة العرب ـ منذ نشأة النحو العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ـ دراسة في مقاييس الدلالة على الزمن في اللغة العربية وأساليبها 1/ 24و32 .

[27]ـ يراجع زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته ـ دراسات في النحو العربي ـ ص 75ـ79، و التعبير الزمني عند النحاة العربـ منذ نشأة النحو العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ـ دراسة في مقاييس الدلالة على الزمن في اللغة العربية وأساليبها 1/ 131.

[28]ـ يراجع التعبير الزمني عند النحاة العرب ـ منذ نشأة النحو العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ـ دراسة في مقاييس الدلالة على الزمن في اللغة العربية وأساليبها 1/ 38.

[29]ـ **الأضداد** تدل على المعنى وضده، يراجع التعبير الزمني عند النحاة العرب ـ منذ نشأة النحو العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ـ دراسة في مقاييس الدلالة على الزمن في اللغة العربية وأساليبها 1/ 64.

[30]ـ النجم: 53، ويراجع الزمن في القرآن الكريم دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه ص 14ـ15.

[31]ـ يراجع الزمن في القرآن الكريم دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه ص 14ـ15، وزمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته ص38.

[32]ـ يراجع زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته ص38.

[33]ـ يراجع معاني النحو 2/ 206.

[34]ـ يراجع التحويل في النحو العربي مفهومه ـ أنواعه ـ صوره البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة ص 131 .

[35]ـ يراجع التعبير الزمني عند النحاة العرب ـ منذ نشأة النحو العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ـ دراسة في مقاييس الدلالة على الزمن في اللغة العربية وأساليبها 1/ 35 .

[36]ـ **النحو عند الأصوليين** ليس منظومة من القواعد المجردة فقط بل هو أيضا لفظ معين يؤديه متكلم معين في مقام معين لأداء غرض تواصلي معين . يراجع التداولية عند العلماء العرب ـ دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ص 174.

[37]ـ **الأصوليون** هم الذين استنبطوا من الصيغ الإنشائية لاسيما الأمر والنهي أفعالا متضمنة في القول عن الأفعال الكلامية الأصلية نحو الإذن والإباحة والكراهة وغيرها ، وقد اعتبر نحو الأصوليين نحو دلالة. يراجع التداولية عند العلماء العرب ـ دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ص 109 و 131.

[38] ـ يراجع الزمن في القرآن الكريم دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه ص 126، و زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته ص 5، ومن أسرار اللغة ص 143.

[39] ـ يراجع شرح كافية ابن الحاجب ص296، والكافي في التصريف ص 117، ويراجع الزمن في القرآن الكريم دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه ص 126، يراجع زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته ص5ـ 6، يراجع مفاتيح اللغة العربية ص 65.

ويذهب **عبد الله بوخلخال** إلى أنَّ الأمر في اللغة العربية يشبه الأمر في اللغة العبرية فهو مأخوذ من الفعل المضارع بحذف حرف المضارعة. يراجع التعبير الزمني عند النحاة العرب ـ منذ نشأة النحو العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ـ دراسة في مقاييس الدلالة على الزمن في اللغة العربية وأساليبها 1/ 144.

كانت **صيغة فعل الأمر (إفعَل)** محل خلاف بين البصريين والكوفيين؛ فالنحاة البصرة يعدونه قسيما للفعل الماضي (فعَلَ) ويشترك مع المضارع في الزمن المستقبل وزمانه عند الكوفيين مقتطع من الفعل المضارع (يفعَلُ). يراجع التعبير الزمني عند النحاة العرب ـ منذ نشأة النحو العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ـ دراسة في مقاييس الدلالة على الزمن في اللغة العربية وأساليبها 1/ 33 .

[40] ـ الكافي في التصريف ص 117.

[41] ـ يراجع التعبير الزمني عند النحاة العرب ـ منذ نشأة النحو العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ـ دراسة في مقاييس الدلالة على الزمن في اللغة العربية وأساليبها 1/ 145 و 158.

[42] يراجع الزمن في القرآن الكريم دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه ص 38ـ39.

[43] يراجع المرجع نفسه ص 38ـ39.

[44] يراجع المرجع نفسه ص 126ـ127.

[45] ـ هود11/ 44

[46] يوسف12/ 87

[47] ـ يراجع التحويل في النحو العربي مفهومه ـ أنواعه ـ صوره البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة ص 78.

[48] ـ **والتحويل** كما عرفه **الحاج عبد الرحمان صالح** هو إجراء أو حمل شيء على شيء يراجع التحويل في النحو العربي مفهومه ـ أنواعه ـ صوره البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة ص 211.

[49] ـ يراجع التحويل في النحو العربي مفهومه ـ أنواعه ـ صوره البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة ص 47.

[50] ـ **والنّحو العربي** ـ حسب **عبد الرحمان الحاج صالح** ـ وضع على أسس ابستيمولوجية مغايرة لأسس اللسانيات البنيوية، كما أنَّ اللسانيات التوليدية التحويلية أخذت عن النحو العربي، منوها على عبقرية (تشومسكي) الذي استفاد من (الاجرومية العربية)؛ فأدخل في (التّحليل مفهوم التّحويل) القائم على أساس (البنية السطحية والعميقة) ليناظر(التّحويل التقديري في العربية). يراجع مقالات لغوية ص51، واللغة العربية آلياتها الأساسية وقضاياها الراهنة ص 105، والتحويل في النحو العربي مفهومه ـ أنواعه ـ صوره البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة ص 45.

والتقدير كما عرفه **عبد الرحمان الحاج صالح** هو أن نقدر بنية حسب ما يقتضيه القياس ، ونحاول أن نجد التحويلات التي توصلنا إلى المعيار الموجود. يراجع التحويل في النحو العربي مفهومه ـ أنواعه ـ صوره البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة ص 211.

[51] ـ يراجع دروس في اللسانيات التطبيقية ص36.

[52]ـ التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني ص 221و 227 .
[53]ـ يراجع التحويل في النحو العربي مفهومه ـ أنواعه ـ صوره البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة ص 46.
[54]ـ يراجع التحويل في النحو العربي مفهومه ـ أنواعه ـ صوره البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة ص 53 و54و 74 و 149 .
[55]ـ النجم:53
[56]ـ مريم :4
[57]ـ **التوزيع** هو الموقع الذي يحتله العنصر اللساني ضمن حواليته المعروفة ، وقد ظهر عند الغرب مع بلومفلد 1887م ـ1949م بظهور كتابه (le langue عام 1933م، حيث استلهم المعطيات النظرية لعلم النفس السلوكي وأسقطها على المنهج الوصفي اللساني فأقر مبدئيا أنَّ الجانب الدلالي في التواصل اللغوي لا تعدو إن تكون الموقف الذي يقوم فيه المتكلم بالإنتاج الفعلي للكلام ورد الفعل من قبل المستمع . يراجع دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات ص 20 ـ 21.
[58]ـ يراجع دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات ص 21، والتحويل في النحو العربي مفهومه ـ أنواعه ـ صوره البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة ص 60، ويراجع النظام النحوي العربي بين الخطاب الفلسفي والخطاب التعليمي ص 405، أحمد حساني أعمال ندوة تيسير النحو المنعقدة في 23ـ24 ابريل 2001 بالمكتبة الوطنية بالحامة منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر 2001م.
[59]ـ البقرة : 184
[60]ـ يرى رابح بومعزة أنَّ استبدال المصدر الصريح بالمؤول هو تصور غير دقيق لعدم وجود تطابق تام بينهما. يراجع التحويل في النحو العربي مفهومه ـ أنواعه ـ صوره البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة ص 61.
[61]ـ يراجع دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات ص 22 ، و يراجع النظام النحوي العربي بين الخطاب الفلسفي والخطاب التعليمي ص 405، أحمد حساني أعمال ندوة تيسير النحو المنعقدة في 23ـ24 ابريل 2001 بالمكتبة الوطنية بالحامة منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر 2001
62 ـ مريم :46
[63]ـ يراجع التحويل في النحو العربي مفهومه ـ أنواعه ـ صوره البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة ص 69.
[64]ـ يراجع دراسات في اللسانيات التطبيقية ـ حقل تعليمية اللغات ـ ص 23.
[65]ـ يراجع المنهج اللغوي العربي والبحث اللساني دراسة مقاربتية في اللسانيات وأصول النحو ص 18.
[66]ـ يراجع دروس في اللسانيات التطبيقية ص33، ودراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات ص 23، ويراجع النظام النحوي العربي بين الخطاب الفلسفي والخطاب التعليمي ص 403، أحمد حساني أعمال ندوة تيسير النحو المنعقدة في 23ـ24 ابريل 2001 بالمكتبة الوطنية بالحامة منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر 2001م.
[67]ـ يراجع المنهج اللغوي العربي والبحث اللساني ص 63.
[68]ـ يراجع المرجع نفسه ص 63، ويراجع النظام النحوي العربي بين الخطاب الفلسفي والخطاب التعليمي ص 393 ـ 394، احمد حساني أعمال ندوة تيسير النحو المنعقدة في 23ـ24 ابريل 2001 بالمكتبة الوطنية بالحامة منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر 2001م.
[69]ـ يراجع مقالات لغوية ص ـ39ـ42 ط 2009 ، ويراجع النحو العربي بين التعصير والتيسير ص117 يحي بعيطيش أعمال ندوة تيسير النحو المنعقدة في 23ـ24 ابريل 2001 بالمكتبة الوطنية بالحامة منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر 2001م.
[70]ـ يراجع التحويل في النحو العربي مفهومه ـ أنواعه ـ صوره البنية العميقة للصيغ والتراكيب المحولة ص 27 .

[71]ـ يراجع مقالات لغوية ص 44.

[72]ـ يراجع مقالات لغوية ص 44، وعلم اللسان العربي فقه اللغة العربية ص 351.

[73]ـ الفاتحة: 5

[74]ـ الأنفال: 33

المنهج النحوي عند ابن جنّي
من خلال كتابه المحتسب "سورة الفاتحة أنموذجا"

فايزة حريزي

جامعة البليدة -2 -علي لونيسي

ملخص البحث:

المنهج النحوي هو تلك طرق الاستدلالية التي اعتمدها اللغويين والنحويين في استخراج القواعد اللغويّة ولكن ابن جنّي استعان بها في توجيه وتبيين والانتصار للشاذ من القرآن في كتابه المحتسب و التي من خلال اعتماده في توجيه الشاذ من القرآن مثل ما هو مبيّن من خلال سورة الفاتحة التي أخذت كأنموذجا بحيث تميّز عنده بنوع من الخصوصيّة دون غيره ،حيث كان مزيجا من التيارات الفكرية المختلفة مثل الفقه و المنطق وغيرها و لم يكن نحويا خالصا مثل ما هو عند بقيّة اللغويين .

الكلمات المفتاحيّة:المنهج ، النحوي ، ابن جنّي، كتابه ، المحتسب ، الفاتحة ، أنموذجا.

Summary in a foreign language :

linguists that grammarians in the extraction of linguistic rules , but I'm reaping hired them to guide and demonstrate the victory of an anomaly of the Koran in his injury and that ,
by adopting the abnormal
orientation of the Koran , such as what is shown by Al-Fatihah which took Konmozja to distinguish him the kind of privacy without the other , which was a combination of the different currents of thought and logic , such as Fiqh and others and was not grammatically pure like what is in the rest of linguists .

Keywords : curriculum , grammar , son -taking , writing , injury , light , model .

تمهيد:

يعتبر كتاب المحتسب من كتب الذي جسد فيه لغوي ابن جنّي المنهج النحوي وأخذ سمة الخصوصيّة و تميّز به دون غيره من اللغويين وهذا ما سيظهر من خلال الإجابة عن الإشكال المطروح و الذي يتفرع إلى مجموعة من الأسئلة بحيث يقوم على التساؤل عن طبيعة هذا المنهج عند ابن جنّي من خلال كتابه المحتسب بحيث أخذت الفاتحة كأنموذج .

1-تعريف المنهج النحوي:

1-1- تعريفه:

***لغة**: لقد جاء في لسان العرب في مادة نهج : طريق نهجبيّن واضح وهو النّهج: وطُرُق نهجة،وسبيل منهج، كالمنهج، ومنهج الطريق: وُضوحهُ والمنهاج كالمنهج .

وأنهج الطّريق: وضّح واستبان وصار نهجا واضحا بيّنا، قال يزيد بن الحذاق:

وَلَقَدْ أَضَاءَ لَكَ الطَّرِيقَ وَ أَنْهَجَتْ   سَبِيلُ المَكَارِمِ وَ الهُدَى تَعَدَّى

والمنهاج الطّريق: الطّريق الواضح واستنهج الطّريق صار نهجا وفلان يستنهج فلان، أي يسلك مسلكه.

قال ابن الأعرابي:

أَنْــهَـجَ فِـيـه الـبَـلَـى أَعْلاَ   عَلَى ذِي الحِيلَةِ الصَّانِعُ

ولا يُقال: نهج الثّوب ، ولكن نهج وأنهجت الثوب وهي منهج أي أخلقته، قال أبو عبيدة ابن المثنى(ت 209م): الثوب المنهج الذي أسرع فيه البلى[1].محرّكة، من شدّة الحركة، يعلو نفس الإنسان والدّابة.قال الليث:ولم أسمع منه فعلا، وقال غيره:(الفعل) (كفرح وضرب).

وأكرم وفي الحديث:أنّه رأى رجلا ينهج، أي يرجو من السن ويلبث، نهجت أنهج نهجا ونهج الرّجل نهجا، وأنهج ينهج انهاجا وفي التهذيب: نهج الإنسان والكلب: إذا ربا وانبهر بنهج نهجا، قال ابن برزخ: إروت حتى نهجت، وهي ناهج في شدة نفسها، وأنهجتها أنا وهي مُنهجه، قال شُميل:إنّ الكلب ينهج من الحرّ، وقد نهج نهجة ، وقال غيره نهج الفرس حين أنهجتّه أي ربا حين صبّرته إلى ذلك وأنهج الأمر الطّريق(وضّح) وأنهج (أوضح) .

واستنهج الطّريق:صار نهجا واضحا بيّنا(كأنهج) الطّريق إذا وضُح واستبان[2].

***تعريفه اصطلاحا:**

هو مجموع الأصول النحويّة المنهجية التي قامت عليها القواعد النحوية ، والتي اتّبعها ابن جنّي من ناحية التفرّد والجمع والكثرة والرّبط، وتمثل عنده صميم التشذيذ وتضعيف لكثير من القراءات كما سنرى من خلال المدونة، ونجد المدونات القديمة اتخذتها الأساس الأول لبنائها ممّا يدلّ على أنّ المنهج النحوي ،هو مشترك بين القدماء في المعنى في أغلب الأحيان، لكن التنوع في الاستعمال والمقدار جعل المنهج النحوي يختلف من عالم إلى آخر في اللّغة والنّحو[3].وهذا قصدنا عند ابن جنّي ولكن المنهج النحوي عند آخرين هو كيفية استعمال القواعد النحوية ونظرة النحاة إليها والتي تختلف كذلك من عالم إلى آخر وهو شائع بين مستعملي مصطلح المنهج النحوي،ولكن قصدُنا في هذا البحث هو الأصول النحوية وكيفية توظيفها في قراءة التراث[4] وإيضاحه وتوجيهه وأصول النحو كما هي معروفة أدلّة النحو.

2-بوادر المنهج النّحو العربي:

كان منذ بداية الحركة النحويّة ما يعرف بأصول التفكير النحوي، وهذا المصطلح الذي نستخدمه ونقصد به دراسة الخطوط الرئيسيّة العامة التي سار عليها البحث النحوي.

والتي أثرت في إنتاج النحاة وفكرهم على السّواء، وهذه الخطوط العامة قديمة جدّا في البحث النحوي العربي، منذ أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني.

أمّا علم أصول النّحو فهو المحاولة المباشرة من النحاة لدراسة هذه الخطوط التي اتبعت في الإنتاج النحوي ،وأمّا محاولة السيوطي فهي محاولة متأخرة بفترة طويلة وهو يقول "طريق المبنى ولم تسمح قريحة بمثاله ،ولم ينسخ ناسخ على منواله في علم لم أُسبق إلى ترتيبه ولم أتقدّم إلى تهذيبه وهو أصول النحو الذي هو إلى النحو كأصول الفقه بالنسبة إلى الفقه، وإن وقع في مُتفرقات كلام بعض المؤلفين وتشتّت في أثناء كتب المُصرّفين، فجمعه وترتيبه مخترع وتأصيله وتبويبه وضع مبتدع لأبرز في كلّ حين للطّالبين ما تبتهج به أنفس الرّاغبين"[5].

وهو يرى أنّ له سبق الإبداع في وضعه لعلم أصول النّحو الذي لم يسبقه أحد ولم ينسخ مثله أو على منواله أحد، فهو يُقرّ بعدم اطّلاعه ولا اعتماده على كُتب السّابقين له أمثال: ابن جنّي وابن الانباري ولكن "السيوطي" ادعى أنّه لم ير كتاب اللّمع لابن الأنباري ولم يطّلع عليه: إلاّ بعد فراغه من كتابه وفي هذا تناقض في قوله، إذ أنّ السيوطي يصرّح أنّه لم يطّلع على كتاب ابن الأنباري إلاّ بعد فراغه من كتابه، ثم يرى أنّه استفاد منه ولكن القصد وفيما يبدو هنا أنّه لم يطلع على كتاب اللّمع إلاّ بعد الفراغ من كتاب الاقتراح، فهو لم ينف الاستفادة مطلقا من كتاب اللّمع[6]، ويُقرّ كذلك باعتماده على الخصائص[7]، ولكن " غير أنّ كتاب الخصائص وإن تناثرت فيه المباحث ومسائل أصول النحو وطغت عليه الأمثلة المستقاة من النحو والصّرف وفقه اللغة، قد تضمن كثيرا من مسائل أصول النحو وأدّلته،وقد استند ابن الأنباري والسيوطي إليها في تأليف كتابيهما ولم يخفيا ذلك"[8]وثمة مفهومان لأصول النّحو:

1) -يعني القواعد الأساسية التي يقوم عليها النحو العربي، ويمكن اعتبارها كمعيار أساسي للحكم على صواب هذا الكلام أو خطأه.
2) -يعني "أدّلة النّحو التي تفرّعت منها فروعه وفصوله، كما أنّ أصول الفقه أدلّة الفقه التي تنوّعت عنها جملة وتفصيلا،وفائدته التعويل في إثبات الحكم على الحجة والتعليل والارتفاع عن حضيض التقليد إلى يفاع الاطلاع على الدّليل، فإنّ المخلد إلى التقليد لا يعرف وجه الخطأ من الصّواب، ولا ينفك في أكثر الأمر عن عوارض الشك والارتياب[9].

ولكن نستنتج مما سبق أنّ أصول النّحو ما هي إلا الأسس المنهجية والأدّلة الإجمالية التي قام عليها علم النّحو.

وأنّ علم أصول النّحو مبادئه متقدمة ولكن وجوده كعلم كان متأخر، فمن الناحية التطبيقية وجد منذ وجود النّحو نفسه وتطبيق أصوله وأسسه قديمة قدم النّحو لأنّه كما يقال ويعرّفه محمد العيد بأنّ " أصول النحو يُراد بها الأسس التي بني عليها هذا النّحو في مسائله المتنوعة وتطبيقاته التي استطاعت توجيه عقول النحاة في آرائهم وخلافهم ووحدتهم، وكانت هذه المسائل والتطبيقات لمؤلفاتهم أساسية لا سبيل إلى التخلي عنها أو تجاوزها"[10] .

ويعرّفه السيوطي بقوله بأنّه :"بحث فيه عن أدّلة النّحو الإجمالية من حيث هي أدلته وكيفية الاستدلال لها وحال المستدل"[11] .

وترى خديجة الحديثي أنّ:"هذا كتاب سيبويه أقدم ما وصل إلينا من كُتب النّحو وقد جمع في مؤلفه أكثر علوم العربية كالأصول اللغوية والصّرف والنّحو والقراءات والضرورات الشعرية، ويُعدّ أهم مصدر في دراسته النّحو العربي الذي تضافرت على بنائه الأجيال وإليه يرجع الدّارسون في كلّ ما يكتُبون عن النّحو وأصوله وعن الأساليب العربية"[12] . وتقول كذلك في حديثها عن استصحاب الحال " يظهر هذا أنّ سيبويه استفاد من هذا الأصل كثيرا، واعتمد عليه اعتمادا كبيرا، وتستطيع أن تستنتج منه:أنّه أحد الأدلة المعتبرة في نظره كالسّماع والقياس وإن كان أضعف منها،لأنَّ ما كان فيه دليل عن سماع أو قياس على نص مسموع معتبر صحيح هو الأصل في الكتاب ومع ضعف هذا الأصل فنحن نراه يبني كثيرا من الأحكام ويضع العديد من القواعد معتمدا عليه، كما يرد بعض أراء النحاة أو يضعها أو يمنعها مُستندا في ذلك إليه"[13] .

وكما هو معروف فإنّ مصطلح الأصل هو الدّعامة التي يتركز الشيء عليها والقاعدة التي تجمع عناصر الشيء المتعدّدة والأجزاء المختلفة[14] .

ولقد ظهر مصطلح الأصول في أوّله في بيئة علماء الفقه قبل ظهوره في بيئة علماء النحو،وأصول الفقه نشأ في أوجّ الحضارة العربية الإسلامية، وقصد منه وضع القوانين التي يتأسّس عليها استنباط الأحكام التي تتجدّد بتجدد الأحداث والوقائع، وذلك بحسب اختلاف الظروف[15] .

وهناك علاقة وطيدة بين علم أصول الفقه وعلم أصول النّحو: يتّضح من خلال المؤلّفات في الفقه(في علم أصول الفقه) والمؤلفات النحوية المُخصّصة لأصول النّحو علاقة واضحة وذلك من خلال المصطلحات، بحيث تظهر كتأثير مباشر للفقه في أصول النحو "فالمصطلحات النحوية المأخوذة من القرآن الكريم وفي الأقوال المذكورة لبعض أعلام النحو، ناهيك عن العلاقة بين علم النّحو وعلم أصول الفقه وثيقة الصلة بينهما وبين غيرهما من العلوم والفنون مثل: علوم الكلام واللغة والحديث والقراءات"[16] .

وأصول الفقه كان منشأها على يد الشافعي التي يرى **سعيد شنوفة أنّه**:"ازدادت المناهج تميزا في عهد الأئمة المجتهدين إلى أن جاء الإمام الشافعي (150 هـ- 204 هـ) فوجد أمامه ثروة كبيرة خلّفها صحابة

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكابر التابعين، ومن سبقهم، فعمل على تدوين القواعد التي ارتكزت عليها وهي التي عرفت بعد ذلك بأصول الفقه"[17].

ويقول محمد الحباس أنّه:" إذا اعتبرنا أصول النّحو هي الكليات العامة التي تتفرع عنها الجزئيات،وخاصة ما يتعلق منها بأدّلة النّحو التي استنبطها النحاة وكانت مشابهة لأدّلة الفقه، إذا اعتبرنا هذا فإنّ تطبيق هذه النظرية نجده في زمان مبكر خاصة مع مجيء عبد الله ابن أبي إسحاق واهتمامه بالقياس والقياس من صميم الدّراسات الأصولية، كما أنّ أبا عمرو بن العلاء يعتبر ممّن أسسوا فن السماع وطُرق جمع اللّغة، وهذا مبحث أصولي كذلك"[18].

وهذه المشابهة التي وجدت بين العلمين منطلقها التأثير الحاصل بين علم أصول النّحو وأصول الفقه.

والأئمة الأربعة كانوا قبل من كتبوا في الأصول وهؤلاء الأئمة:

- الإمام أبو حنيفة (80هـ - 150 هـ)
- الإمام مالك (95 هـ - 179 هـ)
- الإمام الشافعي (150 هـ - 204 هـ)
- الإمام أحمد بن حنبل (164 هـ - 241 هـ).

هؤلاء وضعوا علم أصول الفقه وأسّسوا قواعده، ويظهر ذلك بجلاء أنّ علم أصول الفقه سبق النّحو وأصوله، ومنه يتأكّد تأثير أصول الفقه في أصول النّحو،لأنّ علماء أصول الفقه هم أنفسهم النحاة في الغالب، بتلك المرحلة يذكر أحمد عمر المختار:"أنّ البحث النّحوي عند العرب لم يكن من الدراسات المبكّرة لأنّهم اهتموا بالعلوم الشرعية أولا ولمّا فرغوا منها اتجهوا إلى علوم أخرى"[19].

ولقد كان أوائل النحاة من القُرّاء أو ممّن اشتهروا بالدّراسات القرآنية كعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي(ت 117 هـ) وعيسى بن عمرو الثقفي(ت 149 هـ)وأبي عمرو بن العلاء(ت 154 هـ)والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170 هـ)ويحيى بن حمزة الكسائي(ت 170 هـ)ويحيى ابن زياد الفراء(ت 207هـ) وغيرهم من الكوفة، وهذا ما يجعلنا نستنتج حقيقة تأثر النحاة بأصول الفقه على اعتبار النحو وليد التفكير في القرآن الكريم، لأنّ هؤلاء لم ينكروا منذ البدء في دراسة علم يبحث في علل التّأليف وحدود أصولها، وإنّما توصلوا إلى ذلك بعد أن نضجت لديهم الفكرة وهم يقومون بعملهم القرآني ونريد أن نحصر جوانب التّأثير في موقفين:[20]

1) استعارة مصطلحات كثيرة من بعض المصطلحات الفقهية
2) القياس والتعليل ويمتد إلى مبادئ وأسس ثانوية أخرى[21].

نرى أنّ ابن جنّي في كتابه الخصائص قد صرّح بعلاقة أصول النحو بأصول الفقه وقارن بينهما في مقدمة كتابه الخصائص حيث قال في معرض حديثه عن سبب تأليف كتابه "وذلك لم نر أحدا من علماء البلدين تعرّض لعمل أصول النحو، على مذهب أصول الكلام والفقه"[22].

ويعتبر ابن السراج أوّل من ألّف في هذا أو أوّل مؤلف يحمل اسم هذا العلم وإن كان عنوانه يدل على أصول النحو إلاّ أنّ المضمون لا يحمل إلاّ الشيء القليل الذي يدلّ على أصول النّحو كما قال عنه ابن جنّي :" لم يلمم فيه بما نحن عليه إلاّ حرفا أو حرفين في أوّله"[23].

وكان هناك من قال شيئا في هذا الباب هو أبو الحسن الأخفش سعيد بن مسعدة (ت 210 هـ) في كتابه المقاييس والذي قارنه ابن جنّي بكتابه فقال عنه:"وإذا أنت قرنته بكتابنا هذا علمت بذلك أنّ نُبنا عنه وكيّفناه كفاية التعب"[24].

ومن يرى ويتصفّح كتاب ابن السراج يرى أنّ وُرود هذا العنوان كان عارضا لأنّ المضمون لا يحمل ولو بابا من أبواب أصول النحو.

ولكن بداية علم أصول النّحو كانت مع ابن السراج الذي يرى الدكتور سعيد شعبان " أنّه من محاولات هذا العلم المبكرة ما أورده ابن السراج في أصوله من إشارات وغيرها من أصول النحو"[25].

ابن السراج (ت316 هـ) يعتبر كتابه هذا الذي يحمل الأصول في النحو أوّل محاولة أو أوّل مؤلف يحمل عنوان هذا العلم، غير أنّه لم يدرس فيه منهج البحث النحوي أو يعرض أدلته التي تستنبط الأحكام النحوية وتقعدها.فما أورده لا يختلف في دلالته على ما أورده القدماء من دلالة على الأبواب النحوية والقواعد العامة التي تحكم هذا العلم و تمنهجه.

وهو ممّن أخذ عن الخليل ويوسف بن حبيب وعيسى بن عمر وسيبويه والأصمعي وأبي عبيدة والأخفش والمازني والمبرّد، ومعظم هؤلاء أخذ عنهم ابن السراج ونقلت عنهم الأجيال التي جاءت من بعدهم، ثم انتهت إليه رئاسة النحو بعد موت أبي العباس المبرد وموت الزجاج، وأصبح أستاذا يُرحل إليه ويُؤخذ عنه "[26] .

ويقول محقق كتاب ابن سراج كذلك:" ولقد بقي على كثرة ما قبله وبعده في النحو كتاب(الأصول) أوّل كتاب في مضماره، فقد أثنى عليه القدماء ووصفوه بأجمل الأوصاف مثل قولهم:أصبح المرجع إليه عند اضطراب النقل واختلافه وقولهم: كان النحو مجنونا فعقلّه ابن السراج بأصوله أو نصوا على أنّه أوّل كتاب جمع أصول العربية مُعتمدا على كتاب سيبويه، مُختصرا مسائله، مُرتّبا أبوابه أحسن ترتيب، مُعوّلا على مسائل الأخفش والكوفيين، مُخالفا لأصول البصريّين، وكذلك أنّه أوّل من بوّبها وهذّب مسائلها وبحثها بحثا علميّا مقارنا بين ما جاء في كتاب(تصريف المازني) وكتاب(المقتضب) للمبرد وكتاب الأخفش"[27].

وبالتالي فكتابه هو أوّل من حمل التسمية ولكن المعنى الحقيقي لأصول النحو سيكون في(4هـ)مع ابن جنّي من خلال كتابه الخصائص، إنّ مضمونه كان غير الأصول وهذا ما يتوضّح من خلال قول ابن جنّي:"فأمّا كتاب أصول أبي بكر فلم يلمم فيه بما نحن عليه إلا حرف أو حرفين في أوّله"[28].

وقد تعرّض ابن جنّي بتأليفه هذا " بالدّراسة لكثير من مباحث هذا العلم، فتحدّث عن السّماع والقياس والعلّة والإجماع وغير ذلك"[29].

وكان بحثه أعمق، إلاّ أنّه لم يُحسن تبويبها ولكن يستدرك هذا من يأتي بعده من العلماء[30].لأنّه يقول:" كتاب لم أزل على فارط الحال وتقادم الوقت، مُلاحظا له، عاكف الفكر عليه، منجد الرأي والرواية إليه وادا أن أجدَ مهملا أصله به، أو خللا ارتقه بمهمله والوقت يزداد بنوايه ضيقا ولا ينهج إلى الابتداء طريقا هذا مع إعظامي له، واعتصامي بالأسباب المنتاطة به، واعتقادي فيه أنّه من أشرف ما صُنّف في علم العرب، وأذهبه في طريق القياس والنظر، وأعوده عليه بالحيطة والصّون وأخذه له من حصّة التوقير والصون، وأجمعه للأدّلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة"[31].

وليس الغرض فيه " الرّفع والنّصب والجرّ والجزم لأنّ هذا الأمر قد فرغ في أكثر الكتب المصنّفة منه وهذا الكتاب مبني على إثارة المعاني وتقدير حال الأوضاع والمبادئ ولمن سرت أحكامها في الأنحاء والحواشي"[32].

ويأتي بعد هذا ابن الأنباري[33] (ت577) في رسالته الأولى:الإغراب في جدل الإعراب والثانية: لمع الأدّلة في علم أصول النّحو، وقدّم فيهما آراء مهمّة تخصّ هذا العلم والذي خصّه كذلك ببحوث مهمّة وإضافية موزّعة بين كتابيه أسرار العربية والإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيّين[34].

كذلك جاء بعد ابن الأنباري السيوطي بكتابه(الاقتراح في علم أصول النّحو) وبقيت فقط مسألة أثارت الجدل بين هؤلاء الثّلاثة:"وتثير الخلاف وهي تحديد أدلّة النحو وحصرها لأنّها موضوعات علم أصول النحو، وقد اختلف المشتغلون بأصول النّحو في تحديدها عددا ونوعا، فرأى ابن جنّي أنّها السّماع والقياس والإجماع، ورأى ابن الأنباري أنّها السّماع والقياس واستصحاب حال الأصل وجعلها السيوطي أربعة وهي: السماع والقياس واستصحاب حال الأصل والإجماع"[35].

ثم جاء اللغويون المحدثين فاختلفوا هم في تحديد أدّلة النحو كذلك استنادا إلى أراء القدماء فقال حلمي خليل ثلاثة وهي: السماع والقياس ونظرية العامل[36].

وقال محمد العيد في كتابه(أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأى ابن مضاء في ضوء علم اللغة الحديث) خمسة أصول هي:السماع والقياس ونظرية العامل والتقدير والتعليل[37] .

ويرى بن لعلام مخلوف بعد حديثه عن أصول النّحو وتعديدها وموقف العلماء من هذا الاختلاف بقوله:"وكان بإمكان المشتغلين بأصول النّحو القدماء والمحدثين تجنب كلّ هذه الاختلافات لو احتكموا إلى تعريف النحو في تعريف دقيق وجعلوه مقياسهم في القول بتلك الأدّلة، وعندئذ فإنّ كلّ ما يستعان به على استنباط الأحكام والاستدلال عليها وإثباتها يُعدّ أصلا ودليلا من أدلّة النحو،وقد أجمعوا على السّماع والقياس، واختلفوا في غير ذلك لأنّ التقدير والعامل واستصحاب حال الأصل والعلة في غالب الأحيان مردُّها جميعا إلى القياس، فالتقدير نفسه يقوم على القياس بل هو إجراء لعملية قياسيّة"[38].

والفرق بين الكتابين(الخصائص) و(لمع الأدّلة) يكمن في أنّ ابن الأنباري لم يأت فيه بجديد سوى التبويب والترتيب والاختصار،كما يظهر تأثره بأصول الفقه واضحا بخلاف كتاب(الخصائص) الذي يظهر فيه ابن جنّي أصيلا، رغم أنّه لم يخف تأثره بأصول الفقه كما يظهر الفرق بينهما من جهة ثانية وهي أنّ(الخصائص) لم يُخصّص لأصول النحو كاللمع بل وجدنا فيه ابن جنّي يسترسل في شرح الأمثلة حتى يُنسيك الأصل الذي من أجله عقد الباب، يظهر هذا جليا في جل الأبواب"[39].

ويرى محمد الحباس:"ولعلّ ما جعل ابن الأنباري يدّعي الأسبقية في وضع أصول النّحو، لأنّه لم يكن يعتقد أنّ كتاب(الخصائص) في صميم هذا العلم، ولأنّه كان يعتقد أنّ أصول النحو يجب أن تكون تابعة في المنهجية والترتيب لأصول الفقه، فلما لم يجد ذلك عند ابن جنّي أعلن الأسبقية في ذلك"[40].

وعندما أتى السيّوطي بعد 3 قرون من بعد ابن الأنباري بكتابه إدّعى أنّ له سبق في وضع هذا العلم وهذا ما يظهر من خلال مقدمة الاقتراح،حيث يقول:"هذا الكتاب غريب الوضع، عجيب الصّنع، لطيف المعنى"[41].

***المنهج النحوي عند ابن جنّي من خلال الآية 02 ،05 ، 07)من سورة الفاتحة من كتابه المحتسب:**

القراءة المشهورة "ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ "[42]وقراءة أهل البادية "الحَمدُ لُلَّه" بضم.

وردت حسب ابن جنّي ومن عاصرهم بكسر الدال واللام " الحَمدِ لِلَّه "[43]كذلك.

وكما يقول صاحب المحيط أنّ:" الجمهور قرأ بضم الدال الحمد وأتبع إبراهيم ابن عبلة لام الجر لضمة الدال كما أتبع الحسن وزيد بن علي كسرة الدال لكسرة اللام وهي الأغرب، لأنّ فيه إتباع حركة المعرب لحركة غير إعراب والأول بالعكس، وفي قراءة الحسن احتمال أن يكون الإتباع في مرفوع أو منصوب ويكون الإعراب إذ ذاك على التقديرين مقدرا منه ومن ظهوره شغل الكلمة بحركة الإتباع والمدغم"[44].

ويصف صاحب تفسير البحر المحيط هذه القراءة الشاذة في حالة الكسر بالأغرب وفي الغربة خروج عن المألوف، "الحمدُ لُلّهِ"حسب الأخفش الأوسط: فرفعه على الابتداء وذلك أنّ كل اسم ابتداء لم يقع عليه فعلا من بعده فهو مرفوع، وخبره إن كان هو أيضا مرفوع، نحو قوله: "مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ"[45] و"ما أشبه ذلك وهذه الجملة تأتي على ما في القرآن من المبتدأ، فافهمها[46].

وحكم ابن جنيّ على هذه القراءة بالشذوذ مباشرة وهي حسبه شاذة قياسا واستعمالا بعكس ما سنرى في النماذج الأخرى من القراءات الشاذة نادرا ما يحكم عليها بالشذوذ مباشرة وإنّما بعد التعليل يطلق الحكم.ولكنه يعلل ويكشف عن السبب الذي جعل هذا اللفظ يتردد في كلام العرب بقوله:"وهم لما كثر في استعمالهم أشد تغييرا "[47].

وهذه القراءة أدرجوها في المرتبة الرابعة من الشاذ الذي يكون قياسا واستعمالا والذي هو خارج عن قواعد العامة المبنية على الأعم والأشمل.

وحمل هذه القراءة على ما ورد في كلام العرب بقوله كما جاء عنهم: " لم يك، ولا أدر ولم أبل، وأيش تقول، وحايجي، وساير بحذف همزتيهما "[48].وهذه الكثرة في الاستعمال حسب ابن جنّي هي التي جعلتهم يتبعون "أحد الصوتين الآخر"[49].وهذا التعليل لجعل " الحمدُ لُلّه" كجملة واحدة وإن كان فيها مبتدأ وخبر هو الكثرة في الاستعمال.

ولها ما يقابلها في السماع فهي كعُنق وطنُب وكذلك:"الحمدِ لِلَّه " كإبِل وإطِل[50]. وفي الموضع جمع بين الأدّلة[51]، وهدفه من هذا حتى يكشف عن الوجه الحقيقي لهذه القراءة الشاذة وكذلك هو يعدد الأدّلة للإقناع وتبيين وجه قوتها في العربية.

وهو لا يكتفي بهذا التوجيه بل يفاضل ويرجح بين القراءتين ويعلل كذلك هذه المفاضلة بين القراءتين بحيث يرى أنّ: " الحمدُ لُلّه" بضم الحرفين أسهل من " الحمدِ لِلَّه" بكسرهما من موضعين[52].

وذلك أنّه:" إذا كان إتباعا فإنّ أقيس الإتباع أن يكون الثاني تابعا للأول وذلك أنّه جار مجرى السبب والمسبب، وينبغي أن يكون السبب أسبق رتبة من المسبب "[53].

وفي هذا لم يكتف بالتعليل النحوي الذي عاهدناه منه بل تعدى ذلك إلى التعليل المنطقي ويظهر من خلال طريقة الاستدلال والمصطلحات المنطقية الموظفة في قوله.

إذن فالسبب والمسبب من المصطلحات المنطقية المحضة وحتى الطريقة الاستدلالية تحمل صبغة منطقية وبناء على التعليل المنطقي تكون ضمة اللام تابعة لضمة الدال كما تقول مدُّ وشدُّ وشمَّ وفرِّ"[54]، فتتبع الثاني الأول والتمس لها ما يناسبها من كلام العرب في إتباع الثاني للأول في حالة الضم والنصب وحتى الكسر وذكرها مرتبة وحسب حرمة كل علامة.

وهو يفاضل كذلك بين الإتباع الثاني للأول والأول للثاني بقوله:" وهذا أقيس من إتباعك الأول للثاني في اقتل وأدخل، ومع هذا فإنّ هذا الإتباع أعنّي اقتل، بابه لا يكاد يعتد "[55].فالإتباع الثاني للأول أقيس من الأول للثاني لأنّه لا يعتد به والمثال يوضح، ذلك باعتبار: "أنّ الوصل هو الذي عليه عقد الكلام واستمراره، وفيه تصح وجوهه ومقاييسه وأنت إذا وصلت سقطت الهمزة"[56].

ويعلل هذه المفاضلة من باب الوصل الذي يبني عليه عقد الكلام واستمراره ثم يؤكد أنّ الإتباع الثاني للأول أقيس من خلال قوله "مدُّ أقيس إتباعا من أقتل، ويضيف كذلك تأكيدا للعلة المنطقية بقوله: السبب أسبق رتبة من المسبب"[57].في التعليل على المفاضلة جمع بين العلة المنطقية والعلة النحوية في الموضع الأول ويعلل كذلك المفاضلة والترجيح لـ: " الحمدُ لُلّه " على "الحمدِ لِلَّه " بحيث " أنّ ضمة الدال في الحمد إعراب، وكسره للام في الله بناء، وحرمة الإعراب أقوى من حرمة البناء، فإذا:" الحمدُ لله فقربت أن يغلب الأقوى الأضعف "[58].

في التعليل النحوي تدرج في ذكر العلل النحويّة بمراتبها، وهو في هذا جمع بين العلل مما يدل على أنّ التعليل أخذ حظه في توجيه الشاذ من القراءات عند ابن جنّي وهذا ما سنراه من خلال

صفحات الكتاب.وهذا الإتباع في الإعراب والبناء هو حملا على ما ورد في كلام العرب حيث قال بعضهم:

اضرِب السَاقَيْن إمِّك هَابِل[59].

ويرى ابن جنّي هذا:نحو "الحمدُ لُلّه" و"الحمدِ لِلّه" وجميع ما في هذه حاله مما قرب فيه الصوت من الصوت جار مجرى الإدغام بما ذكرناه من التقريب، وإنّما احتطنا بهذه السمة التي هي، الإدغام الصغير لأنّ في هذا إيذانا بأنّ التقريب شامل للموضعين وأنّه هو المراد المبغي في كلتا الجهتين فاعرف ذلك"[60].وكان كسر " إمِّك" هناك إتباعا لكسر الهمزة، والإِم لغة في الأم، وهذا هو السماع الذي التمسه ابن جنّي لتوضيح وجه هذه القراءة الشاذة التي قرأ بها كما يقول ابن جنّي: "إبراهيم بن عبلة "[61].

بسبب إجراء " الحمد لله " مجرى الجزء الواحد بجزأيها هو: " شدة الاتصال المبتدأ بخبره "وهذا حملا على: تأبط شرا، نقول تأبطي وقولهم في رجل زيد أخوك:زيدي، وحذفوا الجزء الثاني، كما يحذفون الجزء الثاني من المركب نحو قولهم في حضر موت: حضرمّي، وفي رام هرمز:راميّ، وكما يقولون أيضا في طلحة طلحيّ، فاعرف ذلك دليلا على شدة اتصال المبتدأ بخبره وما علمت أحدا من أصحابنا نحا هذا الموضع على وضوحه لك وقوة دلالته على ما أثبته في نفسك "[62].

ويرى سعيد بن مسعدة " أنّ بعض العرب قد قالت(الحمد لله) فكسر، وذلك أنّه جعله بمنزلة الأسماء التي ليست بمتمكنة تحرك أواخرها حركة واحدة، لا تزل علّتها نحو:(حيث) جعلها بعض العرب مضمومة على كل حال، وبعضهم يقول: (حيثَ) و(حيثُ) فتح وضم"[63].وذكر ابن جنّي لهذه الأمثلة المتعددة من أجل تثبيت الفهم والتوضيح لهذه القراءة وإنزال الجزأين منزلة الجزء الواحد، ويقر لنفسه بالتفرد في المبالغة في إيراد الأمثلة التي كان يهدف منها إلى تقويّة الدلالة.

وهو في هذا الموضع الذي يكشف فيه عن وجه هذه القراءة اعتمد واستند إلى السماع والقياس والتعليل في الموضع الواحد.

ويدعم هذه القراءة الشاذة كذلك بقراءة ابن الكثير:" فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ "[64]، وكذلك يستدل بقول بعضهم عن الفراء:" وجرى ذكر الرجل فقيل: هاهو ذا، فقال مجيبا: نعم إنّها ها هو ذا"[65].

فيرى أنّ:" إلحاقه لام المعرفة بالجملة المركبة من المبتدأ والخبر من أقوى الأدّلة على تنزليها عندهم منزلة الجزء الواحد، وفي صدر هذه الجملة حرف التنبيه، وهو يكاد يفصلها عن لام التعريف بعض الانفصال، وهو مع ذلك كالمتلاقيتين مع عجزه بينهما وإعراضه على كلّ واحد منها "[66].

وليس هدف ابن جنّي إثبات قاعدة نحوية وتبيينها وشرحها ليس مقصده هذا، وإنّما يسعى للكشف وتقوية وجه هذه القراءة الشاذة في العربية من باب الدفاع عنها فهو جنّد واستعمل وجمع بين

الـأدّلة النحوية من سماع وقياس وتعليل وأخذ التعليل حظه الأوفر في توجيه هذه القراءة، بحيث لا يذكر نقطة إلاّ ويعللها ويتدرج في استعمال مراتب العلة من العلل الأولى إلى الثانية والثالثة[67].

ونوع ابن جنّي في توجيه من ناحية مسالك العلة بين القراءات المشهورة التي دعمت الشاذة وكلام العرب شعره ونثره وأخذ النثر بين المصادر الاستشهاد مكانته في مقابل غياب الاستشهاد بالحديث الشريف وإن كان ابن جنّي ممن يستشهد بالحديث الشريف.

فهذا المزج العجيب بين الأدّلة النحوية والعلل النحوية والمنطقية والمصادر الاستشهادية وشدة اعتنائه بالإيضاح والإيجاز والاختصار بعيدا عن التعقيد والإغراب، كان من منطلق ثقافته المنطقية واللغوية ومجالس العلم التي تربى فيها "[68] وترتب عن هذا البناء المتراص لوجه هذه القراءة ولتعليلها وتوجيهها ومكانتها بين القراءات الشاذة.

قال تعالى:" إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ "[69]

وقرأها الفضل الرقاشي "أَيّاك " وهي قراءة علي أيضا، ويقول كذلك " أَيَّاك نَعبُد "[70] بفتح الهمزة.

ويرى ابن جنّي في فتح الهمزة:" إياك وأياك ويّاك، وهَيّاك"[71]، والهاء في "هِيّاك" و"هَيّاك " بدل من الهمزة وهي قياس على ما هو موجود في لغة العرب " كقولهم: في أرقت:هرقت، وأردت، هردت وأرحت

الدابة: هرقت وأندت الثوب: هنرت "[72].

ففي قلب الهمزة هاء موجود في كلام العرب وفي الشعر ما يقابله لمضرس بن ربعي:

فهِيَاكَ وَالأَمْر الذِي إن تَوَسَعَتْ   موَارِدُهُ ضَاقَت عليكَ مَصَادِرُهُ[73].

والقراءة الثانية الشاذة لهذه القراءة: " إِيَاك نَعْبد وإِيَاك نستعين "[74] بتخفيف الياء فيهما جميعا[75]، فوزن "إيا " هي على قياس الوزن الصرفي فِعَل كرِضًا وحِجًا وحِمًى ونظيره: إِيَا الشمس[76].

وفي هذا يقول طرفة بن عبد[78]:

سَقَتْه إِيَاهُ الشمس إِلاَّ لثَاتِه   أُسِفَّ ولَمْ تكدِمْ عَلَيْهِ بإِثْمِدِ.

ويرى ابن جنّي أنّه يقال فيه: "أَيَاءُ الشمس بالفتح والمد "[79]

ويقول ذو الرمة:

تَنازَعَهَا لَوْنَانِ وَرْدُ وحُوُّةٌ   تَرَى لِأَيَاء الشَمْسُ فِيه تَحدُّرًا[80].

وكان في الموضع جمع بين المصادر الاستشهادية النثرية والشعرية وجمع بين السماع والقياس .

كما يقول ابن جنّي:"وإِيًا فعل وأَيَاء فَعَال ،وكلاهما من لفظ الآية ومعناها وهي العلامة وذلك أنّ ضوء الشمس إذا ظهر علم جرمها على وجه الأرض"[81].

وبعد هذا الشرح اللغوي الذي استند إليه ابن جنّي في توضيح معناها بهدف تبيين وجه هذا الشذوذ .

يعلل ابن جنّي هذا نحويا استنادا إلى منهج الفقهاء وتفسيرهم من خلال استشهاده بقول أبي بكر بن علي الذي يقول ابن جنّي أنّه:" حدثه أبو بكر محمد بن علي قال: كان أبو إسحاق يقول في قول" إياك نعبد "أي حقيقتك نعبد، وكان يشتقه من الآية وهي العلامة وهذا يجيء ويسوغ على رأي أبي إسحاق،لأنّه يعتقد في إياك أنّه اسم مظهر خص به المضمر، فأمّا على قوله فاشتقاقه فاسد، لأنّ إياك اسم مضمر والأسماء المضمرة لا اشتقاق في شيء منها، وينبغي أن يكون عمرو بن فايد إنمّا قرأ " إياك " بالتخفيف على أنّها لغة، وذلك أنّا لم نر لذلك أثرا في اللّغة ولا رسما ولا مرّ بنا في نثر ولا نظم، نعم ومن لم يخلد مع ثقته إلى نظر يعصم به و يتساند إليه بأمانته أتي من قبل نفسه من حيث يظن أنّه ينظر لها، وكان ماءها في ذلك من أجل فقاهته لا أمانته "[82].

قال تعالى :"صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ "[83].

وقراءة أبو السختياتي :"والضَأَلِينَ " بالهمز[84].

ويعلل ابن جنّي شذوذ القراءة بقوله :" ذكر بعض أصحابنا :أنّ أيوب سئل عن هذه الهمزة، فقال هي بدل من المدة للالتقاء الساكنين وأعلم أنّ أصل هذه ونحوه :الضالين وهو الفاعلون من ضلّ يضل فكره اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد على غير الصور المحتملة في ذلك، فأسكنت اللام الأولى وأدغمت في الأخرى، فالتقي ساكنان:الألف واللام الأولى المدغمة فزيد في مدة الألف، واعتمدت وطأة المد، فكان ذلك نحو من تحريك الألف وذلك أنّ الحرف يزيد صوتا بحركاته كما يزيد صوت الألف بإشباع مدته "[85].يعلل ابن جنّي نحويا وعقليا شذوذ هذه القراءة القائمة على قلب هذا المد والهمزة .

كما يظهر من خلال هذا التعليل تدرج في ذكر العلل وقياسا على ما ورد في قوله :" فَيَوْمَئِذة لا يُسأَلُ عَن ذنْبِه إِنس ولا جَأَنٌ "[86].

وهذا القياس للفرع على الأصل من باب المشابهة(إبدال المد همزة) يحكم عليها ابن جنّي بالشذوذ وبطريقة غير مباشرة من خلال قول أبو زيد :" فظننته قد لحن إلى أن سمعت العرب تقول: شأبّه ومأدّة ودأبّة "[87] .

وعليه قول كثير : إذا مَا الْعَوَالِى بِالعَبِيط إحْمَأَرَّتِ[88].

وفي قول كثير كذلك : وَلِلْأَرْضِ أَمَّا سُودُها فتجلَّلتْ بَيَاضًا وأما بِيضُها فَادْهَمَأَت [89].

فهذه القراءة هي قياس على ما ورد عند العرب كما سبقه الذكر فهو استشهد في باب ذلك بكلام العرب نثره وشعره في توجيهها وتبيين وجهها وابن جنّي يعتبر هذا الشذوذ والذي تمثل في إبدال الألف همزة وهو شذوذ صوتي من " طريق الحديث "وهو يعلل هذا الإبدال الذي جاءت في بابه هذه القراءة الشاذة والتي هي قياسا على ما كان موجود في كلام العرب وبيّن العلة الجامعة بينهما في

الحمل، قد ذكر في هذا الموضع كل مراتب العلة النحوية من العلة الأولى إلى العلة الثانية إلى العلة الثالثة وهكذا أرفق هذا بالشرح للباب النحوي التي وردت فيه هذه المسألة وذلك لتقوية وجه هذه القراءة حتى يكون لها وجه من الصحة في كلام العرب نتيجة لما التمسه لها وذلك عن طريق الاستفاضة في الحديث عن وجه شذوذها حتى تظن نفسك في درس حول هذه المسألة بعينها أو هذا الباب بعينه، وهذا ما نلمسه من قوله في نهاية التوجيه : "وفيه أكثر من هذا ولولا تجنب الإطالة، كراهية الإملال والسآمة لأتينا به مثبت في أماكن من تأليفنا وإملائنا"[90].

فابن جنّي في هذا الموضع التوجيهي اتبع طريق الفقهاء في تفسير هذه القراءة وتبيين وجهها وكذلك اعتمد العلل النحوية والعقلية المحضة في تبيين الوجه الصوتي لها بالتماس الشواهد وشرحها وفق الأبواب التي تنتمي إليها واعتمد السماع والقياس ومصادر الاستشهاد من شعر ونثر وقراءات قرآنية مغلبا في ذلك الشعر على بقية الشواهد وحتى وإن كان نثر من كلام العرب وكان له حضور يقارب الشعر وكذلك اعتمد ابن جنّي الشعر باعتبار الشعر ديوان العرب وملجأهم في الاستشهاد كله وكاشف مختلف الوجوه اللغوية النادرة والشاذة فهو في هذا التوجيه مزج بين المصادر الاستدلالية وطرق الاستدلالية ملتمسا من المنطق والفقه دعامة لتبيين وجه الشذوذ وتبيان حضورها رغم تصريحه في المضمون من خلال قول أبو زيد بأنّها من الشاذ ومن النادر و هذه السمة العامة التي يمكن استخلاصها في طبيعة منهج ابن جنّي النحوي بحيث هو مزيج من الطرق الاستدلاليّة المختلفة التي تنمي إلى تيارات فكرية مختلفة .

الهوامش:

1-أبو الفضل ابن منظور،**لسان العرب**، دار الصادر، القاهرة، مج 6، ص: 245 مادة نهج.

2-المصدر السابق، ن ص.

3-المقصود بالتراث في هذا المقام القراءات (بما فيها الشاذة) والتي تعتبر من التراث العربي ومقام لتأصيل هذه اللّغة ومصدر أساسي من مصادرها.

4-الاقتراح، المصدر السابق، ص:2.

5 -المرجع السابق، ص:5، 6.

6-محمد الحباس، المرجع السابق، ص: 54

7-**الاقتراح**، المصدر السابق، ص: 6

8-مخلوف بن لعلام، **مبادئ في أصول النحو**، تيزي وزو، د.ت/ د.ط، ص:12.

9-كمال أبو البركات الأنباري، **لمع الأدلة في أصول النحو**، تح: سعيد الأفغاني، بيروت، ط2 / 1972، ص:.80

10-محمد العيد،**أصول النحو**، ط 2، ص: مقدمة.

11-**الإقتراح**، المصدر السابق، ص :.65

12-خديجة الحديثي، **الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه،** 1974-1394 هـ، مطبوعات جامعة الكويت، ص:29.

13-المرجع نفسه، ص: 464.

14-محمد أبو بكر الرازي، **مختار الصحاح،** الضبط والتخريج: مصطفى ديب، دار الهدى، الجزائر، ط4، 1994، ص: 20 مادة (أصل).

15-سعيد شنوفة، **في أصول النحو العربي،** المكتبية الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، 2008، ص:.12

16-**في أصول النحو العربي،** المرجع السابق، ص: .13

17-المرجع نفسه، ص:.13

18-الحباس، المرجع السابق، ص: .51

19-سعيد شنوفة، **في أصول النحو العربي**، المرجع السابق، ص:17.

20-المرجع نفسه، ص:.18

21-نقصد بالأسس الثانوية، النقل، الاستصحاب، الإجماع.

22-**الخصائص**، المصدر السابق، ج1، ص:.2

23-**الخصائص**، المصدر السابق، ج1، ص:.302

24-المصدر نفسه، ص: 2-.3

25المصدر نفسه، ص:2

26-**الأدباء،** المصدر السابق، ص:.145

27-أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، **الأصول في النحو،** تح: عبد الحسن القنيل، مؤسسة الرسالة، ج1، بيروت، ط3، 1996م-1417هـ، ص: المقدمة المحقق.

28- **الخصائص،** المصدر السابق، ج1، ص:3.

29خالد سعيد شعبان، أصول **النحو عند ابن مالك (السماع، القياس، العلة النحوية، الإجماع، الاستهجان، وقواعد استدلال،** مكتبة الآداب، القاهرة، ص:.11

30-يقصد من ذلك السيوطي وابن الأنباري من خلال الاقتراح ولمع الأدلة.

31-**الخصائص**، المصدر السابق، ج1، ص:.9

32-المصدر نفسه، ص:.67

33-أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الأنباري، المتوفى سنة 571 هـ.

34-علي أبو المكارم، **أصول التّفكير النّحوي،** دار الغريب، القاهرة، 2006، ص:17

35-المرجع نفسه، ن ص.

36-حلمي خليل، **مقدمة لدراسة علم اللغة،** دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص:.12

37-محمد عيد، **أصول النحو العربي**، عالم الكتب، القاهرة، 1983.ص :30

38-بن لعلام مخلوف، **مبادئ في أصول النحو،** تيزي وزو، د.ت/ د.ط، ص:1.

39-محمد الحباس، المرجع السابق، ص: 53

40-محمد الحباس، المرجع السابق، ن ص.

41-**الإقتراح**، المصدرالسابق، مقدمة الكتاب.

42-الفاتحة: 02

43-**المحتسب**، المصدر السابق، ج1، ص :110

44-محمد بن يوسف الشهيد أبي حيان الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، تح: عادل الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3 ، ص: 199

45- الفتح :29

46-سعد بن مسعدة الأخفش الأوسط، **معاني القرآن**، تح: هدى محمود، ج1، الخانجي،القاهرة، ط1 ، 1999، ص:9

47-**المحتسب**، المصدر السابق، ج1، ص :.111

48 المصدر السابق، ن ص.

49- المصدر نفسه، ن ص.

50- المصدر نفسه، ن ص.

51- يقصد بأدّلة: **السماع والقياس والتعليل اللغوي**.

52-**المحتسب**، المصدر السابق، ن ج، ص :111.

53-المصدر نفسه، ن ص.

54-المصدر السابق، ن ص

55-المصدر نفسه، ن ص

56-المصدر نفسه، ن ص.

57-المصدر نفسه، ن ص.

58-المصدر نفسه، ن ص.

59-أبو الفتح عثمان ابن جنّي **الخصائص**،تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج 2،ص:145.وذكر عجز البيت دون صدره لأنّه مجهول وكذلك قائله مجهول

60 -المصدر نفسه، ج 2،ص:145

61-**المحتسب**،المصدر السابق، ج1،ص:.112

62-المصدر نفسه ، ص:113.

63-**معاني القرآن**، المصدر السابق، ص :9

64-الأعراف:117. وهي قراءة البزي، **السبعة في القراءات**، ص: 290،**البحر المحيط**، ج 4،ص: 363

65-**المحتسب**، المصدر السابق، ج1،ص:.114

66 -المصدر نفسه، ص :115

67 - العلل يقصد بها العلل التعليمية والقياسية والجدلية

68-يقصد منها النتيجة المترتبة عن مزج الأدّلة.

69-الفاتحة:05.

70-المحتسب ج1، ص :114، **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع**،نشره برجستراسر، المطبعة الرحمانية، مصر، 1934،ص:10، **معاني القرآن**، الأخفش الأوسط، المصدر السابق، ص :13.

71-**المحتسب**، المصدر السابق ، ج1 ، ص : 114

72- المصدر السابق ، ن ص

73-رضي الإستراباذي، **شرح شافية ابن حاجب** ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 198 ،ج4، ص: 476

74 الفاتحة ،: 05

75-**المحتسب** ، ج1 ، ص : 115 ، **البحر المحيط** ، ج 1 ، ص : 23 .

76- **المحتسب** ،المصدر السابق ، ج1 ، ص : 115 .

77- **الديوان** ، المصدر السابق، ص : 115

78-**المحتسب** ، المصدر السابق، ج1 ، ص :115 .

79[1]- المصدر نفسه ، ن ص ، هذا البيت غير موجود في الديوان ذو الرمة المطبوع و هذا ما لمسه محقق الكتاب ولمسناه من خلال تمحيص الديوان .

80- **المحتسب** ، المصدر السابق ،ج 1 ، ص :

81-المصدر نفسه ، ن ص .

82-المصدر نفسه ، ن ص.

83-الفاتحة : 07

84-**المحتسب**، المصدر السابق ، ج1 ، ص :116 ، **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع** ، ص :10

85- المصدر السابق: 124 .

86-الرحمن : 74 .

87-**المحتسب،** المصدر السابق، ج1 ، ص: 125 .

88- كثير عزة ، **الديوان** ، بيروت ، لبنان ، ص :97 .و الشطر من هذا البيت :

و أنت ابن ليلى خير قومك مشهدا إذا ما احمأرت بالعبيط العوامل

89-المصدر نفسه ، ن ص

90-**المحتسب** ، المصدر السابق ، ص : 128

دراسات أدبية ونقدية

"الأرض" و"المنفى"

في شعر محمود درويش

د. علاّل سنقوقة

أستاذ محاضر بقسم اللغة العربية وآدابها

جامعة الجزائر(2)

abstract

Find addresses the idea of alienation and exile in the poetry of Palestinian poet / Arab Mahmoud Darwish .

Through the first collections of poetry , he evokes the poet 's inner life which he lived in exile self as in fact , Weird continuous endless .

Weird associated with self- alienated home , and here are those of the work of Mahmoud Darwish rare in the Arab and global hair Value.

(اختار جدي العيش فوق تلّه تطلّ على أرضه، والى أن توفّي، ظلَّ يراقب المهاجرين (اليهود) من اليمين يعيشون في أرضه التي لم يكن قادراً على زيارتها) محمود درويش

يُعتبرُ محمود درويش ظاهرة متعددة الأوجه، تجلّى فيها تحوّلُ الشّعر العربيّ برمَّته، ذلك لأنّه جمع تجاربَ متباينةً ومختلفةَ الاتجاه ، كما يرى ذلك صلاح فضل(1) ، فقد جمع –زمنيا- بين جيل الشُّعراء الرّوَّاد (شعراء الستينيات والسبعينيات) وشعراء عنفوان الحداثة الشِّعرية العربية ، كما أنّه احتوى تجاربَ فنيةً مختلفة، منها الكلاسيكية ، متمثلة في محاولاته الشعرية الأولى الخاضعة للنمط التقليدي والتي تراجع عنها الشاعر معتبرًا إيَّاها تجاربَ بسيطة، غير ناضجة فنيا. مرورا بأوج انطلاقته الشّعرية، زمن الشعر الثوري، متزامنًا مع المدّ الاشتراكي في العالم العربي مع ما كُرّسَ من قيم الالتزام وتوظيف الشعر من أجل الفائدة الوطنية والقومية، ثم مرحلته الأخيرة، التي نسمّيها مرحلة التأمل والذاتية (2).

ويظل محمود درويش في كلّ هذه الانتقالات واحدًا متعددا ،لم يتخلَّ عن قضيته والتزامه بقضايا الوطن ولكنّه حاول الخروج من القوالب الجاهزة التي أراد النقد العربي زجّه فيها(3) .

وقد آثرنا الوقوف على قضية الأرض والمنفى لكثرة ورودها في شعره ،سواء منه الشّعر الوطني السياسي أم الشّعر الأخير الذي عكسته تجاربه الشعرية قبل وفاته مع اختلاف في فهم الموضوع طبعا، من مرحلة إلى أخرى .كما تتبّعنا أسلوب التعبير عن التجربة عبر الوقوف على مجموعة من الإشارات في مستويات

التعبير: الافرادية والتركيبية والايقاعية وقاربنا درجة الانزياح والعدول، لما لها من أثرٍ على شعرية النص الشعري عند محمود درويش لأنّ الشعر انزياح في أصله الطبيعي(4)

ولد محمود درويش عام 1941 في قرية البروة(5) وهي قرية فلسطينية تقع في الجليل قرب ساحل عكا، حيث كانت أسرته تملك أرضًا هناك. خرجت الأسرة برفقة اللاجئين الفلسطينيين في العام 1948 إلى لبنان، ثم عادت متسللة عام 1949 بعد توقيع اتفاقيات الهدنة، لتجد القرية مهدمة وقد أقيم على أراضيها موشاف (قرية زراعية إسرائيلية فعاش مع عائلته في قرية "الجديدة".

بعد إنهائه تعليمه الثانوي في مدرسة يني الثانوية في كفرياسيف انتسب إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي وعمل في صحافة الحزب مثل "الإتحاد" و"الجديد" التي أصبح في ما بعد مشرفًا على تحريرها، واشترك في تحرير جريدة "الفجر" .

أُعتُقِل محمود درويش من قبل السلطات الإسرائيلية مرارًا بدءا من العام 1961 بتهم تتعلق بتصريحاته ونشاطه السياسي وذلك حتى عام 1972 حيث توجّه إلى الاتحاد السوفييتي للدراسة،وانتقل بعدها لاجئًا إلى القاهرة في ذات العام، حيث التحق بمنظمة التحرير الفلسطينية، ثم لبنان حيث عمل في مؤسسات النشر والدراسات التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، علمًا إنه استقال من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير احتجاجا على اتفاقية أوسلو. كما أسس مجلة "الكرمل" الثقافية.

شغل منصب رئيس رابطة الكتّاب والصحفيين الفلسطينيين. كانت إقامته في باريس قبل عودته إلى وطنه، حيث أنه دخل إلى فلسطين بتصريح لزيارة أمه. وفي فترة وجوده هناك قدم بعض أعضاء الكنيست الإسرائيلي العرب واليهود اقتراحًا بالسماح له بالبقاء وقد سمح له بذلك.

في الفترة الممتدة من سنة 1973 إلى سنة 1982 عاش في بيروت وعمل رئيسًا لتحرير مجلة "شؤون فلسطينية"، وأصبح مديرًا لمركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية قبل أن يؤسس مجلة "الكرمل" سنة 1981. بحلول سنة 1977 بيع من دواوينه العربية أكثر من مليون نسخة، لكن الحرب الأهلية اللبنانية كانت مندلعة بين سنة 1975 وسنة 1991، فترك بيروت سنة 1982 بعد أن غزا الجيش الإسرائيلي بقيادة آريل شارون لبنان وحاصر العاصمة بيروت لشهرين وطرد منظمة التحرير الفلسطينية منها. أصبح درويش "منفيًا تائهًا"، منتقلًا من سوريا وقبرص والقاهرة وتونس إلى باريس وقد ساهم في إطلاقه واكتشافه الشاعر والفيلسوف اللبناني روبير غانم، عندما بدأ هذا الأخير ينشر قصائد لمحمود درويش على صفحات الملحق الثقافي لجريدة الأنوار والتي كان يترأس تحريرها .

ومحمود درويش كان يرتبط بعلاقات صداقة بالعديد من الشعراء منهم محمد الفيتوري من السودان ونزار قباني من سوريا وفالح الحجية ورعد بندر من العراق وغيرهم من أفذاذ الأدب في الشرق الأوسط.

أهم مؤلفاته الشعرية والنثرية:(6)

عاشق من فلسطين 1966 شعر/آخر الليل 1967 شعر/أحبك أو لا أحبك 1972 شعر/حبيبتي تنهض من نومها 1970 شعر/يوميات الحزن العادي 1973 نثر

محاولة رقم 7 1973 شعر/وداعاً أيتها الحرب، وداعاً أيها السلام 1974

تلك صورتها وهذا انتحار العاشق 1975 شعر/أعراس 1977/مديح الظل العالي 1983 شعر/حصار لمدائح البحر 1984 شعر هي أغنية 1986

ورد أقلّ 1986 شعر/في وصف حالتنا 1987 شعر/ذاكرة للنسيان 1987 نثر

أرى ما أريد 1990 شعر/عابرون في كلام عابر 1991 مقالات

أحد عشر كوكباً 1992 شعر/لماذا تركت الحصان وحيدا 1995 شعر

سرير الغريبة 1999 شعر/جدارية 1999 شعر/حالة حصار 2002 شعر

لا تعتذر عمّا فعلت 2004 شعر/كزهر اللوز أو أبعد 2005 شعر

في حضرة الغياب 2006 نثر/أثر الفراشة 2008 شعر/ العصافير تموت في الجليل1969

أوراق الزيتون1964

توفي في الولايات المتحدة الأمريكية يوم السبت 9 أوت 2008 بعد إجرائه لعملية القلب المفتوح في مركز تكساس الطبي في هيوستن، تكساس، التي دخل بعدها في غيبوبة أدت إلى وفاته وقد نال محمود درويش جوائز تقديرية كثيرة منها على وجه الخصوص:

جائزة لوتس عام 1969

جائزة البحر المتوسط عام 1980

درع الثورة الفلسطينية عام 1981

لوحة أوروبا للشعر عام 1981

جائزة ابن سينا في الإتحاد السوفيتي عام 1982

جائزة لينين في الإتحاد السوفييتي عام 1983

الصنف الأول من وسام الاستحقاق الثقافي تونس 1993

الوسام الثقافي للسابع من نوفمبر 2007 تونس

جائزة الأمير كلاوس الهولندية عام 2004

جائزة القاهرة للشعر العربي عام 2007

مرت حياة محمود درويش الشعرية بفترتين هامتين: الأولى هي مرحلة شعر المقاومة ، رفقة مجموعة من رواد الشعر الثوري وعلى رأسهم توفيق زياد وسميح القاسم ومثلوا مرحلة تاريخية سياسية هامة ، هي مرحلة المد الثوري في العالم العربي وتجلّت على المستوى التاريخ الفلسطيني في شعر ما بعد النكبة ،حيث شعر الفلسطينيون بالضيم والمهانة جرّاء الطرد العشوائي من الوطن الأم و يمكن إدراج الأعمال الشعرية الأولى لمحمود درويش ضمن هذا السياق ومنها بالأخص: أوراق الزيتون 1964 وعاشق من فلسطين 1966 وآخر الليل 1967 و العصافير تموت في الجليل 1969 ، هذه الأعمال تكشف العلاقة التزامنية بين الخطاب الشعري والخطاب السياسي، بشكل واضح جدا. كما تكشف علاقة الشاعر باللغة الشعرية بكل مكوّناتها الفنية ورموزها المكونة لها ،حيث امتازت بالبساطة والتجلّي الدلالي المحيل إلى القيمة الثورية متمثّلةً في النضال السياسي والدَّعوة إلى طردِ المحتل من الـأراضي الفلسطينية .

هناك عاملان أساسيان في صناعة هذا الاتّجاه لدى محمود درويش الأول: هو التّجربة النفسية والجسدية التي عاشها (وقد تعمدّنا التنويه بسيرته الذاتية لهذا الغرض) ()، وهو فتى في مسقط رأسه وما تعرّضت له أسرته من هجر وترحال بسبب تحويل بيتهما إلى مزرعة إسرائيلية وهو ما أدّى إلى بروز هذا الإحساس بالمنفى والتّرحال في نفسيته وقد تجلّى في شعره بشكل واضحٍ، لا تخطئه العين كما سنوضّحه لا حقًا .

أمَّا العامل الثاني: فهو عاملٌ خارجيٌّ متعلّق بوضعية العالم العربي كلّه وما رافق هذه الحالة السياسية من انتشار الثقافة السياسية القومية. نعتقد أنّ محمود درويش كان أحد وسائط هذا الخطاب السياسي الثوري وهو ما جعل النقاد يعلّقون عليه آمالاً كبيرة ولا غرابة بعد ذلك أن يطلقوا عليه لقباً، سيظل محور جدل ورفض من قبل الشاعر هو "شاعر المقاومة " حيث دلّت أعماله الشعرية والنثرية في مرحلته الثانية على محاولة الخروج من صورة الشاعر الملتزم بالقضية الوطنية، ذات الابعاد القومية المحدودة إلى أفق الشعرية الواسعة ذات الابعاد الإنسانية الكبرى .مثّلت أعماله : أحد عشر كوكبا1992 وردٌ أقلَّ 1986 وأرى ما أريد 1990 و لماذا تركت الحصان وحيدا 1995 ، هذا المنحى في تجربته الشعرية (8).

حيث برز الذاتي بقوة لدى الشاعر، بل إنّ ظاهرة جديدة بدأت تميّز مسيرته وهي كتابة النثر الفني الذي هو أقرب ما يكون إلى قصيدة النثر التي ظلَّ الشاعر يرفضها كجنس بديل لقصيدة الايقاع أو القصيدة الكلاسيكية المعروفة ، وبالرغم من أن الشاعر لم يصنف هذه الأعمال في جنس محدّد من الشعر إلا أنّ تسمية " نصوص" التي أطلقها عليها توحي بأنّه كان يرفض التصنيف وأنّه كان يودّ الخروج من التصنيفات الجاهزة التي ظلّ يتبادلها النقَّادُ فيما بينهم بشأنِ هذه النُّصوص .

في هاتين المرحلتين، تميّز الخطاب الشعري لدى محمود درويش بالاختلاف والمغايرة سواء كان ذلك في الأبعاد الموضوعاتية أم في السمات الأسلوبية التي طبعت قصائده .

لكنّ البارز في شعر محمود درويش ،بعيدا عن هذا التقسيم المدرسي لمراحل الظاهرة الشعرية لديه، هو سؤال الأرض والهوية والمنفى والاغتراب والتمزّق وهو سؤال مركزي في شعره في المرحلتين معًا. بالرغم من التنوّعات الأسلوبية التي نجدها من مرحلةٍ إلى أخرى

ففي أعماله الأولى، نلاحظ أيقونةَ المكان حاضرةً، من خلال عناوين الدواوين الشعرية والقصائد فقي **أوراق الزيتون(9)** إحالة مباشرة إلى الأرض والهوية وكذلك ديوانه **عاشق من فلسطين(10)** ثم **العصافير تموت في الجليل** (11)فهناك طريقة واضحة للتعبير عن الحنين والألم ،جرّاء ما يثيره الاحساسُ بالمكان من تمزّق في الأنا الفردية للشاعر التي سرعان ما تتحول إلى صوت الأنا الجماعية وكذلك في **آخر الليل** (12) الذي يشير إلى علاقة زمنية بين الشاعر والمكان ،ولكن المعنى الحقيقي هو التعبير عن التمزق لأن الليل هو استعارة لمآل المكان لا الزمان .

وإذا ما تأملنا أعماله الأخرى المتأخّرة نجد أنّ تيمة الأرض / المكان تيمة مميّزة في عناوين الشاعر : **سرير الغريبة** (1999) (12)**كزهر اللوز أو أبعد** 2005(13) .أحد عشر كوكبا (1992) (14) وبالرّغم من التنوع التيمي (الموضوعاتي) إلا أنّ هاجس المكان / الأرض، يظلُّ أساسيًا ومركزيا في كل ما كتب محمود درويش .

وإذا ما نظرنا في عناوين القصائد التي ضمّتها أعماله، نلاحظ تكرار الظاهرة نفسها، ففي ديوانه **أوراق الزيتون** نجد العناوين الآتية : وعاد..في كفن / الموت في الغابة / ثلاث صور/ الموعد الأول/ رسالة من المنفى / حنين إلى الضوء/ بطاقة هوية / (15)

بينما نجد في ديوانه **عاشق من فلسطين** العناوين الآتية : بيروت ،قطار الساعة الواخدة ،حالة واحدة لبحار كثيرة ...وسنتوقف في هذه القراءة على قصيدتن هامتين في رأينا هما قصيدة رسالة من المنفى من ديوانه الأول أوراق الزيتون وقصيدة عاشق من فلسطين من ديوانه الثاني لما تحملانه من قوة التعبير عن مرحلة محمود درويش الأولى مع الاستئناس بمجموعة من العناوين الشّعرية من أعماله الأخرى .

تتكون قصيدة **رسالة من المنفى** من خمسة مقاطع ولذلك فهي من بين القصائد الطويلة في الديوان وفيها تجسيد لإحساس الشاعر بالمنفى بأسلوب مباشر يكشف عن خصائص مرحلة شعرية لدى محمود درويش وهي -كما أسلفنا- النظر إلى الشّعر بوصفه أداة مقاومة .

يقوم النص الشّعري في هناعلى السّؤال والشّكوى من الحال، بأسلوب هو مزيج من السخرية والاستنكار لما تبثه وسائل الإعلام عن " المشرّدين " الفلسطينيين . نلاحظ أنّ الشّاعر صاغ قصيدته في شكل رسالة من ابن في المنفى إلى والدته ، يطلعها فيها عن حاله في الغربة والمنفى . ففي المقطع الأول والثاني يوجّه لها التحية ويخبرها أنه يعمل في مطعم وأنّه بخير . بيد أنه يتساءل في المقطع الثاني، عن صحة الأخبار التي يبثّها المذياع بخصوص حال المهجَّرين المبعدين عن الأرض والوطن .

وفي المقطع الثالث يشير إلى أنّه قد كبر وأصبح شابا في العشرين،انخرط في كل عادات الشباب من حب اللهو والبنات ويواصل في المقطع الرابع التساؤل عن حقيقة أخبار المذياع لينتهي في المقطع الخامس والأخير للتعبير عن تذمره من قبضة الموت التي تطارده والعراء الذي يعيش فيه المنفيون عن الأهل والوطن .

توحي" الرسالة " بالبعاد والاغتراب عن الأرض/ الأصل والفقد والحزن على الوطن المحاصر تتأسّس اللغة على بنية الوضوح والتداول ، لا تغرق كثيرا في الغموض ولا وتجنح إلى التكثيف الاستعاري نلاحظ ذلك من خلال الاستهلال التالي:(16)

تحية ...وقبلة

وليس لي ما أقول بعدْ

من أين أبتدي ؟..وأين أنتهي ؟

ودورة الزمان دون حدّ

وكلُّ ما في غربتي

زوّادة ،فيها رغيف يابسٌ،ووجدْ

ودفتر يحمل عني بعض ما حملت

بصقت في صفحاته ما ضاق بي من حقدْ

يؤسس السؤال المركزي من أين أبتدي؟ وأين أنتهي؟ محور الخطاب الشعري ،كأنّ الشاعر يسأل ويجيب عن ذاته ،بسبب غياب من يجيب أو لصعوبة التصريح بالجواب أو لانعدام الجواب عن أسئلته وما ذكره الشاعر لاحقًا يعدّ محاولةً منه للإجابة عن السؤال .

ويذكر هنا بعض العلامات : دورة الزمان-الغربة –رغيف يابس-الوجد-الحقد وهي دوال كاشفة عن معنى ضمني .تأتي اللازمة بعد ذلك :من أين أبتدي؟ لتفرض منطقا آخر في الكلام: (17)

وكلّ ما قيل وما يقال بعد غدِ

لا ينتهي بضمَّة أو... لمسة من يدِ

لا يرجع الغريب للديار

لا ينزل الأمطار

لا ينبت الريش على

جناح طير ضائع ..منهَّدِ

من أين أبتدي؟

وما الغريب إلاَّ الإحساس الذي يختلج في ذات الشّاعر وما الدار إلاَّ الأرض . تتحوَّلُ المسافات التي يمكن تصورها في الوطن إلى دارٍ، ذات نطاق محدود ومكثف يدلُّ على البُعد القيمي الإنساني للأرض ، باعتبار المسكن من المناطق الأليفة ذات الطابع الحميمي(18) بالنسبة للإنسان.

فيما تبقى صورة الأب أثيرة وملهمة للشاعر ،فهو يسأل عن حاله متلهفا راغبا في سعادته وفرحه لا حزنه يقول :(19)

سمعت في المذياع

قال الجميع: كلنا بخير

لا أحد حزين ،

فكيف حال والدي

ألم يزل كعهده ،يحبّ ذكر الله

والأبناء ...والتراب ...والزيتون؟

وتكاد كلُّ المفردات الواردة في تساؤل الشّاعر تشكّل رموزًا واضحةَ الدَّلالة ،فالأب ليس الجسد بل هو التاريخ الممتدّ فيه ، والأبناء هي استمرارية الوطن، متجليًا في أركيولوجيا الجسد الفلسطيني، فيما يظلُّ "التراب" من الرموز ،قوية الدَّلالة في شعر محمود درويش في هذه المرحلة الحاسمة .

أما الزيتون فهو من المفردات كثيرة التردد في قاموس الشاعر عبر تجربته الطويلة ، فقد تحوَّل شعره في هذه المرحلة إلى دليلٍ ومؤشّرٍ على الثّورة والأرض والهوية والانتماء والغربة والاغتراب ويواصل الشّاعر موَّاله الحزين قائلاً:(20)

هل يذكر المساء

مهاجرا أتى هنا...ولم يعد إلى الوطن؟

هل يذكر المساء

مهاجرا مات بلا كفن؟

ياغابة الصفصاف هل ستذكرين

أنّ الذي رموه تحت ظلك الحزين

-كأيّ شيء ميّت-إنسان؟

يلاحظ هنا النَّبرة الاحتجاجية ضد الموت والقتل الهمجي الذي لا يتعرّض له الجسد بل الإنسان وهي المفارقة التي تخلقها الحروب ، كما يتجلّى البعدُ الإيديولوجي بشكلٍ واضح لا تخطئه العين . ومهما يكن فإنّ هذه النبرة الاحتجاجية تظل قائمة في السطور الموالية من النص بل تزداد قوّة :(21)

هل تذكرين أنّني إنسان

وتحفظين جثتي من سطوة الغربان

أمّاه يا أماه

لمن كتبت هذه الأوراق

أيّ بريد ذاهب يحملها ؟

سُدّت طريق البر والبحار والآفاق....

وأنت ياأمّاه

ووالدي وإخوتي، والأهل، والرفاق...

لعلكم أحياء

لعلّكم أموات

ويستمرّ هذا التصعيد الأسلوبي في شكلٍ عمودي متصاعد ، ولعلّها طبيعة التّجربة الشعرية المتوترة التي يعبّر عنها الشاعر ، وتصل القصيدة إلى ذروة الانفجار في الأخير ،وكأني بالشاعر يعلي من صوته هذه المرّة قائلا :(22)

لعلَّكم مثلي

ما قيمة الإنسان

بلا وطنٍ

بلا علمٍ

ودونما عنوانٍ

يوظّف الشاعر لغة معيارية ، يختفي فيها العدول أو الانحراف الذي تقتضيه اللغة الشعرية لأنّ الشّعر قوامه الخروج عن مألوف اللغة ، ليعبّر عن الحالة السياسية والمأزق الذي يعيش فيه الإنسان عامة إذ لا يربط الشاعر موضوعه بالحالة الفلسطينية بقدر ما يربطه بواقعه الإنساني وهو ما يدلُّ على البعد الإنساني في شعره.

نلاحظ أنّ النص يقوم على بنية تطورية في النبرة الصوتية والأسلوبية ، ينوع في نهايات الأسطر: الدال-الراء-التاء-النون وبلازمة شعرية تتردد في كلّ المقاطع ، فضلاً عن المحافظة على الوزن الشّعري وتنويعه وهو ما يكشف عن وعي الشّاعر بالمسألة الإيقاعية لأنها ذات تأثير كبير على المتلقي ، لكنّ العدول يتشكل في تقويض بنية أسلوب الرسالة القائم على الإخبار والتقرير . حيث عمد الشاعر إلى بناء أسلوب مغاير هو أسلوب الاستفهام والتعجّب والأمر والنّهي والنداء والترميز لبعض الحالات الشعرية بمعجم لغوي "شعبي" متداول ولكنّه يحيل إلى دلالات شعرية عميقة على نحو : رغيف يابس، المذياع، أنا بخير،أمّاه، ثوبي العتيق، صرت في العشرين، أغسل الصحون،...إلخ إن قوة الكلمات تأتي من السياق الذي وظّفت فيه في النص الشعري .

هناك مظهر آخر للعدول وهو في مضمون اللغة ،حيث إنّ الشاعر لا يريد التساؤل عن حالة الأم والوالد والإخوة والأحباب والرفاق ولا الإخبار عن حالته ، بل إنّ شكل الرّسالة ما هو إلا إيهام بهذا، قصد وضع المتلقّي في حالٍ من الدّهشة والغرابة وهو أمرٌ متحقّق في هذا النص.

تتصاعد درجةُ التعبير عن الألم والأرض والاعتراف في ديوانه :(عاشق من فلسطين) إذ تشكل النصوص الواردة فيه جدارية ملحمية للوطن ولكنّ نصَّين من أكثر النُّصوص شهرةً لدى محمود درويش في هذه الفترة هما : قصيدة" **بطاقة هوية** " و" **عاشق من فلسطين**" يمثّلان حقّ تمثيل هذا الجنوح نحو الملحمية الشعرية

الثورية ويظهر فيها تبرّم الشاعر من أوضاع بلده وغربة أهلها عليها ،واقفاً على حالات القمع والجوع والضياع يقول في نصه الأول :(22)

سجّل

أنا عربي

وأعمل مع رفاق الكدح في المحجر

وأطفالي ثمانية

أسلُّ لهم رغيفَ الخبز

والأثواب والدفتر

من الصخر

ولا أتوسّل الصدقات من بابك

ولا أصغر

أمام بلاط أعتابك

فهل تغضبْ؟

ثم يصف قريته قائلا في مقطع آخر:(23)

أنا من قرية عزلاء منسية

شوارعها بلا أسماء

وكل رجالها في الحقل و المحجر

يظهر الفلسطيني في علاقة غير توافقية مع أرضه، يعيش الكدح المستمرّ والغربة عن الفضاء / الأرض التي ظهر فيها قبل : "**ميلاد الزمان وتفتّح الحقب وقبل السرو والزيتون**" (24)كما يقول الشاعر نفسه وهي بؤرة التوتّر التي نشعر بها في هذه اللازمة الشعرية التي يكررها الشاعر : (سجّل –أنا عربيّ) وقد صيغت القصيدة في شكلِ اعترافٍ من ذات عربية متألّمة من حالها إلى مخاطَب افتراضي، قد يكون العدوّ الإسرائيلي أو أيّ فرد آخر يشعر بفظاعة احتلال الأرض ومحاولة مسخ شخصية أصحابها وتكرار اللازمة لها وظيفة دلالية لا تخفى على المتلقي وهي التأكيد على الهوية العربية بكل مكوّناتها الجينية والأركيولوجية كما يصورها الشاعر و" يلاحظ أنّ ما يجول في نفس الشاعر من أحاسيس سواء أكانت في منطقة الشعور أو اللا شعور هي التي تحدد نوع هذه الكلمة ومكانتها وزمانها نتيجة وقعها في نفسه وأثرها عليه"(25)

فيما تكشف قصيدته عاشق من فلسطين عن علاقة عشق وحلول بين الشاعر الأرض(فلسطين) ، يستعير المرأة الفلسطينية للتعبير عن الفجيعة والمأساة ،راسما الملامح الأنثوية للدلالة على الأرض والعذاب ،كما يعود إلى التاريخ القديم(الرومان) لاستعادة الوجه الفظيع للغرب، تتدرّج القصيدة شيئا

فشيئا كأنّها صور لحلم متقطّع ، مشكّلاً لوحة يتنوع فيها الأسلوب من مقام إلى آخر ،ويستهل نصها بقوله:(26)

عيونك شوكةٌ في القلب

توجعني...وأعبدها

وأحميها من الريح

ثم يردف في موقع آخر قائلا:

أنت أنت الصوت في شفتي

وأنت الماء،أنت النار

وتتعدّد الصور في شكل سردي حكائي ممزوج بأزمنة مختلفة ، الحاضر -الماضي -المستقبل ، كأنّ الأرض تحاور أقدارها وأزمنتها المختلفة ، فالشّاعر لا يتوقّف عن وصف الحال فقط بل يتخذ من الصور تلك وسيلةً للتعبير عن الأحلام الوردية والآمال في أن يرى بلده قد تغيّرت فجيعته ،يرى وجهه في مرآة وطنه المتباعد عنه ، أو المسافر فيتألّم لذلك قائلا :(27)

ولكنّي أنا المنفيّ خلف السور والباب

خذني تحت عينيك

خذيني،أينما كنت

خذيني، كيفما كنت

من الملاحظات التي تبقى في نظر قارئ محمود درويش قدرته على شدّه إليه بالأسلوب السردي الذي يتخذه وسيلة للتعبير عن رؤياه ،مستعملا رموزا كثيرة منها المرأة العربية والفلسطينية راسما لها ملامح جميلة متعددة ، كما ازدادت النبرة الملحمية في شعره ، خاصة في ديوانه هذا (عاشق من فلسطين) ،وتبقى أدواته الأسلوبية متشابهةً إلى حد كبير فهو ميَّال كثيرا إلى التعبير عن الفكرة ، بلغة لا تتردّى في الغموض ،أي أنّها لغة شعرية واضحة الدوال والتراكيب ولا يتعب القارئ كثيرا في القبض على الدلالات التي تتضمنها ولعلّ ذلك مرتبط بطبيعة التجربة والفترة الزمنية التي كان يصدر عنها محمود درويش : استعمال التكرار والرمز والإيقاع والطبيعة المستمدّ من البيئة الفلسطينية والحكي المستمر الذي يحول الصورة الشعرية ويطورها من حال إلى حال هي من بين آليات اشتغال الخطاب الشّعري عند محمود درويش هذا بالرغم مما نجده في شعره من ميل إلى التقرير أحيانا ولعلها أزمة لغة الشعر العربي المعاصر في بدايات تشكّله (28).

هوامش وإحالات:

*مقطع مأخوذ من حوار له موجود على موقعه في الأنترنت

1--صلاح فضل :أساليب الشعرية المعاصرة ،دار الآداب،بيروت ،لبنان ،ط1، 1995، ص8

2-أمجد ناصر : جدل الوطني والذاتي والجمالي عند محمود درويش، جريدة القدس العربي عدد خاص بأربعينية الشاعر،20-21سبتمبر2008

3-فخري صالح : من شاعر الوطن إلى شاعر الإنسانية ، ج/القدس (عدد خاص 20-21-2008)

4--جورج مولينيه: الأسلوبية، تر: بسام بركة ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت ،لبنان، ط2، 2006، ص14

-ينظر كذلك : شكري عياد : مدخل إلى علم الأسلوب، مشروع الطباعة ، القاهرة ،مصر 2 ،1992،ص22

5-استندنا في سيرة الشاعر والتعريف به وبأعماله مصادر مختلفة ومنها موقعه على الأنترنت وكذلك تقديمات الناشرين له في دواوينه وكتاب (محمود درويش شاعر الأرض المحتلة) لرجاء النقاش.

6-ينظر ج/القدس العربي عدد خاص مذكور

7-رجاء النقاش: محمود درويش شاعر الأرض المحتلة ،دارالهلال،مصر،ط2، دت ،ص47

8-وائل غالي :شاعر الأرض والعالم معاً،ج/القدس العربي،عدد خاص مذكور

9-محمود درويش: محمود درويش : الأعمال الشعرية الكاملة ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت ،لبنان ،ط1،1973، ص45

10-محمود درويش: المصدر نفسه ،،ص52

11-محمود درويش:المصدر نفسه،ص56

12-محمود درويش: ديوان سرير الغريبة،دار نجيب الريس،بيروت ،لبنان،ط1، 1999

13-محمود درويش: كزهر اللوز أو أكثر،دار نجيب الريس،بيروت ، لبنان،ط1، 2005

14-محمود درويش: أحد عشر كوكبا ،دار نجيب الريس، بيروت ،لبنان،ط1، 1992

15-محمود درويش:أوراق الزيتون،ص20

16-المصدر نفسه،ص22

17-المصدر نفسه،ص23

18- غاستون باشلار : جماليات المكان ،ت/ غالب هلسا ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ،ط3، 1987 ص111

19-أوراق الزيتون،ص33

20-المصدر نفسه،ص36

21-المصدر نفسه،ص42

22-محمود درويش: عاشق من فلسطين،ص33

23-المصدر نفسه،ص25

24-المصدر نفسه،ص63

25- عز الدين منصور: دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر المعاصر،مؤسسة المعارف،بيروت ،لبنان،ط1، 1985، ص64

26-عاشق من فلسطين،ص26

27-المصدر نفسه،ص38

28-ينظر عبد السلام المسدي:في جدل الحداثة الشعرية نموذج المفاصل،ضمن كتاب" الشعر ومتغيرات المرحلة" ،كتاب جماعي(عبد السلام المسدي،سلمان الواسطي، عبد الواحد لؤلؤة،فاضل ثامر)، وزارة الثقافة والإعلام ،دار الشؤون الثقافة العامة ـبغداد العراق،د.ط،د.ت،ص13

فن الاتصال ودوره في تأسيس الحوار الحضاري

–دراسة في نماذج من الشعر الصوفي النسوي–

د/ ليلى جودي

قسم اللغة العربية وآدابها

ـ جامعة الجزائر 02 ـ

الملخص باللغة العربية:

لا يمكن تخيل الحياة من غير تواصل واتصال، فالاتصال إلى جانب أهميته في التبليغ، هو فن يدل على أجمل مرحلة من مراحل الرقي الحضاري، وأي اتصال يهدف إلى إيصال المقصود بغرض الإخبار والتأثير، حسب السياقات المقامية المختلفة.

أخذ الاتصال بعدا ومكانة في الشعر عموما، وفي الشعر الصوفي خصوصا، الاتصال مع الله هو أعلى وأجل وأنفع وأكرم، وهو ما يجسده الشعر الصوفي، ولهذا أردنا تسليط الضوء على فن الاتصال، ودوره في تأسيس الحوار الحضاري، مقدمين نماذج من الشعر الصوفي النسوي.

RESUME

Le discours soufi :ce travail approche d'une problématique d'un des arts de communication, cet communication qui a fait de quelques poètes femmes soufies se distingeuent un Pont religieux soufi en vers le dieu à travers leurs poèmes puretés du purification au dieu .ce qui fait leur participation remarquable et positive dans le dialogue civisme humain, ces poèmes contient de hauts discours qui atteint le stade de la perfection à travers quelques échantillons poétiques parfaites celon l'analyse du discours

من العقل تستمد الأنسنة، ومن الحوار تستمد القوة، ومن الاستماع يستمد الفهم، ومن القرآن يستمد التشريع، ومن الاتصال بالله تتحقق العبادات والطاعات والمعاملات... وتتحول إلى عمل، على اعتبار أن النفوس على اختلافها ترتاح إلى مخاطبتها بما تكرّم الله به عليها من خطاب أزلي شد العقول بما لا ينافيها، وأخرس الألسنة بما لا يترك مجالا للريبة في أنه كلام الله، إذ من حكمة الله عز وجل أنه خلق الإنسان، ومنّ عليه بالعقل واللسان، وأوجد له القلب وحقق فيه البيان، كما أنزل له القرآن وفرض عليه قراءته والاستماع إليه والإنصات بالجنان، وكانت غايته عبادة الله عبادة خالصة له وحده، للارتقاء به إلى مستوى ما كرّمه به، وفضله على كثير ممن خلق، بترك ما يضره والإقبال على ما ينفعه؛ من أجل أن يحقق إنسانيته، بل بغية أن يعيده إلى فطرته السليمة التي خلق عليها، خاصة بعد أن توترت العلاقات

بين الناس، واختلفوا، وانشقوا، وعمّتهم الفوضى، وساد حبّ الذات نتيجة الشعور بالفراغ في الحياة والتيه في دروبها، فكان لزاما أن تردّ الأمور إلى سابق عهدها، بالعودة إلى خطاب يمثل «حضارة نصية بيانية تقوم على مقاصد الخطاب ومغزاه في عملية الفهم والإفهام». [1] لذلك كان لابد من الاتصال بالله اتصالا يليق بجلاله وعظمته، ويجلي ارتقاء الإيمان والتواصل معه، من منطلق أن الوصل «يفيد معنى الجمع بين طرفين بواسطة أمر مخصوص، فالوصل لا يكون إلا بواصل، والوصل في هذه المرتبة هو الخبر، ثم يأتي الإيصال، وهو نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم، ثم الاتصال وهو نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم، واعتبار مقصده الذي هو المستمع». [2] وإذا كان بعض الدارسين يعرّفون الاتصال على أنّه كشف ما جاء في مادة الخطاب مهما كان نوعه وعرضها، وأن فيه من الإبلاغ والإعلام والإخبار ما فيه؛ أي نقل خبر من طرف لآخر وإخباره به وإطلاعه عليه، وأنّه يقصد من ورائه إحداث علاقة مع شخص أو شيء ما أو طرف ما، كذلك يشير إلى فعل التوصيل إضافة إلى أنّه يعني التبليغ؛ أي توصيل شيء ما إلى طرف ما وإلى نتيجة ذلك الفعل، ويدلّ أيضا على الشيء الذي يتمّ تبليغه والوسائل التقنية التي بها يتم التواصل، [3] أقول إذا كان الاتصال يقوم بهذه المهمات كلها، فإنّا نراها مهمات يؤديها الاتصال، وليست تحديدا للمفهوم؛ ذلك أنّ الإيصال هو الإبلاغ الذي يشترط وجود بلاغ ومبلِّغ ومبلَّغ، ولا يشترط من هذا الأخير التجاوب سلبا أم إيجابا. في حين يشترط التواصل ما يشترطه الإيصال، إلا أنّه متعلق بوجود تجاوب من المبلَّغ بل يؤكّده، حتى يحقّق وجوده و وجود النص أيضا، وإن كان حرا مخيرا بين قبوله أو التولي عنه، مما ينتج عنه «علاقة حوارية حرة بين فئات المجتمع المتعددة والمتباينة إيديولوجيا وطبقيا، علاقة تتوخى بناء وعي بمنأى عن ضغط المؤسسات والأجهزة». [4] والمهم في كل هذا أن ذكر الله في النفس والقلب وبكل الجوارح في كل مكان وزمان وبمختلف الأعمال والأقوال التي أمر بها الله هو الايصال وحسبنا أنك إذا ذكرتَه فأنتَ تخاطبُه. [5]

ومن هنا جاءت طائفة من الناس أناخت على باب الله عز وجل، راجية رحمته وعفوه وكرمه، بل أن تصل إلى حبه بعد أن أخلصت في حبها له. نعم! لقد أقبلت رابعة العدوية وأخواتها المتصوفات وهن يلهجن بدعاء مفاده "إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي". وأدركن أن الاتصال فن لا يتقنه إلا من امتلك حكمة عظيمة أساسها العلم والعقل وقبلهما القلب، فقالت رابعة وقد توجهت إلى ربها وحده لذاته بعبارات لا تحمل خوفا من النار ولا طمعا في الجنة [6]:

أحبك حبين: حب الهوى * وحبا لأنك أهل لذاكا**

فأما الذي هو حب الهوى * فشغلي بذكرك عمن سواكا**

وأما الذي أنت أهل له * فكشفك لي الحجب حتى أراكا**

فما الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاكا**

كما قالت إحداهن وهي تحفة وقد هامت في حب الله بلحن حنون:

معشر الناس ما جننت ولكن* أنا سكرانة وقلبي صاح**

أغللتم يدى ولم آت ذنباً * غير جهدي في حبه وافتضاحى**

أنا مفتونة بحب حبيب * لست أبغى عن بابه من براح**

ماعلى من أحب مولى الموالي* وارتضاه لنفسه من جناح**

وقالت حيونة خادمة الله، عندما لامها الخلق على الحال التي آلت إليها، نحافة واسودادا، من كثرة صيامها وطاعاتها، فآلت على نفسها أن تظل في خدمة الله حتى لا يبقى لها عصب ولا قصب:

يا ذا الذى وعد الرضا لحبيبه * أنت الذى ما إن سواك أريد**

وفي ذات السياق قالت عائشة الباعونية الدمشقية، وهي التي جمعت بين العلم والشعر والصلاح والدين والزهد:

حبيبي أنت من قلبي قريب * وعن سرّي جمالك لا يغيب**

خلعت الحسن في خلع التجلي * فشاهدت الجمال ولا رقيب**

وأبدت الوصال فلا صدود * ولا وهم ولا شيء يريب**

إذا هي نفحات حب وشوق لملاقاة الله في الدنيا والآخرة، تتصاعد رافلة في جو فني بديع، لا ينتهي بانتهاء النص أو كلماته أو حروفه، إنه ببساطة يمثل خلاصهن، "فالمخلوق يحن إلى خالقه بضرورة وجوده، لا يجد محبوبا أسمى من الله، ولا غنى إلا به، ولا جمالا إلا في التشوق إليه". [7]

نعم. إنها طائفة من شاعرات الحب الإلهي، تلذذن بمناجاة الله في انتشاء دال على عظم حبهن لعظيم فروا إليه، وكلهن شوق ولهفة لمخاطبته، فهو المنطلق والمنتهى، وهو الأول والأخر، ينقطعن إليه وحده دون سواه، حياءهن نزع بقلوبهن إلى دوام الحضور مع حبيبهن، فهن يؤثرن طاعته للدلالة على محبته، فلازمن دين الله وقرآنه وسنته، وأحببن الخلوة والوحدة في صدق وصفاء وحسن وفاء وحمل الأذى، فنلن بذلك الدرجة الرفيعة، على اعتبار أن "التصوّف هو كلّ عاطفة صادقة، متينةِ الأواصر، قوية الأصول، لا يساورها ضعف، ولا يطمع فيها ارتياب" [8].

ولئن كان التصوف "ذكر مع اجتماع، ووجْد مع استماع، وعمل مع اتباع" [9]، فإنه حق لنا أنا نقول أن الاتصال هو أعلى درجات المقاصد لديهن في حياتهن الدنيوية، فهو إذا بلغَ مرتبة الإحسان أصبح اتصالهن اتصال وجود، امتثالا لما جاء في الحديث القدسي قوله تعالى: "ابن آدم أُطلبني تجِدْني، فإذا وجدْتني وجدْتَ كلّ شيء، وإذا فتُّكَ فاتكَ كلّ شيءٍ، وأنا أحبّ إليك من كلّ شيء"، على أساس أن الله يحب أن يقبل العبد عليه بكل جوارحه بإخلاص واستقامة، ويسمعه صوته بكل وله واشتياق، فيقذف الله في قلبه نوراً يريه الحق حقاً والباطل باطلاً والخير خيرا والشر شرا.. وإذا علت المرتبة أكثر ارتقى إلى اتصال الشهود، وهو اتصال الحال والمعرفة، فالحياة الحقيقية حياة القلب، المتصل دوما وأبدا بالله مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم عن أنس بن مالك: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ

يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ" [متفق عليه]

ونحن هنا نجمع بين «الحوار المتبادل في مظهره العقلاني، المقرون بسياق لغوي تداولي، يعتمد البرهان وأسلوب المحاججة»، [10] وبين الاتصال لما لهما من مزية كبيرة في تحقيق فاعلية الخطاب، فهذه حيونة تقول: "**من أحب الله أنس، ومن أنس طرب، ومن طرب اشتاق، ومن اشتاق وَلِه، ومن وله خرُم، ومن خرم وصل، ومن وصل اتصل، ومن اتصل عرف، ومن عرف قرب، ومن قرب لم يرتد وتسوّرت عليه بوارق الأحزان**" [11]، فالمحبة هي اشتغال القلب بالمحبوب، ومعها يأتي الأنس بذكر الله، وهي بالمقابل نقيض الوحشة، وحضور أحدهما يعني غياب الآخر، وبالمحبة تتحقق بالمعرفة، إذا هي سلسلة تمتد حلقاتها لتحدث الاتصال خاصة إذا علمنا أن: "المعرفة بالله تورث المحبة له، والمحبة لله تورث الشوق إليه، والشوق إليه يورث الأنس به".

إذا هي نفحات صادقة دالة على فنون الاتصال وأشكاله، حيث أوضحت هذه المقولة الراقية أن الاتصال هو العملية التي يتم من خلالها نقل رسالة معينة أو مجموعة من الرسائل من مرسل أو مصدر معين إلى مستقبل، والرسالة هنا تحمل حبا تأنس له النفوس، وتطرب شوقا وولها يقرب من الله، ومن ثمة تتحقق المعرفة الحقة، هكذا استطاعت حيونة وقريناتها نقل طاعاتها وعواطفها نقلا متأججا أمينا، باعتبار أن الاتصال هو نقل أو انتقال للمعلومات والأفكار والاتجاهات أو العواطف من طرف لآخر. وهو أيضا عملية تفاعل تحدد الوسائل والهدف الذي يتصل أو يرتبط بالآخرين، ويكون من الضروري عدّه تطبيقا لثلاثة عناصر أساسية هي العملية والوسيلة والهدف.

إنّ المطلع على شعر بعض المتصوفات سيجده يطرح قضية التعامل معه سمعا، وإنصاتا، وبصرا وبصيرة، وعقلا وقلبا... تفعيلا للاتصال الجاد، وقد كانت رابعة العدوية أول من قصّد قصيد التصوّف، إذ نجد لها قصائد وأبيات حوت من السمات الراقية ما أهلها أن تتبوأ منزلة عالية فاقت قريناتها من النساء من أمثال حيونة وتحفة وعائشة الباعونية... ونافست أقرانها من الرجال ممن ذاع صيتهم وانتشر بعدها من أمثال السري السقطي وجلال الدين الرومي وسهل التستري... وغيرهم كثير. وقد أيقنت جميعهن أن الاتصال هو أس وجود العبد وعبوديته، يقين اقتضى الاتصال بالله عز وجل في كل وقت وحين وفي كل مكان اتصالا حسنا يليق بجلاله وحده، ويوطد العلاقة به؛ لتنتقلن إلى منزلة أرقى، تسمهن ربانيات في ظل تغييب الغفلة واستحضار القلب السليم، لا لشيء إلا لأنهن فقهن قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ فاطر15، فانشغلن عن الدنيا ومتاعها بما فُرض عليهن من طاعات وعبادات لمعرفة الله والاتصال به لتطبيق أوامره، ومن ثمة الاعتصام بحبل الله المتين، وكلهن توكل على الله وإنابة وورع.. وكم تألمن لانشغال قلوب الناس بحب الدنيا عن الله تعالى، تقول رابعة العدوية:

لكلِّ شيءٍ عدمتُهُ خَلَفْ ***وما لفقْدِ الحبيبِ مِنْ خَلَفْ

وتقول:

تنادمني وتسقيني مدامي * ويحضرني لديك فلا أغيب**

وتذكرني وتشهدني جمالاً * تقدّس أن يكون له ضريب**

فلا خوف وأنت أمان قلبي * ولا سقم وأنت لي الطبيب**

ولا حزن وأنت سرور سرّي * ولا سؤال وأنت لي الحبيب**

وبهذا فهن يرتقين من منزلة إلى أخرى دلالة على تشرب قلوبهن الإسلام، الذي سرعان ما ارتقى إلى درجة الإيمان فالإحسان، ويكفينا بيانا قول رابعة بنت سليمان الشامية [1] [2]:

حبيبي ليس يعدله حبيب * ولا لسواه في قلبي نصيب**

حبيب غاب عن بصري وسمعي * ولكن في فؤادي ما يغيب**

والحق أن القصيدة الصوفية هدفها الرئيس تمجيد الذات الإلهية أو مدح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لذلك انشغلت الشاعرات الصوفيات بإنزال الله في خطابهن منزلة حسىة، وأيقن أنه يُحِبُّ وىُحَبُّ، بل واجب حبه، فأفضين إلىه بمكنوناتهن، ووقفن عند أعتابه عساهن يلقين ردا بالقبول، فقد قالت رابعة العدوية أرقى ما باحت به النفس البشرية:

أحبك حبين حب الهوى * وحبا لأنك أهل لذاك**

فأما الذي هو حب الهوى * فحب شغلت به عمن سواك**

وأما الذي أنت أهل له * فكشفك لي الحجب حتى أراك**

فما الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاك**

هذه الأبيات وإن أعملت رابعة قلبها بشدة، إلا أن عقلها كان حاضرا بقوة ،عندما وعت أن حب الله جاء نتيجة لإحسانه إليها وتكرّمه عليها بجزيل النعم، وقد تمكنت من الفصل بين نوعين من الحب: هو هذا الحب الذي ذكر الآن، وهو حب الهوى الذي شغلها بذكر الله تعالى عمن سواه، وحب آخر يليق بجلاله وعظمته، وقد استقر بها المقام عند مقام حب الله بما هو أهل له، وذلك حين انكشفت عنها الحجب لترى جمال الله الأزلي.

وغير بعيدة عنها نجد تحفة المتصوفة التي حلّقت في سماء المنتشين بحب الله في أسمى مقامات الرقي الروحي، حيث تحضر النفس المطمئنة السعيدة بحبيبها الذي ملأ جوانحها، وملك كل جوارحها، وقد قالت:

وحقك لا نقضت الدهر عهداً * ولا كدرت بعد الصفو ودا**

ملأت جوانحى والقلب وجداً * فكيف أقر يا سكنى وأهدأ**

فيا من ليس مولى سواه * نراك رضيتنى بالباب عبدا**

وقد حققت هذه الأشعار خصوصيتها المتفردة، التي تجلت أكثر ما تجلت في تلك التجربة الباطنية الصادقة، التي أفصحت عن الشعور بألم المعاناة، ورسمته كلمات خالدة، بعد أن جالت في مناطق قصية من النفس البشرية السوية، لتكتشف المجهول برؤى تغوص في الأعماق. وبهذه الصورة تتمظهر أرقى الوسائل التي يتوازن بها الاتصال ويكتمل ليتحول إلى تواصل مكتف بنفسه؛ ذلك أنّ «كلّ تواصل لغوي يقوم بناء على شكل من أشكال الحوار». [13]

ثم إنّ الذي يتمعن في بعض أبياتهن الشعرية يجدها قد مثلت جوهر الإنسان، وممّا يؤكّد هذا الحب الذي هو نعمة ملازمة للروح، وجوهر العبادة، وسر الوجود، وهو ما رسمته الشاعرة رابعة الشامية التي قالت فأطربت القلوب عشقا لمولى واحد أحد [14]:

يا حبيب القلب يا كل المنى * جد بوصل منك يشفي مهجتي**

يا سروري وحياتي دائما * نشأتي منك وأيضا نشوتي**

قد هجرت الخلق جمعا أرتجي * منك وصلا فهو اقصي منيتي**

وزادي قليل ما أراه مُبلّغي* ألزاد أبكي أم لطول مسافتي**

أتحرقُني بالنار يا غاية المنى* فأين رجائي فيك أين مخافتي**

حيث ذكرت جملة من الثنائيات الضدية مثل الهجر والوصل .. إذ خصت كافة الخلق بالهجر وأفردت الوصل لله وحده دون سواه كما كررت بعض الكلمات كالمنى التي تكررت لفظا ومعنى وبصيغ مختلفة، ليس عجزا منها وتقصيرا، وإنما لانشغالها بمناجاته ونيل رضاه، عن التلاعب بالكلمات والعبارات، وفي هذا إشارة صريحة إلى أنّها تمثل شيئا واحدا "الوصال". فهذا هو همها وهذه هي غايتها، وهي هنا غير بعيدة عن الذي باحت به رابعة العدوية عندما قالت:

يا حبيب القلب ما لي سواك * فارحم اليوم مذنبا قد أتاك**

يا رجائي وراحتي وسروري * قد أبى القلب أن يحب سواك**

وقالت كذلك:

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضي والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر * وبيني وبين العالمين خراب**

إذا صح منك الود فالكل هين * وكل الذي فوق التراب تراب**

فهذه الشاعرة كما غيرها من الشاعرات المتصوفات وظفن لغة تعبيرية وصّفت حالاتهن المتابينة، التي تراوحت بين الحضور والغياب، وبين الاتصال والانفصال، وبين الصحو والسكر، فهن دوما في تنقل بين عالمي الشهادة والغيب، خوفهن من الله يقبضهن، ورجاءهن منه يسرهن، كما ذهب إلى ذلك السلف من المتصوفة.

إذ كلما اتسعت الرؤى، ضاقت العبارة عندهن، بوصف التجربة الروحية أعمق من التجربة الشعرية، فرمزىة الخمر فيها دلالة على كثرة الشرب من كأس المحبة، وما ارتوين رغم سكرهن، وعلى هذا الأساس، وفر الرمز والحب الإلهي للمتصوفة استرتىجىة تواصلىة لا تهدف إلى الكشف بقدر ما تهدف إلى الحجب، وهذا ما نجده عند رابعة العدوية في قولها:

وأما الذي أنت أهل له * فكشفك لي الحجب حتى أراك**

إن تحقيق الاتصال فن يدل على أجمل مرحلة من مراحل الرقي الحضاري، حينما يتواصل البشر مع ذواتهم أولا، ثم مع غيرهم ممن يحمل ذات الانشغال، ثم قبلها وأثناءها وبعدها، أعني بهذا في كل حركة وسكنة، مع المولى رب السموات والأراضين، وبخاصة إذا علمنا بأن الاتصال مع الله هو أعلى وأجل وأنفع وأكرم.

إنّ مفهوم الاتصال مع الله ليس مجرد صوت ينقل، وصورة حركية تنجز، وإنّما يحيل إلى أعمال ملموسة، وقلوب مخلصة، تكون زادا كافيا طيلة المسير في الدنيا الزائلة، ولا يتأتى هذا إلا إذا تم إعمال القلب خاصة بالنسبة إليهن، فهو «مركز الإيمان ومحل الكفر»، [15] حيث احتكم القرآن إليه لتأكيد حقيقة الخطاب من خلال الدور الذي أسند إليه، فحث القلب على التبصر والنظر والتدبر، على اعتبار أن البصيرة قوة للقلب المستنير بنور القدس، يرى فيها حقائق الأشياء وبواطنها بمنزلة البصر للنفس، ويرى به صور الأشياء وظواهرها، وهي التي يسميها الحكماء العاقلة النظرية والقوة القدسية؛ [16] إذ تزداد بصيرة القلب كلّما أعمل الإنسان عقله، ليدرك فاسد الأشياء من صالحها، وعاش يتأمل الكون ويتفكر، ويذكر الله قائما وقاعدا وراقدا على جنبه، فالقلب من منظورهن حياة الإنسان؛ لأنّه بإمكان الإنسان أن يستغني عن السمع والبصر، ولكنّه يستحيل عليه التخلي عن عقله أو قلبه، حيث إنّه إذا فقد عقله سقط عنه التكليف، وإذا حرم قلبه قطع عنه التواصل وأقفل، كما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ سورة محمد ـ الآية 24، لذلك كان لصوت العقل والقلب قدرة خارقة على ولوج عالم الخطاب فقلن:

معشر الناس ما جننت ولكن*أنا سكرانة وقلبى صاحى**
ملأت جوانحى والقلب وجداً * فكيف أقر يا سكنى وأهدأ** [17]

حبيبي أنت من قلبي قريب * وعن سرّي جمالك لا يغيب**
فلا خوف وأنت أمان قلبي * ولا سقم وأنت لي الطبيب**
حبيبي ليس يعدله حبيب * ولا لسواه في قلبي نصيب**
حبيب غاب عن بصري وسمعي * ولكن في فؤادي ما يغيب** [18]

إني جعلتك في الفؤاد محدثي * وأبحت جسمي من أراد جلوسي**
فالجسم مني للجليس مؤانس * وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي** [19]

يقول ابن القيم: "ففي القلب شعث، لا يلمه إلا الإقبال على الله. وفيه وحشة، لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته. وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته. وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات: لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه. وفيه طلب شديد: لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه، وفيه فاقة: لا يسدها إلا محبته، والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له. ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة منه أبدا" [20].

ولئن جعل الله سبحانه من القلب محلاً لعبوديته، فإن رابعة العدوية وزميلاتها في التصوف أتين طائعات وجعلن قلبهن حاضرا حيا، لا يجد راحته إلا عندما يتصل بربه حبا واشتياقا وخوفا ورجاء ومحبة وتوبة وصبرا وأنسا ورضا وطمأنينة، لذلك قلما كن يهجعن هجعة خفيفة، وقد قضين الليل كله في صلاة وذكر.. وكن يصمن إلى حد الهزال والاسوداد.. وبالجملة كن يتقربن إلى الله بما فرض عليهن، ويردفنه بالنوافل، وفي هذا يقول ابن القيم: "دخلت على الله من أبواب الطاعات كلها، فما دخلت من باب إلا رأيت عليه الزحام، فلم أتمكن من الدخول حتى جئت باب الذل والافتقار، فإذا هو أقرب باب إليه، وأوسعه ولا مزاحم فيه ولا معوق، فما أن وضعت قدمي على عتبته، فإذا هو سبحانه أخذ بيدي وأدخلني عليه".

وإذا كان القلب هو وعاء الرسالة السماوية؛ فإنه يعني أنّه أُعطي من الثروة العلمية الربانية ما يفوق علم البشر؛ ألا وهو كتاب الله، [21] الذي يقول فيه: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ**﴾ سورة التكوير ـ الآية 23، والأفق المبين، تفسيرا، مطلع الشمس من قبل المشرق، وقيل: أقطار السماء ونواحيها. أما تأويلا؛ فهو نهاية مقام القلب. [22]

ولئن كان القلب يسهم في إيجاد صيغة للتفاعل والتعامل الحضاري الراقي، فإنّ هذه الآلية الحسية قد تصاب بالفساد. ونحن هنا لا نعني إصابة هذا الجهاز على المستوى الفيزيولوجي وتعطله، ولكنّ الأمر متعلق بالطبع على القلوب وإقفالها من قبل الإنسان نفسه، فلا يقبل تلقي الرسالة، ويعمل على تعطيل جهازه، الذي منّ الله به عليه في نسق فريد دقيق يجعل منه إنسانا بحق، فهو ممن يسارعون في الكفر بعد أن اضطربت نفسه، وضاق صدره، ونفر من صوت الحق جحودا ونكرانا، فهو يتخذ كلّ هذه الصفات ومثيلاتها، عدا أن يكون إنسانا؛ لأنّه غلّق على قلبه فكان من الغافلين الخالدين في جهنم، وهو الشيء الذي جعلهن يتألمن من انشغال قلوب الناس بحب الدنيا عن الله تعالى من ذلك قول رابعة العدوية:

لكل شيء عدمته خلف * وما لفقد الحبيب من خلف**

تعصي الإلـه وأنت تظهر حبه* هذا محال في القياس بديـع**

لو كان حبك صادقـاً لأطعتـه * إن المحب لمن يحب مطيـع**

في كل يومٍ يبتديـك بنعمـةٍ * منه وأنت لشكر ذاك مضيع**

وفي المقابل نجد إنسانا سويا، يؤمن بأنّ كلّ ما في الكون سُخِّر له بما فيه هذا الجهاز، إذ سبحانه ما خلقه باطلا، لقد سمع نداء ربّ العالمين، فكان من الذين يسارعون إلى الإيمان، بعد أن اطمأن قلبه وانشرح صدره، وبهذا كان إنسانا عاقلا حساسا، أعمل كل جزئية فيه قبل أن تشهد عليه، وكانت له عقبى الدار، فهذه الحالات التي تنتاب الإنسان صورتها الشاعرات المتصوفات تصويرا دقيقا بارعا حين قالت رابعة الشامية:

إني جعلتك في الفؤاد محدثي * وأبحت جسمي من أراد جلوسي**

فالجسم مني للجليس مؤانس * وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي**

ومن جميل ما قالته رابعة العدوية:

لم أجد لي عن هواه عوضا * وهواه في البرايا محنتي**

حيثما كنت أشاهد حسنه * فهو محرابي إليه قبلتي**

إن أمت وجداً وما ثم رضا* واعَنَائي في الورى أوشقوَتي**

كذلك آثرت ريحانة الصوفية الحياة الأخرى على الحياة الدنيا فقالت:

حسب المحب من الحبيب بعلمه * إن المحبّ ببابه مطروح**

والقلب فيه أن تنفس في الدجى * بسهام لوعات الهوى مجروح**

وقالت تحفة تتحرق شوقا لملاقاة الله:

محب الله في الدنيا سقيم * تطاول سقمه فدواه داه**

سقاه في محبته بكأس * فأرواه المهيمن اذ سقاه**

فهام بحبه وسما اليه * فليس يريد محبوبا سواه**

كذلك من ادعى شوقا إليه * يهيم بحبه حتي يراه**

ومن هذا المنطلق عدّ الاتصال بالله المحرّك الأمثل للقلوب المتعلقة بذكر الله والنفوس المطمئنة في ظل حضور التواضع والخنوع والإذلال أمام الواحد القهار من دون قسر أو إكراه.

بحثت رابعة العدوية عن محبة خالدة فلم تجدها إلا في الله والاتصال به مجسدة الحب للحب وقد أسست أركانه ودعت إليه فقالت:

يا سروري ومنيتي وعمـادي * وأنـيـسـي وعـدتـي ومـرادي**

أنت روح الفؤاد أنت رجائـي * أنت لي مؤنس وشوقك زادي**

أنت لولاك يا حياتي وأنسـي * مـا تـشـتت في فـسـيـح البـلاد**

كم بدت منةٌ، وكم لك عنـدي * مـن عـطـاء ونـعـمـة وأيـادي**

حبـك الآن بغيتي ونعيـمـــي * وجـلاء لعيـن قلبـــي الصـادي**

إن تكـن راضيـاً عنـي فإننـــي* يا منـى القلب قد بـدا إسعـادي**

وناجت تحفة ربها قبيل الفجر فقالت:

قد تصبرت إلى أن * عيل من حبك صبري**

ضاق من غلي وقيدي* وامتهاني فيك صدري**

ليس يخفى عنك أمري * يا منى قلبي وذخري**

أنت قد تعتق رقي * وتفك اليوم أسري**

وقالت حيونة وهي ترفع طرفها إلى السماء:

يا ذا الذي وعد الرضا لحبيبه ***أنت الذي ما إن سواك أريد

وقد جاءت هذه الأبيات في مناجاة حوارية داخلية استلزمت موقفا خطابيا نموذجيا، ذا بنية لغوية متناسقة، أهلتهن لبسط حبهن والبوح به، وقد شكلت بالنسبة إليهن اللبنة الأولى للاتصال الصحيح؛ لأنّه يلعب دورا مركزيا في بلورة العملية التواصلية، وإبراز قدرة الإنسان على التأثر والتأثير في المتلقين وكسبهم، «فبقدر ما يصل المتحاورون إلى الاتفاق يمكن للحوارات عندئذ أن تتواصل وتقترب من الحقيقة، إذ يتخطى الحوار الحقيقي الذاتانية والرأي الذاتي للمشاركين. فاللوغوس لا يمكن أن يكون ملكك أو ملكي، بل يبقى مشتركا بين ذاتية المتحاورين، ورهينا بالتذاوت ـ Intersubjectivité، وهو ما يجعل للحوار فاعلية كبرى، تمكّن كلّ متحاور أن يصل إلى رؤية الحقيقة ومن موقعه الخاص به». [23]

وهو ما أفصحت عنه الشاعرة عندما قالت:

معشر الناس ما جننت ولكن*أنا سكرانة وقلبى صاحى**

لم غللتم يدى ولم آت ذنباً * غير هتكى فى حبه وافتضاحى**

أنا مفتونة بحب حبيب * لست أبغى عن بابه من براح**

إذا فلهذا النوع من الشعر مزاجه الخاص في التواصل، خاصة حينا يصل إلى أطراف أخرى عن طريق الحوار والجدال والحجاج، بالرّد على المخاطِبين المخاطَبين ومسايرتهم، وهو الأمر الذي عرف عند بعض الدارسين بـ"العقلانية التواصلية" التي تسعى إلى ضبط علاقة الفرد بالآخر، ضمن إطار أخلاقيات المناقشة والحوار القائم على المساواة، وهي في الوقت ذاته تكفل شروط التفاعل السليم والحوار المتبادل... وتحدد الشروط السليمة والكفيلة بامتحان مصداقية ومعيارية أي خطاب يدّعي لنفسه الصلاحية على ما عداه من الخطابات. [24] «لأن الناس إنّما يكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده». [25] ونضيف الى هذا أن فنون التفاعل هي «جوهرة العلاقات الإنسانية، التي تضع المتلقي وسط المجال ليتفاعل مع الرسالة، ويشارك في صناعة القرار». [26]

راحتي يا إخوتي في خلوتي * وحبيبي دائما في حضرتي**

فتتم الاستجابة من قبل الذين يسمعون الكلام، ويبصرون آيات الله، ويتدبرونها بقلوبهم، ويتفكرون فيها بعقولهم، يستعينون بالمدخل الأس الذي زوّدهم الله به، القلب، الذي يمثل نسقا متكاملا يشكّل الأداة التواصلية التي تبحث عن جمالية تهادن القلب، وتضبط النفس، وتحرّك الحواس ليكون أليق بهذه المناجاة الربانية، فليس عبثا أن يذكّرنا الله تعالى بالقلب ومكانته، وضرورته، ونفعه، وقيمته؛ لأنّ النفس تزداد خشوعا بالذكر الذي دعا إليه الله، فكانت هذه المناجاة وهذه الأبيات أكثر وقعا وإيصالا، حيث إنّ قوتها لا تكاد تظهر ولا تصل مداها إلا بحضور المخاطب المتواصل.

لقد ذاقت الشاعرات المتصوفات حلاوة القرب من الله بالدعاء، واستلذذن ببراعة الرجاء وألِفن سمع جميل المنى، فاستقام في قلبهن هواه، وتهيّأن ليرين رحمته وقد أنخن على بابه، كذلك فإن دورانها في اللسان وقد لاكت كلمات العفو والرضا جعلها تغبّ* في القلب وتختمر في الصدر، [2 7] فهمن وسكرن بحبه، وصحين على وصله، والبقاء به، ولا أدل على ذلك من قول تحفة:

معشر الناس ما جننت ولكن*أنا سكرانة وقلبى صاحى**

وقول رابعة العدوية:

يا طيب القلب يا كل المنى * جد بوصـــل منك يشفي مهجتي**
قد هجرت الخلق جمعا أرتجي* منك وصلا فهو أقصى نشوتي**

ويضاف إلى كل هذا أحلى وأرق بل وأوعى ما ذكرته ميمونة، وهي تعرض التجربة الروحانية الوجدانية التي يعيشها السالك المسافر إلى ملكوت الحضرة الإلهية والذات الربانية، من أجل اللقاء بها وصالا وعشقا، بل تحلية وتخلية وتجل، إنها ببساطة تشيد بالعارفين السالكين الذين يحبون الله، ويسلكون في تجلدهم الروحاني مقامات وأحوالا من أجل الاتحاد بالله ومعانقته، والاتصال بجبروته وقدسيته النوارنية بقلوب مبصرة وعيون ترى ما لا يراه الناظرون، وهم يطيرون في الملكوت بأجنحة لا ريش لها، وكل هذا كناية عن حال الوجد والانخطاف التي يعيشونها تقول:

قلوب العارفين لها عيون * تري مالا يري للناظرينا**
وألسنة بأسرار تناجي * تغيب عن الكرام الكاتبينا**
وأجنحة تطير بغير ريش * إلي ملكوت رب العالمينا**
ترتع في رياض القدس طرا ***وتشرب من بحار العارفينا
لهم لهج بذكر الله دوما * فلا تلقاهم إلا ذاكرينا**
تراهم تاركين لكل شغل * إلي داعيهم متسابقينا**
فغابوا عن نفوسهم وعنهم * وعن زوجاتهم وعن البنينا**
عباد أخلصوا لله حتي * دنوا منه وصاروا واصلينا**

ومن هنا حقق الاتصال جدواه، لذلك كان شأنه أرفع، ونفعه أجدى، وبالتالي فقد جعل الله الاتصال به خصيصة ملازمة للقلب والعمل محققة لرحمة الله، وجعل كلا من الدعاء والرجاء يحظيان فيه بأوفر نصيب لتأكيد الاتصال وتثبيته.

إذا فالباعث إلى الاتصال بالله يهدف إلى زيادة الإحساس بعظمة الله والقرب منه أكثر فاكثر، في صوت ينصهر مع كل ترغيب وكل ترهيب، ليتحول إلى كلمات تنبض بالحياة، وتستحيل كلّ كلمة إلى روح متأصلة، خاصة وأنّ كلّ توسل وتعلق بالمولى تعالى يمثل عنصرا مهما في فاعلية اللقاء والارتقاء في معارج المتصوفات، بوصفها تتضمن ضروبا من الدلالات التي تمنح شعر المتصوفات ثراء جماليا متجددا، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ فاطر ـ الآية 10.

والصحيح أن هذا النوع من الكلم الطيب جعل من عبادة رابعة تتجاوز مرحلة الخوف من النار والفوز بالجنة إلى مرحلة أسمى هي حب الله بعيدا عن الطمع فهي لا ترضى عنه بديلا، تقول:

كلهم ىعبدونك من خوف نار * ويرون النجاة حظا جزىلا**

أو بأن ىسكنوا الجنان فىحظوا * بقصور وىشربوا سلسبىلا**

لىس لي في الجنان والنار حظٌ * أنا لا أبتغي بحبي بدىلا**

وفي ضوء هذا التذوق الجمالي لبعض شعر الحب الإلهي لدى بعض المتصوفات بعد الاطلاع على بعض الأبيات يمكننا القول: إنّ الاتصال هو بمنزلة اللبنة الأساسية التي تستقر عليها المعاني في النفس، إذ إنّ نجاح إعمال القلب متوقف على مدى قدرة الشعر الصوفي على تحريك المخاطَب، وتفعيل مقدرته الحسية، ثم العمل به، وعليه فقد عدّ الاتصال ظاهرة لها جمهور يتّسع لكل من يتصل بالله، فيعمل على تكوين أناس أو يعيد تكوينهم، أي تقويمهم وتغييرهم على نحو سليم، نام، يمنحهم درجات من الرقي الفكري والسمو الروحي، فيحيي نفوسهم معنويا، وينمي شعورهم بالجمال العام الذي يحيط بهم، ويهذبهم إن على مستوى حب الله وإن على مستوى النفس أو الآفاق لقول رابعة العدوية:

عرفت الهوى مذ عرفت هواك* وأغلقت قلبي عمن سواك**

وكنت أناجيك يا من ترى* خفايا القلوب ولسنا نراك**

أحبك حبين حب الهوى * وحبا لأنك أهل لذاك**

فأما الذي هو حب الهوى* فشغلي بذكرك عمن سواك**

وأما الذي أنت أهل له * فكشفك للحجب حتى أراك**

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاك**

أحبك حبين.. حب الهوى * وحبا لأنك أهل لذاك**

وأشتاق شوقين.. شوق النوى * وشوق لقرب الخلي من حماك**

فأما الذي هو شوق النوى * فمسري الدموع لطول نواك**

أمــا اشتيــاق لقـــرب الحمـــى فـ * نــار حيـــاة خبت فـــي ضيــاك**
ولست على الشجو أشكو الهوى * رضيت بما شئت لـي فـي هداكـا**

وقول عائشة الباعونية الدمشقية:

حبيبي أنت من قلبي قريب * وعن سري جمالك لا يغيب**
خلعت الحسن في خلع التجلي * فشاهدت الجمال ولا رقيب**
وأبدت الوصال فلا صدود * ولا وهم ولا شيء يريب**
وطفت علي في حان التصابي * بكأس عيش شاربه يطيب**
براح نلت أقصى الري منه * وفي زي تراءت لي الغيوب**
وزالت باستوا شمسي ظلالي * تجل ليس يعقبه غروب**
وصرت إلى مقام ليس فيه * سواك حبيب قلبي له نصيب**
تنادمني، وتسقيني مدامي * ويحضرني لديك فلا أغيب**
وتذكرني، وتشهدني جمالاً * تقدس أن يكون له ضريب**
فلا خوف وأنت أمان قلبي * ولا سقم وأنت لي الطبيب**
ولا حزن وأنت سرور سري * ولا سؤل وأنت لي الحبيب**

ونحن هنا إذ نورد هذه الأبيات على طولها فلنوضح أن المتكلم إذا اندفع في الكلام مخبرا لزم أن يكون قصده إفادته المخاطب، [28] ويكون بهذا قد أعطى العقول مستوى أرفع عن طريق القلب المستبصر، لنؤكد أن شعر المتصوفات بناء حضاري غير محدود الزمان أو المكان؛ ما يعني أنهن قدوة سعين إلى تعليم الناس كيفية الاتصال برب الناس.

ولئن كان الاتصال أمرا من الله ملزم القارئ بالامتثال لأوامره ونواهيه، فهذا لأن غايته التأثر الـذي هـو تبديل في المنحى وتغيير في السلوك وتحريك للنفوس وتقويم للفكر، وبخاصة أن فن الاتصال واحـد مـن أهم الإشكاليات الحضارية التي تواجه صيرورة الوجود الإنساني، وقد طرحتها الشاعرات المتصوفات في أسلوب هو في حقيقته موجّه إلى جهة القصد الذي لا يخلو من المعنى والدلالـة والحقيقـة، الـتي تكتسـي بعدا جماليا خطيرا، وهو أمر يسعى المتلقي دوما إلى الوصول إليه، مضافا إليه البحـث عـن الـذات وعـن الهداية، ثم عن حب الله ورضاه، في أبيات بيّنت أساس الصلة بين العبد وربه، وعرّفت بالله الذي ينبغـي أن يفرد بالعبادة دون سواه، وأن تسلم إليه الوجوه وتعنوا، بإخلاص العمل له وحـده، فـذكرت صـفاته العليا ونزهتها، وأبرزت أسماءه الحسنى وأثبتتها، ونطقت بآيات قدرتـه في الأنفـس والآفـاق، وتحـدثت عن رحمته وجبروته في مشاهد حية تدرك بالأسماع والأبصار والقلوب والعقـول؛ لأنهـا خاطبـت كـل حاسة في الإنسان، وكلّ جارحة في كيانه البشـري ليتجـه إلى ربـه، فيتفكـر في صـنع الله ويتـدبر في آياتـه وعظمة صاحبها.

والحق أن هذه الأبيات مارست وظائفها «من خلال عمليات إعلامية بحتة تشمل جميع صور الاتصال». [29] وقد تمثل هذا واضحا في هذه الأبيات التي نظمتها ريحانة وقد قالت فيها:

بوجهك لا تعذبني فإني * أؤمل أن أفوز بخير دار**

منجدة مزخرفة العلالي * بها المأوى ونعم هي القرار**

وأنت مجاور الأبرار فيها * ولولا أنت ما طاب المزار**

وقالت:

أَنْتَ أُنْسِي وَمُنْيَتِي وَسُرُورِي * قَدْ أَبَى الْقَلْبُ أَنْ يُحِبَّ سِوَاكَا**

يَا عَزِيزِي وَمُنْيَتِي وَاشْتِيَاقِي * طَالَ شَوْقِي مَتَى يَكُونُ لِقَاكَا**

لَيْسَ سُؤْلِي مِنَ الْجِنَانِ نَعِيمٌ * غَيْرَ أَنِّي أُرِيدُهَا لأَرَاكَا**

إنه في أبيات متأججة العواطف وبنفوس سوية لا ترضى عن الإحسان والإنابة بديلا، وفي تصوير عميق بارع ألقيت هذه العبارات المتدفقة تذللا ورجاء واستعطافا في حضرة الله تبارك وتعالى بأسلم السبل وألطفها في هدوء وسكينة، فوجدت في القلب وقعا جميلا، وفي الحس سريانا حسنا، وفي العقول طربا مستفزا، وفي اليقين سبقا وتحقيقا، وفي الفكرة معرفة وعزة، وعليه يتكثف تأثيرها وينتشر، فتستولي الأريحية على النفس تطيبا وتنشيطا.

إذا احتل لفظ الاتصال مكانه في الشعر الصوفي، بوصفه خطاب تواصل، في حركية متجددة، زادته جمالا بممارسته وفق تعابير الوجه، وهيئات الجسم، والحركات، ونبرة الصوت، والكلمات. [30]، أي إنشاء علاقة كلامية راقية تدل على حضارة ورقي مع أطراف التواصل، فيحدث تبادل كلامي بين متكلم يصنع قولا موجها نحو متكلم آخر وبين مخاطَب يلتمس السماع و/أو جوابا صريحا أو ضمنيا وفقا لنمط القول. وإن كان الغالب الأعم من شعرهن أن يرد في أبيات قليلة تصف حالاً من العشق أو الشوق أو الأنس أو التتيم أو المحبة أو المكابدة في الحب أو التفاني من غير إسهاب ولا تفصيل. ولكنهن كثيرا ما تسبحن في الخيال الأخاذ الذي جعل شعرهن يتمتع بخصوصيتي التجلي النوراني والرقي الروحي وقد أردفن إليهما جملة من الجماليات الفنية حيث تفردن ببراعة التصوير وسلاسة الكلمات ورشاقة العبارات في ظل حضور الطبع، والعفوية والانسيابية والإيقاع الموسيقي والوقع الخلاب على أوتار السمع والقلب والفؤاد، ما أكد من دون مشاحة مقدرتهن على الإفصاح عن سرائرهن وقناعاتهن وميولاتهن بلسان مبين؛ لهذا حث صلى الله عليه وسلم على التأنق في الكلام؛ لأنّه كان يدرك أنّ وقع اللسان المبين أشد، فقال: «وإنّ من البيان لسحرا». [31] وقد كان الجاحظ على وعي بأنّ الوظيفة الأساسية والأولى للغة تكمن في الاتصال والتواصل، والإعراب عمّا في الصدور، فقد صاغ للبيان مفهوما إجرائيا، أكّد من خلاله أنّه الأداة الفاعلة التي توصل إلى الفهم والإفهام، فقال: «والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأنّ مدار الأمر والغاية التي

إليها يجري القائل والسامع، إنّما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان»، [32] فهذا النص يكشف عن رؤية شمولية تضع الاتصال مرادفا للبيان الذي اختزل في «الفهم والإفهام في بعديه: المعرفي والإقناعي (الاستمالة والاحتجاج)، ثم ربطت الأداة بالموضوع والمناسبة؛ أي بالمقام الخطابي». [33] والحق أنّ هذا الفهم للاتصال (الفهم والإفهام) لا يخرج عن كونه قانونا يضبط المعايير التي يتمّ الاتصال بفضلها، تحقيقا لسلوك كلامي يهدف إلى إيصال كلام فني ناجع على المستويين الإخباري والتأثيري في العقل والمشاعر معا بحسب مقتضى الحال؛ أي أشكال الاستجابة للكلام.

إن في الاتصال بالله الاتصال المطلوب، المفتاح الذي يجعل من الكلام المشكّل من نفيس عبارات الخضوع والخنوع المدخل الرئيس للوصول إلى منتهى الصفاء القلبي والروحي مع الله ـ سبحانه وتعالى ـ بناء على أنّ هذا النوع من الشعر من أقوى دواعي التعلق بحبل الله المتين والإذعان لأوامره حبا وخوفا وطمعا ورجاء، وتأليف القلوب، وجذب النفوس إلى تقبّل حقائق الإيمان والتجاوب معها، من خلال عرض الحقائق المتصلة بالذات الإلهية عرضا فنيا مشبعا بالجو العاطفي المناسب لها، فتجد مسارها إلى القلوب والعقول، وتشق طريقها إلى البصيرة والوجدان، فهو أسلوب فني من أساليب فن القول، يوقظ الكيان الإنساني، فيتلقى النص في نشوة غامرة ورضا واطمئنان. [34] إنّه الطريق الأمثل الذي يقع به الإيصال والاتصال ويتحدد التواصل. في محاولة منهن «استمالة الناس نحو هدف معين، وإقناعهم به إقناعا تطمئن إليه قلوبهم، وترضى عنه عقولهم، وتنشرح له صدورهم ويخالط وجدانهم، ويسري في مشاعرهم، ويمتزج بكيانهم، ويصبح إيمانا راسخا كي يتهيأ لهذا الإيمان أن يكون محركا لكلّ ما يصدر عنهم من فكر وعاطفة وسلوك، به يؤمنون، وبتوجيهه يعملون، وفي سبيله يبذلون، وعنه ينافحون، ومن أجله يستشهدون». [35] وهكذا يستشري الإيمان من القلب إلى الجوارح كلها.

ولما كانت المناجاة هي حسن الطلب، والتلطف فيه من الشاعرات المتصوفات حتى يتوجهن إلى الله، ويعتمدن عليه، ويطلبن حبه ورحمته وهداه ورضاه والنظر إلى وجهه الكريم مع ملازمته، تحولت مطالبهن إلى جوهر وجودهن في كلّ مكان وفي كلّ زمان، وبهذا تتحقق العملية الاتصالية التي هي «فعل يقوم على نقل المعلومات من مصدر إلى هدف». [36]

فمفهوم الاتصال هنا مفهوم أكبر من أن يقال عنه إيصال مكنون إلى الناس فحسب، إنّه يقتضي عرضا حسنا لهذه المكنونات الوجدانية؛ التي عرضت في درجة عالية من النضج الفني والإجادة، لتعلم أطرافا كثيرة أن الإيصال الجيد يسهم بشكل مباشر في رسم معالم الحوار الحضاري الراقي.

هوامش البحث:

[1] – نعمان بوقرة: نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية ـ قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية، مجلّة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع 17، 2006، ـ ص 175

[2] – طه عبد الرحمن: اللسان والميزان ـ أو التكوثر العقلي ـ المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ـ بيروت الطبعة الأولى 1998 ص 29

[3] – Josette Ray – Debove et Alain Rey : Le petit Robert de la langue française 1982 p 135

[4] – عمر مهيبل: الخطاب الفلسفي للحداثة يورغن هابرماس ـ مجلة اللغة والأدب ـ جامعة الجزائر ـ قسم اللغة العربية وآدابها ـ العدد العاشر ديسمبر 1996 ص 44

[5] – علم الدين السخاوي (أبو الحسن علي بن محمد): جمال القراء وكمال الإقراء، تحق/ عبد الكريم الزبيدي، دار البلاغة ـ بيروت ـ ط 1 ـ 1993 ج 1 ص 270

[6] – كل الأبيات الشعرية هي عبارة عن شتات تم جمعه من مختلف الكتب والموسوعات مثل:

عبد الحكيم الوائلي: موسوعة شاعرات العرب من الجاهلية حتى نهاية القرن العشرين، دار أسامة ـ عمان ـ الأردن، ط 1 _ 2001

معجم شعراء الحب الإلهي محمد أحمد درنيقة ـ دار الهلال بيروت لبنان ط 1_ 2000

[7] – أحمد الحلواني: الإيمان والروح ـ القاهرة ط 1، 1947 ص 28

[8] – زكي مبارك: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، المكتبة العصرية بيروت لبنان (د.ت) ج 1 ص 23

[9] – أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية، تحق/ عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ج 2 ص 442

[10] – حسن مصدق: النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، ط1، 2005 ص 126

[11] – عبد الرحمن بدوي: رابعة العدوية ، الكويت 1978 ص ص 117 ـ 118

[12] _ عبد الحكيم الوائلي: موسوعة شاعرات العرب من الجاهلية حتى نهاية القرن العشرين، دار أسامة ـ عمان ـ الأردن، ط 1 _ 2001 ج1 ص ص 198 _ 199

[13] – Mikhaïl Bakhtine : Le principe Dialogique; ed Seuil p 68 نقلا عن أنور المرتجي: سيميائية النص الأدبي، أفريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب 1987 ص 106

[14] _ المرجع نفسه ص 199

[15] – محمد علي الجوزو: مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ط 1، 1980 ص 203

[16] – الجرجاني (أبو الحسن علي): التعريفات، وضع حواشيه وفهارسه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ـ بيروت ط 2 ـ 2003 ص 50

[17] – الأبيات لتحفة وقد وردت في كتاب معجم شعراء الحب الإلهي محمد أحمد درنيقة ـ دار الهلال بيروت لبنان ط 1_ 2000 ص ص 93 _ 94

[18] – الأبيات لعائشة الباعونية المرجع نفسه ص 190

[19] – الأبيات لرابعة بنت سليمان الشامية وقد وردت في موسوعة شاعرات العرب من الجاهلية حتى نهاية القرن العشرين ص 199

[20] - ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي سنة النشر 1416 / 1996 ص

[21] - ينظر محمد علي الجوزو: مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة ص 210

[22] - ينظر الجرجاني (أبو الحسن علي): التعريفات ص 36

[23] - حسن مصدق: النظرية النقدية التواصلية ص 121

[24] - للاستزادة ينظر حسن مصدق: النظرية النقدية التواصلية ص ص 119 ـ 120

[25] - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحق/ محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي ـ مطبعة المدني – القاهرة ط 3 ، 1992 ص 462

[26] - نور الدين الملاخ: "مفاهيم في التواصل" تاريخ النشر 02 / 02 / 2005 http://www.aljamaa.com/ar/index.asp

* تَثْبُتُ

[27] - ينظر الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحق/ عبد السلام محمد هارون ـ دار الجيل ـ بيروت 1991 ج 3 ص 41

[28] - السكاكي: مفتاح العلوم، ضبط وتعليق/ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط2، 1987 ص 258

[29] - إحسان عسكر: وظائف التبليغ القرآني، ط1 ، 1992 ص27

[30] - Cooley, Charle:Human Nature and the Social Order.New york 1969, in Mucchielli, R:Nouvelles méthodes d'étude des communications ,Armand colin, Paris (2) 1988 نقلا عن جميل حمداوي: مفهوم التواصل ـ النماذج والمنظورات ـ ديوان العرب العدد 31 ديسمبر 2006 http://www.diwanalarab.com/

[31] - البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخاري ـ دار ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت ط 1، 2002 ـ ص 1460

[32] - الجاحظ: البيان والتبيين، تحق/ محمد عبد السلام هارون، دار المعارف مصر ج 1 ص 8

[33] - محمد العمري: البلاغة العربية ـ أصولها وامتدادها ـ أفريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب / بيروت لبنان 1999 ص 201

[34] - إحسان عسكر: وظائف التبليغ القرآني ص 186

[35] - عبد الغني محمد سعد بركة: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة و منهاجا، دار غريب ـ القاهرة ـ مصر ط 1، 1983 ص 14

[36] - نور الدين الملاخ: "مفاهيم في التواصل" تاريخ النشر02 / 02 / 2005، ص 3 http://www.aljamaa.com/ar/index.asp

إشكاليات الترجمة في النصوص النقدية

د. سليمة عذاوري

جامعة بومرداس

"من المؤسف حقا أن سكان كوكبنا لا يتكلمون لغة واحدة"

<u>جورج مونان</u>

"إن المجازفة التي ندفعها كثمن لرغبة الترجمة تجعل من لقاء الأجنبي داخل لغته محنة يصعب تجاوزها"

<u>بول ريكور</u>

ملخص البحث:

لا ترتبط حياة الأمم بما تؤسسه من قيم معرفية خاصة فحسب، بل بما تستغله من إمكانيات الأمم الأخرى، التي قد تتحول ضمن سياقات الثقافة المستقبلة إلى قيم معرفية تخدم عناصر هذه الثقافة وترفد عوامل ازدهارها. وحتى يحدث هذا الانتقال، ويؤسس لبعد تفاعليّ حضاري وثقافي واسع، كان لا بد على الترجمة باعتبارها عاملا رئيسيا من عوامل الانتقال، أن تلعب الدور الفعال في هذا المقام. وبالرغم من تعارض الآراء حول الحاجة إلى الترجمة بين مؤيّد ومعارض، وللترجمة خصوصيات ، وإشكاليات، وصعوبات،...، وهي قضايا نتطرق إليها في بحثنا هذا.

<u>Résumé</u> :

Cette étude dépasse le cadre théorique à l'application, elle s'est penché sur la traduction comme une des plus importantes problématiques issues de la réception de la théorie occidentale. En dépit de son objectif positif supposé, cette dernière ne cesse de se présenter comme un défi dans le processus de la réception, ce qui se manifeste dans sa sélection des textes, son écart par apport au temps des productions originales, et sa reproduction de contresens, sans oublier la traduction partielle qui donne une matière théorique incomplète, défigurant souvent les données occidentales, ce qui est, de notre point de vue, encore plus grave, car il s'agit bien de **la notion**. L étude a choisi deux modèles de lecture qui englobent ces problématiques, il s agit des traductions fournis pour les livres de Julia Kristeva et Natalie Piegay Gos.

باتت الحاجة إلى الترجمة ضرورة ملحة بالنظر إلى عدد اللغات الموجودة عالميا ما يجعلها خيارا لا غنى عنه جعل التخاذل عنها "يعني بالضرورة تخلّفا أو تقاعسا على صعيد التواصل الثقافي" [1]

ولئن كان هذا وضعا ثقافيا ومعرفيا عاما، فإن ميادين الأدب والنقد لم تشذ عن قاعدة الحاجة إلى مثل هذه التقاطعات الحضارية، بل وشكلت جزءا هاما من هذه العملية التي انتقلت من خلالها الثقافات نحو بعضها البعض. ولم تكن الحضارة العربية بمنأى عن هذه العملية التفاعلية قديما أو حديثا،

فمن ترجمة الإغريق والفرس إلى ترجمة الآداب العالمية، تَشكَّلت منظومة علائقية خاصة داخل الثقافة المستقبلة وتغيرت معالم الطريقة التي ينظر بها العربي إلى ذاته وإلى غيره.

تتعدّى الحاجة إلى الترجمة الأدبية النصوص الأدبية في حد ذاتها إلى النصوص القارئة لها، ونقول القارئة هنا، حتى يشمل هذا الوصف مختلف النصوص التي تماسَّت بشكل أو بآخر مع الأدب، نقدا أو تنظيرا. وليس هذا مقام البحث عن تاريخية العلاقة بين النقد الغربي والنقد العربي، غير أننا نؤكد على الدور الذي لعبته –وما تزال- الترجمة في هذا المقام، حيث تجاوزت حالة التعارف والتفاعل بين الثقافتين إلى نوع من "التبعية النقدية" عن طريق ما تقترحه هذه الكتب من إجراءات وآليات منهجية لمقاربة النصوص الأدبية، التي يقوم النقد العربي إما بتلقيها والعمل بها كما هي، أو إعادة إنتاجها وفق رؤى وتصورات خاصة.

01. الترجمة النقدية، ترجمة متخصصة:

يقول جورج مونان Georges Mounin: "لكي نترجم نصا كتب بلغة أجنبية يجب التأكد من وجود شرطين اثنين وليس شرطا واحدا. وهما شرطان ضروريان لا يغني أحدهما عن الآخر: 1-معرفة اللغة، 2- ومعرفة الحضارة التي تتحدث عنها هذه اللغة"[2] ومن ثمة، ليست الترجمة نقلا لغويا فحسب بل عملية معقدة تلعب فيها الوسائط اللغوية دورا مهما يظل جزئيا إذا ما قورن بما يتمُّ نقله من مضمنات ثقافية وعلمية، وهو ما يجعلنا نتجاوز، والحال هذه، الحاجة إلى ناقل لغوي، نحو الحاجة إلى ناقل قادر على نقل المعرفة، ويزداد الإصرار على تحقق هذه الشرطية، كلما زادت النصوص المنقولة دقة.

حاليا، تعتبر الترجمة رافدا أساسيا من روافد الانتقال النقدي الغربي نحو العالم العربي. وإذا كان النقاد -في كثير من الأحيان- يعتمدون على قراءات للأعمال النقدية في لغاتها الأصل، إلا أنه لا أحد يمكن أن ينفي السهولة التي يمكن أن توفرها الترجمة –نظريا- من حيث الاكتساب النقدي، غير أن هذا الحقل الذي يوفر المعرفة النقدية بيُسر، يعاني من معوقات وإشكاليّات قد تصل حد الخطورة في بعض الأحيان، وهو ما جعلنا نطرح هذا الموضوع بصيغته الحالية، وتجاوز كونه صيغة من صيغ "التثاقف" إلى كونه "إشكالية" عملية.

لا يمكننا في هذا المقام سوى تقديم دراسة تعتمد على العينة، وقد وقع اختيارنا على كتابين هامين في مسار الدراسات النقدية سواء في أصلهما الغربي أو في الثقافة المستقبلة، ونقصد بذلك كتاب "**علم النص**" الذي ترجمه **فريد الزاهي**، وكتاب "**مدخل إلى التناص**" لمترجمه **عبد الحميد بورايو**. ورغم الاختلاف بين طبيعة الكتابين واختلاف تواريخ صدورهما، إلا أننا نؤثر تقديمهما من خلال التحديات التي تواجه العملية الترجمية في حد ذاتها، خاصة بالنظر إلى الفارق الزمني بين الترجمتين، والذي يقدم بين أيدينا دليلا آخر على صعوبة هذه العملية رغم مرور الزمن وتكرَس الممارسة.

إشكالية تأخر الترجمات النقدية العربية عن الأصول:

يُشكِّل العامل الزمني حلقة مهمة من حلقات المعرفة، ذلك أنه العنصر الذي يشتمل على سياقات التمثل المعرفي لمعطى ما، مهما كان نوعه، كما أنه المحور الذي تتضام حوله معطيات أي علم أو نظرية ما. ومن ثمة، وجب احترام هذا العنصر أثناء عملية النقل، إذ أن تأخر هذا الانتقال سيمنع عن مواكبة السياق المعرفي العام. ففي الوقت الذي تكون فيه المادة النقدية قد استهلكت في ثقافتها وتم تجاوزها إلى سياقات معرفية ونقدية أخرى، والأدهى أحيانا تم نقدها، يشرع المتلقي العربي في استخدامها بعد انتشار ترجمتها، ما يخلق نوعا غريبا من التعامل مع المادة المعرفية التي قد تكون "صلاحيتها" قد انتهت [3] في سياقاتها الأصلية.

يبدو الفارق الزمني بين النص المترجم والنص الأصلي طبيعيا، إذا ما توافق وشروط عملية النقل في حد ذاتها، غير أن بعد الهوة الذي تعاني منه الترجمات العربية تجاوز الفارق الطبيعي وشكل ظاهرة تسيء للعملية النقدية برمتها باعتباره يقدم معرفة متأخرة للقارئ العربي تكاد تجعل المعرفة المقدمة غير مجدية إذا ما قورنت بتطور الأصول. وعليه، تصير المواكبة، الزمنية والمعرفية، وتقصي كل جديد ومفيد ضرورة ملحة، وهو ما يعني تجاوز الجهد الفردي والمصادفات القرائية التي تنبني عليها عملية الترجمة النقدية حاليا. ويكفينا في هذا المقام أن النصوص التي ارتأينا بسط هذه العوامل من خلالها قد ابتعدت عن أصولها بعقود، حيث أن نصوص كرستيفا التي كتبت في ستينيات القرن الماضي، تمت ترجمة "بعضها" عام 1991، في حين صدر كتاب **Introduction à l intertextualité** الذي ألفته **نتالي بييغي غروس Nathalie Piégay-Gros** للمرة الأولى عام 1996، عن دار **Dunod** في باريس والذي يعتبر كتابا هاما يحوصل المسار التاريخي والمفهومي الذي قطعته نظرية التناص، كان علينا أن ننتظر ستة عشر عاما ليتقدم الكتاب بين يدي القارئ العربي باللغة العربية بعد الجهد الخاص الذي بذله عبد الحميد بورايو في هذا الصدد. وحري بنا أن نتساءل لا عن جدوى هذه الترجمات المتأخرة، إذا ما اخذنا بعين الاعتبار ما تقدمه للقارئ العربي، بل عن الأسباب التي تدعو إلى مثل هذا التأخر بما في ذلك الدور الذي تلعبه دور النشر.

02. صعوبات التعامل مع المادة المعرفية والنقدية:

كثيرا ما تطرح الترجمة إشكاليات عديدة منذ مبادئها الأولى عن إمكانية أو لا إمكانية الترجمة في حد ذاتها، إلى البحث عن المترجم المتخصص. ولا بد أن هذا الإشكال يأخذ بعدا أوسع في سياق النقد، نظرا لطبيعة المادة التي يتم نقلها، والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بمادة معرفية معقدة قد تتجاوز إمكانيات المترجم العارف للغة فحسب إلى الناقل العارف للموضوع، حيث أن النصوص النقدية ترتبط أيما ارتباط بمادة معرفية وإنسانية مكثفة تجعل عملية فهمها نقطة مفصلية في عملية النقل، وتشكل واحدة من صعوباتها الجوهرية، قد تصل حد المغامرة أحيانا. يقول فريد الزاهي مبررا أسباب ترجمته لنصوص كرسيتفا وصعوبة ذلك:

"من هذا التعدد أيضا تنبع صعوبة ترجمة كتابات كرسطيفا لأن تداخلا معرفيا مركبا من هذا القبيل لا يطال المستوى النظري والإجرائي بمفرده بل يتغلغل داخل التركيب اللغوي للاصطلاحات التي تتعامل بها الباحثة مع النص الأدبي. ولعل ذلك ما يبرر التعامل الذي يسود باحثينا معها، إذ يتم الاكتفاء بالإحالة، ويغض الطرف عن إمكانية ترجمة نصوصها إلى العربية" [4]_ [5]

لقد جعلت مثل هذه الصعوبات مترجما قديرا ومتخصصا مثل فريد الزاهي يعزف عن ترجمة كل المقالات الواردة في كتاب جوليا كرسيتفا ويكتفي ببعضها مغفلا مقالات مهمة شملها الكتاب ذاته، تمثل المسار الذي قطعته الناقدة، ويمكن من خلالها استيعاب المهاد النظري لها، ونقصد بذلك المقالات التالية:

– Le geste pratique en communication [6]

–Le mot le dialogue et le roman[7]

– Pour des paragrames pour une semiologie[8]

إن هذا الإغفال، يمنع قارئ اللغة العربية من استيعابه نظرا للطابع الجزئي الذي تتخذه هذه الترجمة، وهو طابع يتجاوز تعامل فريد الزاهي مع أعمال الناقدة إلى أعمال أخرى كثيرة اكتفى فيها المترجمون بترجمة أعمال نقدية هامة ترجمة جزئية، يجعل المتلقي أمام فراغ معرفي ونقدي كبير لا يمكن ترميمه إذا ما كان فاقدا للغة الأصل. وبذا، تكون الترجمة قد خلقت ثغرة معرفية خطيرة حيث كان الأجدر بها أن تحل إشكالا معرفيا. ولا أدل على ذلك من أن بعض النقاد والقراء يعتبرون عمل فريد الزاهي الذي انتخب فيه مجموع مقالات كتابا كاملا لجوليا كرسيتفا:

"وكان كتابها النقدي "علم النص" من انضج كتبها التي الفته ي مراحل متقدمة من اكتمال منجزها النقدي" [9]

وهو خطأ معرفي كبير، خاصة إذا ما علمنا أنه لا يوجد في رصيد جوليا كرستيفا كتاب يحمل هذا العنوان، وهو ما يقودنا نحو التساؤل عما إذا كان يعاب على الناقد؟ أم على المترجم؟ أم على طبيعة العملية المعقدة برمتها؟

إن الصعوبة وتضافر علوم وميادين معرفية كثيرة تدفع الناقد إلى الحاجة إلى هوامش عدة يتم من خلالها شرح تفاصيل بعض الخيارات المصطلحية أو الترجمية [1 0]، وهو ما يدل على عدم قدرة القارئ العربي على استيعاب هذه المعارف بسبب الفراغات الترجمية للعلوم والميادين المصاحبة، ناهيك عن صعوبة التعامل مع الهامش الأصلي عندما يتعلق الأمر ببعض النصوص المرجعية، وهو ما سنعود إليه أثناء الحديث عن التحدي الذي يواجهه مترجم النصوص النقدية أثناء التعامل مع النصوص الأدبية الواردة في المتن بوصفها استشهادات أو متون تطبيقية.

تتجاوز صعوبة الفهم عامل الكثافة المعرفية، إلى طبيعة الصيغ الناقلة، والتي تقف أحيانا عائقا أمام المترجم والقارئ على حد سواء، حيث أن بعض المقاطع تشكل صعوبة أثناء عملية النقل ما يؤدي بالقارئ إلى تحريف الفهم. وهو ما قد يواجه الناقل باعتباره قارئا أيضا، ويكفينا في هذا المقام أن نقف على بعض من هذه الصعوبات النابعة من اللغة:

- قد يغيب المعنى في النص المترجم، وهو أصعب ما تواجهه العملية الترجمية برمتها، خاصة أن النص النقدي يفقد المعرفة التي يقدمها فعاليتها في هذه الحالة، وهو ما يمكن أن نلاحظه في المثال التالي:

تقول نتالي بييغي غروس:

« la parodie et le pastiche sont les deux grands types de relation de dérivation qui unissent un texte à un autre ; la première repose sur une transformation et la seconde sur une imitation de l'hypotexte »[11]

يتحول هذا النص تحولا جذريا في النص المترجم، وهو تحول لا يمس بنيته التركيبية وصياغته بل بنيته المفاهيمية، ويقدم تصورا خاطئا لمتلقي المادة النقدية، حيث نقل المترجم النص على النحو التالي:

"المحاكاة الساخرة [الباروديا] والمعارضة هما الصنفان الكبيران لعلاقة الاشتقاق التي توحد نصا بآخر، يعتمد الأول على تحويل للثاني بمحاكاة السابق"[12]

وتكفي مقارنة بسيطة بين هذين المقطعين، لإدراك التغير الكبير الذي لحق المعنى.

- تلعب علامات الوقف في النصوص الفرنسية، دورا مفهوميا واضحا، بينما يصعب نقل هذا الدور في مساحة النصوص المترجمة، كما هو الحال في هذا المثال:

« aussi voit- on de nos jours le texte devenir le terrain ou se *joue* : se *pratique et* se *presente*, le remaniement épistémologique social et politique »[13]

"هكذا نشهد، في أيامنا هذه، تحول النص إلى مجال يلعب فيه ويمارس ويتمثل التحويل الابستيمولوجي والاجتماعي والسياسي"[14]

وهو ما يجعل المترجم يعتمد في بعض الأحيان على تحويل جذري للعلامة الوقفية إلى كلمات، كما في المثال التالي:

« elles essaient de saisir a travers la langue ce qui est étranger à ses habitudes et dérange son conformisme : le texte et sa science, pour les intégrer à la construction d une gnoséologie matérialiste »[15]

حيث تم تحويل النقطتين في النص الفرنسي إلى كلمة "أعني":

"أعني الامساك بالنص وعلمه، بهدف إدماجهما في بناء نظرية معرفة مادية"[16]

- تندرج ضمن التحديات التي تواجه عملية الترجمة النقدية، صعوبة نقل المصطلحات، وهي وإن كانت على المستوى النظري تتجاوز -باعتبارها تحديا- المترجم إلى

الواضع في حد ذاته، إلا أنها تتخذ في حال الترجمة صعوبة مضاعفة، يقول جورج مونان مؤكدا هذه الصعوبة:

"ليست مسألة الاصطلاحات مما يختص بالترجمة وحدها، إنها مشكلة الواضع قبل أن تكون مشكلة المترجم. فقبل أن يقف المترجم في أي كلمة يختار في مقابل هذا الاصطلاح الأجنبي أو ذاك[...] وربما كان هذا الموقف الأخير من المواقف الشديدة الصعوبة والقليلة الحظ من الدراسة، وإذا كان للمترجم أن يستعين بسواه عن اختيار المقابل المناسب استنادا إلى تحديد واضح للاصطلاح في لغته الأصلية فان الواضع لا ينطلق إلا من تحديد بل من صورة غير واضحة الحدود ي معظم الأحيان" [17]

تتجاوز الصعوبات المصطلحية حدود العمل الذي نقدمه، غير أنها تستغرق أنواعا كثيرة من الصعوبات والإشكاليات التي تنطوي تحتها، نذكر منها الخيارات المصطلحية للمترجم، وكذا صعوبة بعض الاختيارات التي يحاول من خلالها إعطاء طابع خاص أو تجاوز مشكلة ما كما نراه في الأمثلة التالية:

- التصحيفات [18] Anagrammes

-ترسمل [19] capitalisant

-الهرمنوسية [20] hermeneutique

كما نسجل هنا، من التحديات الاصطلاحية تحويل المصطلح الواحد في النص الأصل إلى مركب كقوله نظرية معرفة مادية مقابلا لـ gnéoséologie وهو ما يمكن اعتباره جهدا لغويا ومعرفيا مهما لا يؤدي المطلوب منه بيسر.

- بعيدا عن قدرة المترجم على التغيير وفق ما يناسب صياغة اللغة الناقلة، يتم أحيانا تغييب بعض المفردات، كما في تغييب actuellement الذي قد يؤثر إذا ما علمنا دور السياق في فهم النظريات وبنياتها العلمية، يقول فريد الزاهي:

"بما ان السيميائيات ليست فقط خطابا فإنها تتخذ، كموضوع لها، ممارسات سيميائي عديدة تعتبرها عبر لسانية، أي متكونة من خلال اللسان لكن غير قابلة لان تختزل في المقولات التي تلتصق به ي ايامنا هذه" [21]

« plus qu un discours, la sémiotique se donne actuellement pour objet *plusieurs pratiques sémiotiques* qu elle considère comme translinguitiques, c est-à-dire faites à travers la langue et irréductibles aux catégories qui lui sont, de nos jours, assignées »[22]

- تطرح التعاريف المتعلقة ببعض المفاهيم الجوهرية إشكالا مهما بالنظر إلى أهميتها في المجال النقدي ومن ثمة وجب أن تكون واضحة كل الوضوح، وهو حال تعريف التناص هنا:

"إنه ترحال للنصوص، وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى"[23]

يقابلها الجملة التالية التي ترجمة ترجمات عديدة تقول كرسيتفا

« il est une permutation de textes, une intertextualité : dans l espace d un texte plusieurs énoncés pris à d autres textes, se croisent et se neutralisent »[24]

ولا نعيب هنا التعريف الذي يقدمه فريد الزاهي إلا أننا نشير إلى صعوبته داخل اللغة المتلقية، حيث تصبح اللغة الناقلة هنا عاجزة عن آداء المعنى، إذ وجب التدقيق في اختيار الكلمات التي تناسب المعنى أكثر، ذلك أن كلمة مثل "**ترحال**" هنا لا تؤدي ما هو مطلوب منها في التعريف، وليست الاختيار الأفضل، كما أن كلمة "**تداخل نصي**" تبدو وصفا عاديا لا ينتبه له المتلقي رغم أنه الكلمة المفتاحية داخل هذا التعريف تتجاوز كونها كلمة مدمجة فيه إلى كونها **مصطلحا** أساسيا.

03. صعوبة التعامل مع المقاطع الأدبية:

تتعدد الصعوبات التي يواجهها الناقد أثناء عملية الاشتغال الترجمي على النصوص النقدية، يمكن أن تكون الترجمة الأدبية جزءا منها، ونقصد بالترجمة الأدبية هنا، تلك التي تتعلق بترجمة المقاطع الأدبية الواردة داخل المتون النقدية، والتي كثيرا ما تمثل جزءا مهما من المادة النقدية.

لقد لاحظنا سلفا العبء الذي يشكله المصطلح على الناقد والمترجم على حد سواء، بيد أن مشكلة المقاطع الأدبية مشكلة تواجه المترجم العربي فحسب، مادام الناقد يعتمد على تلك النصوص دون بذل جهد آخر فيها عدا جهده القرائي النقدي بالنظر إلى كونها نصوصا جاهزة سواء كانت في لغتها الأصلية آو مترجمة إلى لغة اشتغاله من لغات أخرى.

إن التحدي هنا كبير وصعب، بالنظر إلى صعوبة الترجمة الأدبية وحاجتها إلى جهد قد يعيق عملية الترجمة النقدية في حد ذاتها. ففي النصوص التي تم اعتمادها أنموذجا عمليا لهذه التعقيدات، يقع فريد الزاهي وعبد الحميد بورايو أمام هذا التحدي بشكل مستمر. وخارج الصعوبات النقدية السابقة، يواجهان ترجمة للعديد من النصوص التي وردت في المتون، على اختلاف أصولهما، حتى وإن كانت تصديرات[25] كنيتشه/ ملارميه/ لينين/ ليبنتز/ روسيل كما نجده عند جوليا كرسيتفا بوفرة.

لربما علينا أن نتساءل في هذا المقام، عن الضرورة التي تضع المترجم (الناقد) في أحيان كثيرة أمام هذه الصعوبة، طالما أنها قد لا تكون مجدية على مستوى العملية النقدية في حد ذاتها، بالنظر إلى كون الأنظمة الأدبية مختلفة في حد ذاتها[26] وهو ما يجب أخذه بعين الاعتبار أثناء عملية الترجمة وكذا أثناء التطبيق. فمن المعروف أن الشعر يطرح مشكلة خطيرة "تتمثل في الاتحاد الذي لا انفصام له بين المعنى والصوت وبين الدال والمدلول"[27]، كما أن الناقد الأصلي يجد النصوص جاهزة فلا جهد له فيها عدا اختيار المقاطع التي يشتغل عليها وفق رؤيته النقدية أو مهنجه البحثي بينما سيواجه

المترجم كل هذه الأعمال، إضافة إلى أن ترجمة كل النصوص الأدبية المبثوثة في ثنايا المتن تحول كل الأساليب المختلفة لعصور أدبية وتيارات وانتماءات إلى لغة واحدة وأسلوب واحد، والمؤكد أن المترجم سيكون همه الأول ترجمة النصوص النقدية لا المقاطع الأدبية ولذلك كثيرا ما تفقد طراوتها أو أدبيتها أثناء عملية النقل.

إن الاشتغالات النقدية عادة ما تكون لصيقة بالنظام اللغوي في حد ذاته بالنظر إلى السياقات المعرفية التي انبثقت منها المناهج النقدية المعاصرة التي اخترنا نماذجنا منها، ومن ثمة لا يمكن الفصل أحيانا بين الطابع اللغوي المميز للغة ما والنتائج المترتبة عنها، فينبغي المحافظة عليها في كثير من الأحيان، فبالإضافة إلى إشكالية الشعر السابقة، تطرح النصوص الأدبية من هذا الباب مشكلا آخر يظهر "على مستوى التقطيع ذاته للحقول الدلالية التي تبين أنه من العسير المطابقة الدقيقة بين لغة وأخرى"[28] وسنحاول في هذا المقام أن نبين ذلك عبر مثالين مختلفين:

01. يقول فريد الزاهي في ترجمته:

"بهذا الشكل يمكننا تأويل المقطع: إعطاء المشتي النيسي (نسبة لمدينة نيس الفرنسية) معطفا التي تبدو ملخصة للصيغة الدلالية لعطاء المحتمل التالي:

يعني أن نمنح:-للنوتي المبتدئ في البحر عرق الذهب
بينما لتهشيمها يصيخ الإعصار السمع
حين يحضر المحاضر لسامعيه حشاشا،
-لمن خارج قطار سيار يطل
مروحة...

يمتلك الخطاب ذو الفعل المحتمل فاعلا أساسيا، إنه "مثل" وهي أداة تشبيه استبدالية تمكن من اخذ الوحدات الدلالية الأكثر تنافرا الواحد مأخذ الآخر:

كما لو أن سحرا كان يختار اللحظة المناسبة [...]"[29]

يتقدم النص الأصلي على النحو التالي:

On pourrait interpréter ainsi la séquence « à l hiverneur niçois donner un pardessus » qui semble résumer la formule sémantique de la donation de vraisemblable :
C est donner : -au novice, en mer, de l'ipéca,
Tandis qu' à la briser l ouragon tent l écoute ;
Quand un conférencier prélude, à qui l écoute,
Un narcotique ;-à qui hors d un train bon marcheur
Se penche, un éventail ;…
Le discours vraisemblabilisant a un opérateur fondamental : « comme » - préposition *substitutive* qui fait prendre l un pour l autre les sémèmes les plus incompatible :
Comme si choisissant la seconde opportune… »[30]

إن المتأمل لهذين المقطعين يدرك لا محالة العبء الذي يقع على كاهل المترجم في مثل هذه الحالات، وبغض النظر عن طبيعة الترجمة والحكم عليها، يظهر هذا المقطع جليا صعوبة ترجمة النصوص الأدبية، وما يؤول إليه حال النص بالنظر إلى هذه الصعوبة. إننا لا نكاد نشعر بالمعنى في النص المترجم، غير أن ذلك ليس مما نعيبه على المترجم بل ما نضيفه كنقطة سوداء في طريق الترجمة النقدية، بالنظر لكون هذه النصوص تقع في الدرجة الثانية من حيث الأهمية والأولوية بالنسبة للمترجم.

تعتمد المقاطع الدلالية أيما اعتماد على العامل اللغوي نظرا لما يلعبه هذا الأخير من دور في استخراج هذه المقاطع وتجليات الخطاب، غير أننا سنقف في هذا المثال أمام ملاحظتين:

مدفوعا نحو الحفاظ على أدبية النص الشعري الأصل، يبدو أن الناقد لم يتوخ الحذر في التعامل مع النص الشارح، حيث أهمل أهمية اللفظة :مثل" comme بحيث تم تغييرها في المتن دون تغييرها في هذا الأخير، وهو ما يصعب معه فهم الرابط الدلالي والدور الذي تلعبه كلمة غير موجودة في المتن، تكررت في النص الأصل بالشكل ذاته.

تلعب بعض التفاصيل الطباعية دورا هاما في تقديم المعنى غير ان المترجم العربي نادرا ما يأخذ تلك المعالم بعين الاعتبار أثناء عملية النقل فكلمة *substitutive* preposition وردت مطبوعة بشكل خاص *en italique* وهو ما يجعل حضورها مميزا، وله دلالته في النص الأصلي بينما فقد تلك الدلالة في النص المترجم.

يطرح التهميش بدوره، إشكالا مهما يتعلق بحالة النص المحال عليه، وجدوى تلك الإحالة بالنسبة للقارئ العربي، حيث تمت الإحالة في النص المترجم وفق الطريقة التي أحال بها النص الأصلي، على النحو التالي:

انطباعات عن افريقيا، ونحن نشير اليها ب: أ.إ متبوعة بالصفحة [31]

التي وردت في الأصل كما يلي:

Nouvelles impressions d Afrique que nous indiquons N.I.A suivi de la page[32]

إن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا، ونحن أمام نص نقدي لا أدبي، أعني أننا لا نقوم بترجمة نص أدبي كامل، بل مقطع ضمن نص نقدي عن جدوى هذا لنوع من التهميش وفائدته بالنسبة للقارئ، ذلك أننا لن نجد النص بهذا الشكل رغم الإحالة عليه وهو ما يدفعنا إلى ضرورة البحث عن طرق أخرى للإحالة تظهر جدواها وفائدتها للمتلقي العربي.

02. يقدم عبد الحميد بورايو مقاربة أخرى للمقاطع الأدبية المبثوثة في حنايا النص النقدي والتي فاق عددها المائة يتراوح طولها بين مقاطع لا تتعدى الأسطر الثلاث وتلك التي تفوق الصفحة [33]

يعتمد عبد الحميد بورايو على مقاربات ثلاث في التعامل مع هذه النصوص. وإن كنا لا نعرف أسبابها غير أنها لا محالة تؤكد على طبيعة الصعوبة التي يجدها المترجم إزاءها.

يترجم عبد الحميد بورايو بعض المقاطع إلى العربية مباشرة، وإذا ما نظرنا في طبيعة النصوص التي خضعت لهذا النمط من الاشتغال نجدها نصوصا نثرية بالدرجة الأولى رغم وجود حالات شعرية قليلة، بينما خضع الشعر لنمطين مختلفين من التعامل، ناهيك عن الحالة السابقة، تمثل الحالة الأولى إيراد النص كما يقدمه النص الأصلي، كما حدث مع المقاطع التالية على سبيل المثال [3 4]

Laforgue, L imitation de notre dame la Lune, 188
La Fontaine, les animaux malades de la peste, fables,1678
Tristian Corbière, Les amours jaune,1873

بينما خضع جزء مهم أيضا من المتون الشعرية الواردة في نص ناتالي بييغي غروس، إلى عملية ترجمة تورد في هذه الحالة النص المترجم مقابل النص الأصلي جنبا إلى جنب على النحو التالي [3 5]:

والبرتقالات المذهبة الداكنة الأوراق	Et des oranges d or dans le feuillage sombre
ونسمات بطيئة تهب من السماء	Et des brises soufflant doucement du ciel bleu,
من الريحان الساكت ومن الغار الباسق المستقيم	Du myrte silencieux et des hauts lauriers droits ?
آه إني أقصد الهناك	Oh, là-bas je voudrais,
إلى الهناك، آه يا حبي خذني معك	Là-bas, o mon amour m en aller avec toi.
« La chanson de mignon » Anthologie bilingue de la poésie allemande, trd. De JP. Lefebvre, Gallimard,1993.	

تتعدد المداخل التي يحاول من خلالها المترجمون، الوقوف في وجه هذا الإشكال الترجمي، وإن لنا في هذا المثال ردا على طريقة فريدة الزاهي التي تغفل النص الأصلي خاصة أن الشعر يخضع لعمل أقوى من النثر وهو مكمن صعوبته. فعبد الحميد بورايو يحل هنا إشكاليات ثلاث، واجهتنا آنفا وهي أن يورد النص الأصلي فيحافظ على "أصلية العمل" ويترجمه وهو ما يمثل جهدا مضاعفا بغية تقديم النص بلغة المتلقي ووفق استجاباته، كما يورد الإحالة في أصلها وهو ما يعتبر في هذه الحالة أكثر قربا من طبيعة الإحالة.

قد نطرح هنا نقطة حساسة تتعلق بطبيعة اللغة في حد ذاتها، ونخص هنا اللغة الأدبية حيث أن اللغات تختلف ليس فقط في طريقتها في تقطيع الواقع كما يقول ريكور بل "في إعادة تركيبه على

مستوى الخطاب" 36 وهو ما يوجب التعامل بحذر مع مثل هذه المقاطع نظرا لعلاقة المتون النقدية المعاصرة تحديدا بمفهوم الخطاب وآداءاته.

03. في الحاجة إلى تضافر الجهود:

يصف بول ريكور الترجمة أنها "محنة" بكل الحيثيات التي صاحبتها كممارسة وكتنظير، غير أنها في السياق العربي تتحول إلى محنة أشد، ومعاناة أكثر قسوة، يعيشها المترجم ومتلقوه على حد سواء. بالنظر إلى حجم الإشكاليات التي تقف في طريقها.

إن الإشكاليات المبسوطة آنفا، لا تُدين المترجم، بل تكشف "محنته" الشديدة، وتفترض أن ما علينا فعله لجعل هذه الترجمات لا تشكل حالة "رهاب" لا للمترجم ولا لمتلقيه ضمن سياقات معرفية كهذه، هو أن تتكاثف الجهود جميعها لتخفف من العبء عنه، نظرا لكونه المواجه الأول لتحديات معرفية ومصطلحية وأدبية ونشرية ولسانية إذا ما اعتبرنا الترجمة في حد ذاتها مبحثا لسانيا 37 مهما تعددت ميادينه. وعن المتلقي باعتباره الحلقة الأخيرة والمهمة في مسار الترجمة. ومن ثمة، سيكون من الأجدر الابتعاد عن الانتقائية التي تغفل كما هائلا من النصوص التي قد تكون أساسية ومفصلية في فهم النص المترجم في حد ذاته، وهو ما ليس مطلبا يمكن أن نثقل به كاهل المترجم الواحد، بل هو دور منوط بالمؤسسات الثقافية والمخابر العلمية ودور النشر التي عليها أن تخرج من منطق الربح إلى منطق الفائدة، إضافة إلى الحاجة في النص الواحد إلى عالم المصطلح، وإلى مترجمي النصوص الأدبية، ومتخصّصي الميادين الفكرية اللصيقة بالنقد، بغية الوصول بالترجمة إلى لعب دور فعال في سياق التلاقي الثقافي.

الهوامش:

---

[1]عبده عبود، هجرة النصوص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1995، ص15.

[2]جوروج مونان، علم اللغة والترجمة، تر: أحمد زكريا إبراهيم، مر: أحمد فؤاد عفيفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط01: 2002، ص28.

[3]إن انتهاء الصلاحية هنا، وصف مقصود يرمز للكثير من المادة النقدية التي دخلت الساحة النقدية العربية عبر وسائط الترجمة بعد وقت طويل كانت فيه هذه المادة قد تم الابتعاد عن استخدامها في أماكن نشأتها، ونقد الأسس التي انطلقت منها أو النتائج التي وصلت إليها، حتى وان شذت بعض النصوص والتوجهات عن هذه القاعدة.

[4]جوليا كرستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، مر: عبد الجليل ناظم، دار توبقال، المغرب. ط2: 1997، ص07

[5]جوليا كرستيفا، علم النص، ص07.

[6] Julia Kristeva, Séméotiké,rechreche pour une sémanalyse, Seuil,1969, p29.

[7] Ibid, p82.

[8]Ibid, p113

[9]مشتاق عباس معن، تأصيل النص: قراءة في إيديولوجيا التناص، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط01:2003، ص23.

[10]انظر هوامش فريد الزاهي، ص 12.

[11] Nathalie Piegay-Gros Voir Nathalie Piégay-Gros, Introduction à l intertextualité, Nathan/VUEF, paris2002, p56.

[12]نتالي بييغي غروس، مدخل إلى التناص، تر: عبد الحميد بورايو، ص75.

[13] Julia Kristeva : « Le texte et sa science », in Semeotiké,p18

[14]فريد الزاهي، المرجع السابق، ص13.

[15]Julia Kristeva, op cit, p28.

[16]فريد الزاهي، المرجع السابق، ص20.

[17]جورج مونان، المرجع السابق، ص09.

[18]فريد الزاهي، المرجع السابق، ص15.

[19] المرجع نفسه،ص16.

[20] المرجع نفسه، ص71.

[21]المرجع نفسه، ص21.

[22] Julia Kristeva, op cit, p52.

[23]فريد الزاهي، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[24] Julia Kristeva, op cit, p52.

[25]التصدير حسب المفهوم الذي قدمه جنيت هو النصوص التي توضع على رأس الفصول أو العناوين وتكون مبتورة عن المتن ومعروفة الإحالة، وهي جزء من العلامات التي تحيط بالنص.

[26]تحت عنوان "شعرية الأنظمة الأدبية يقدم لنا أندريه لوفيفر رؤية هامة حول طبيعة الأنظمة الأدبية، وعلاقتها بالترجمة، ينظر كتاب أندريه لوفيفر، الترجمة وإعادة الكتابة والتحكم في السمعة الأدبية، تر: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط01: 2011، ص43.

[27]بول ريكور، عن الترجمة، تر: حسين خمري، الدار العربية للعلوم ناشرون/ الاختلاف، ط2008:01، 18.

[28]المرجع نفسه، ص18.

[29]جوليا كرستيفا، علم النص، ص52.

[30] Julia kristeva, op cit, p160

[31] جوليا كرستيفا، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[32]J . Kristeva,p160.

[33]ناتالي بييغي غروس، مدخل إلى التناص، تر: عبد الحميد بورايو، دار نينوى/ سوريا، ط01: 2012.

[34]ورد هذا النوع من المقاطع في الصفحات التالية: 23/ 24/ 26/ 72/ 73/ 86.

[35]ورد هذا الاشتغال في الصفحات التالية من نص المترجم/ :76/ 7779/ 80/ 81/ 82/ 84/ 106/ 132/ 143/ 145/ 148/ 149/ 150/ 151/ 171/ 200/ 201.

[36]بول ريكور، المرجع السابق، ص59

[37] يقول جوروج مونان: "ونتكلم على الاصطلاحات الألسنية لان دراسة الترجمة هي كما قدمنا، دراسة ألسنية واصطلاحاتها بسبب ذلك اصطلاحات السنية، لان الألسنية حين تكونت احتاجت ككل علم جديد إلى اصطلاحات خاصة بها فاستحدثت كثيرا من الألفاظ وحول كثيرا غيرها عن مفهومه القديم فنتج عن ذلك تنوع شديد وتردد عظيم من شانهما أن يمنعا غير المطلع من فهم العلماء، وان يحول أحيانا دون تفهم العلماء فيما بينهم تفاهما صحيحا"، أنظر الرجع السابق، ص10.

وسائل تشكيل الصورة الشعرية قديما

الأستاذة: آسية داحو

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة علي لونيسي- البليدة2-

ملخص البحث:

الصورة الشعرية هي الأداة الفنية التي يعبّر بها الشاعر عن تجربته و عما في نفسه من أحاسيس و مشاعر ،كما أنّها تحيل على واقع تمّ استرجاعه ليثار في نفس المتلقي حيث يتدخل الخيال و يشكل من هذا الواقع شيئا آخر فيه ومتعتاً و جمالاً، والشاعر يوظف عدة وسائل لتشكيل صوره الشعرية أهمها الحس، الخيال،...، وهو ما سنقف عليه في هذا البحث.

abstract

Poetic image is a an artistic tool that is expressed by the poet about his experience through it's feelings.

It also refers on the reality that is getting back to be raised in the same group so in cluding a group of means of access among them: Common sense, imaginer, metaphor, metonymy, metaphor and rhetoric all these elements resemble from the reality something else which is fun and beauty.

أ ـ الحس :

تتحول المعاني المجرّدة إلى أشكال تنقلها الحواس فيكون هذا التحول وسيلة نجسّم بها آراءنا و مشاعرنا و عواطفنا ، فالبصر و السّمع و الشّم والذّوق و اللّمس كلّها حواس يمكن أن تكون طريقا لتمثّل الجمال و الإحساس به و في هذا الطريق يلتقي ما هو حسّي بقوى الخيال و يتواصلان معا ليثمرا صورا فيها روعة الحياة و نبضها ،و معلوم أنّ الصورة الشعرية وليدة تأمل المرء ومشاهداته و استماعه و قراءته ، و قوة إدراكه للأشياء إدراكا تشترك فيه الحواس و الملكات جميعا ، فهو يدرك و يستعيد ما أدركه في أعماق النفس ومع ذلك فقد قيل : " إنّ أحاسيس الشّم و الذّوق لا تؤلّف "تراكيب ثانية يمكن أن تربط بها فكرة من الأفكار" [1] و معنى هذا أنّ الصورة هي عملية إيحاء شيء ما وسعي إلى إبرازه كأنّه منظور أو مسموع .

*** مفهوم الحس لغة:**

جاء في لسان العرب : "الحَسُّ وَ الحَسِيسُ، الصوت الخفيّ" [2] ،و الحِسُّ بكسر الحاء من أَحْسَسْتُ بالشيء حِسَّ بالشيء حِسّا، و حِسًّا وحَسِيساً وأَحَسَّ بِهِ، و أمّا قولهم "أحست بالشيء فعلى الحذف

كراهية التقاء المثلين " [3] و بالتالي ، فإنّه يظهر أنّ مادة حَسّ (الجذر الثلاثي لها حسس) يدّل في الغالب على شيء خفي حقيقة أو مجازا .

* **مفهوم الحّس اصطلاحا:**

أكثر من جاب أعماق الحسّ هم الفلاسفة حيث قسموا الحسّ إلى الحسّ الظاهر و الحسّ الباطن ، فالحسّ الظاهر أو القوّة الحاسة هي التي تدرك المحسوسات الخمس المعروفة عند الجميع ، فالقوة السامعة تدرك الأصوات بأنواعها ،و البصر يحسّ بالألوان والأشكال و الأجسام بأبعادها و أوضاعها و أمّا القوة اللامسة يحسّ بها الملموس مثل الحرارة و البرودة ... و القوة الذائقة تدرك الطعام من حلاوة ومرارة ... غير أنّ الحسّ الظاهر لا يميّز بين ما هو ضار ونافع و ما هو جميل وقبيح .

يرى الكندي [4] : " أنّ الحسّ لا يدرك الصورة إلاّ وهي في طينتها " فالحسّ الظاهر على حدّ تعبير ابن سينا يأخذ الصورة عن المادة مع هذه اللواحق ، مع وقوع نسبة بينها وبين المادة إذا زالت تلك النسبة بطل ذلك الأخذ و ذلك بأنّه لا ينزع الصورة عن المادة من جميع لواحقها ولا يمكن أن يستبثّ تلك الصورة ،" ولماّ كان الحسّ الظاهر غير قادر على أدنى قدرة من تجريد الشيء عن مادته ـ إذ لا ملخص له إلى مجرّد الصورة" [5].

نكتفي بما قدمناه من معان حول الحسّ الظاهر لننتقل إلى:

الحسّ الباطن أو قوى النفس الباطنة ، فقد حددها كل من الفارابي و بن سينا بخمس قوى هي الحسّ المشترك والصورة أو الخيال و المتخيّلة أو الوهم و الحافظة ،و لكنّ بعض الفلاسفة لم يتبيّنوا هذا التقسيم .

الكندي مثلا اقتصر حديثة على" قوى النفس إذ قسمها إلى ثلاث قوى هي :القوى الحسّية و القوى المصورة و القوى العقلية " [6] ، وبناءً على مل ذكر يرى ابن باجة "أنّ للمصورة ثلاث مراتب في الوجود ، وجودها في النفس الباطنة ووجودها في الحسّ المشترك أولا ،ثمّ وجودها في المتخيّلة ، فوجودها أخيرا في الذكر ،لكنّه يشير أحيانا إلى خمس مراتب لوجود الصورة المحسوسة في النّفس ،حيث توجد بداية في الحسّ الظاهر،ثمّ الحسّ المشترك فالمتخيّلة فالذكر لتصبح بعد ذلك في القوة الناطقة أو الفكرية ". [7]

ب ـ الخيال :

* **مفهوم الخيال لغة:**

تعتبر مادة التخيّل و مشتقاتها من أكثر المواد العربية خصوبة واتساعا واشتقاقا ودلالة ، فإذا تصفحنا قواميس اللغة نجد في لسان العرب "الخيال هو خيال الطائر يرتفع في السّماء فينظر إلى ظلّ نفسه فيرى أنّه صيد فينقضّ عليه ولا يجد شيئا فهو خاطف ظلّه " [8].

وقولنا تخيلت،تهيأت للمطر فَرَعَدَت وَ بَرَقَت فوقع المطر .

والخيال كذالك ما نصب في الأرض ليعلم أنّها حمى ،فلا تقرب

ومن معاني الخيال و التخيّل ، "الظن وخال (خِلْتُ) ، ظنّ و توهم ، ويطلق الخيال أيضا على شخص الإنسان أو طيفه " [9].

* **مفهوم الخيال اصطلاحا :**

الخيال لدى الشاعر و الفنان عامة هو الذي يتجاوز به إلى ما وراء المسلّمات اللغوية الممنطقة ، ويتجاوز حدود العقلانيّة التي تزعم أنّها تبرز من خلال تحليل بسيط لمكونات الاستعارة أو التشبيه أو الكناية ، ولانقصد من ذلك أنّ الخيال بديل عقلي ، بل إنّهُ يُمرّ ّبه ، ولكنّه يتجاوزه ويحلّ محلّه في إقامة عقلانية خيالية إن جاز التعبير ، يتجاوز بها حدود الواقع المادي الذي يُخَيَّلُ إلينا .

وعلى هذا فالصورة الشعرية هي خلق جديد يمكن القول أنّها تعتمد على الخيال أو معطيات العقل ،يقول أحمد الشايب [10] : " إنّه من الصعب إعطاء تعريف شامل ودقيق للخيال لأنّ هذه الكلمة ترد في العبارات المبهمة ، و لأنّها كذلك تدلّ على صورة عقلية متشابهة وإن لم تكن متحدة".

فحقيقة الخيال غامضة، صعبة التفسير و ينبغي أن يفهم في آثاره فقط كما أنّ التخيّل يطلق على العملية الفكرية التي يقصد منها تذكر الأشياء أو تصوّرها على حقيقتها الطبيعية .

* **الخيال في المعجم الفلسفي :**

إذا اتجهنا إلى مصطلح الخيال في المعجم الفلسفي "نجد أنّه ليس سوى الصورة المشخّصة التي تمثّل المعنى المجرد تمثيلا واضحا " [11] كما أنّ بحوث النقاد الفلاسفة قد اتجهت بالتخيل إلى معنى التشكيل و التأثير و من هنا عدّ قدامه في كتابه " جواهر الألفاظ " الصورة في أسماء الخيال ، و على هذا الأساس صار التخيل يستخدم " باعتباره اسم جنس تندرج تحته أنواع التشبيه و الاستعارة على أساس أنّها صور تخيلية تقوم على الإبهام" [12]

الخيال مهم في الشعر ، فهو يعطي العمل الفني قيمته ويستمّد الشاعر من الخيال ما سيميّزه عن غيره من المبدعين ، فالرواية فيها خيال ، و الخاطرة أيضا ولكنّ الخيال يوجد بدرجة كبيرة في الشعر أكثر منه في النثر ، وعلى هذا الأساس يختلف الشاعر عن الروائي لأنّ الخيال خاص جدا ، " فالخيال نشاط خلاّق لا يستهدف أن يكون ما يقدّمه نسخا أو نقلا للواقع الخارجي ، كما لا يستهدف أن يكون ما يقدّمه نوعا من أنواع الفوارق أو التطهير الساذج " [13].

يقول عبد القاهر الجرجاني [14] : " إنّ الشعر لا يقوم على أساس عقلي ولا يخضع لحدود المنطق و أقيسته ، بل هو تعبير عن العواطف و المشاعر بومضات غامضة خاطفة يقدمها الخيال ، و يباشر عليها سلطانه فيبعث في النّفوس ضروبا من التّوق و التّطلع إلى مكامن الحياة في الأشياء التي تتفتح صورها في النفس ، مؤلّفة نسقا من الوجود الفني يتأبى على المنطق و مقاييسه وبراهنه".

ومن هنا فإن الشعر يكفي فيه التخيل ،و الذهاب بالنّفس إلى ما ترتاح إليه من التعليل فالخيال وعي ذو سلطان ثابت لا يهتدي المرء إليه لأنّه يعجز عن الوقوف على عظمته إلاّ إذا عرفه عن طريق الشعور حينئذ لا تستطيع قوّة أخرى من قوى العقل أن تضعفه أو تفسده أو تنقص منه .

الخيال الخصب الواسع يساعد في تكوين صور التشبيه والاستعارة والكناية فهو العنصر إلهام فيها ، فمن أسرار الخيال أنّه يوهم النّفس و يلتمس من العلل والأسباب ما يريح النّفس و يؤنسها فللخيال النصيب الأكبر في تشكيل الصور البيانية فهو يعمل عمل السحر في إيضاح المعاني وجلائها .

ج ـ التشبيه:

*** مفهوم التشبيه لغة :**

هو مصدر مشتّق من الفعل شبّه، فقد جاء في لسان العرب " الشَبَهُ و الشَبِيه المِثْلُ والجمع أشْبَاه،و أشْبَه الشيء بالشَيء ماثله ، وفي المثل " من أشبه أباه فما ظلم : والتشبيه هو التمثيل " [15].

و التشبيه هو "التمثيل و المماثلة ويقال شبهت هذا بهذا تشبيها أي مثّلته به وقيل معناه يشبه بعضه بعضا " [16].

*** مفهوم التشبيه اصطلاحا :**

التشبيه هو الدلاله على مشاركة أمر لأمر آخر في وجه أو أكثر من الوجوه ،أو في معنى من المعاني و من ذلك ماورد في بطون أمّهات الكتب البلاغية –ألفاظه كالماء في السّلاسة وكالنّسيم في الرّقة وكالعسل في الحلاوة – ويقصدون الكلام ،يقول حازم القرطاجني:" وأمّا التشبيهات فمنها ما يتعلّق الشَبَهُ فيه بالصور والخلق ،ومنها ما يتعلّق الشَبَهُ فيه بالانفعال والصفات وكلا التشبيهين لا يخلو من أن يكون تشبيهُ الشيء فيه بما هو من نوعه ..." [17] ويردف قائلا : " وتشبيه الشيء بالشيء ،يكون بأن يتّفق معه في صفة تكون في أحدهما على حدها في الآخر أو بنسبة منها أو في أكثر من صفة ، فأمّا أن يتّفق معه في جميع الصفات فلا يمكن وإلاّ فكان يلزم لو اتفق معه في جميع ذلك أن يكون حقيقة هذا حقيقة ذلك من جميع الجهات وذلك غير ممكن " [18].

أمّا الجرجاني [19] فله رأي ليس ببعيد يقول : "اعلم أنّ الشيئين إذا شُبِّهَ أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين أحدهما أن يكون من جهة أمرٍ بيّنٍ لا يحتاج إلى تأويل ، والآخر أن يكون الشبه محصلاً بضربٍ من التأويل" ،وفي نفس السياق يقول السكاكي [20] : "إنّ التشبيه مستودع طرفين ، مشبها ومشبها به ، واشتراكا بينهما من وجه وافتراقا من وجه آخر "

وللتشبيه الحظّ الكبير من التعريفات في التراث النقدي والبلاغي ولكنّها لا تحيد في معناها عمّا جاءت به التعريفات السابقة فهي جميعا تصب في قالب واحد هو أنّ التشبيه هو الجمع بين الشيئين أو الأشياء بمعنى ما ، بواسطة أداة التشبيه الكاف ونحوها .

وعلى هذا نستطيع القول "أنّ التشبيه يقوم على أربعة عناصر " [21]:

-المشبّه .

-المشّبه به .

-أداة التشبيه.

-وجه الشبه .

والعنصران الأولان هما طرفا التشبيه وهما الأساس لبناء التشبيه، أمّا العنصر الثالث والرابع فهما فرعيان يمكن الاستغناء عنهما دون أن يحدث خللا في التشبيه بل إنّه يزداد عمقا في البلاغة.

قال شاعر :

أَنْتَ كَاللَّيْثِ فِي الشَجَاعَةِ وَ الإقْـ . . . دَامِ وَ السَّيْفِ فِي قِرَاعِ الخُطُوبِ

المشبّه : أَنْتَ

المشبّه به : اللَّيْث ، السَّيْف

أداة التشبيه:الكاف

وجه الشبه :الشجاعة والإقدام بالنّسبة للّيث ،و قراع الخطوب بالنّسبة للسّف.

ففي البيت السابق تشبيه تام العناصر، فإذا ما حذفنا أداة التشبيه ووجه الشبه سمي بليغا في قول محمود درويش [22] في قصيدة جبين وغضب : لم يزل منقارك الأحمر في عيني سيفا من لهب .

حيث حذف أداة التشبيه ووجه الشبه الذي يمكن تقديره بالحدة حسب المعنى المفهوم من البيت.

وكقول المتني أيضا في مدح سيف الدّولة :

أَيْنَ أَزْمَعْتَ أَيُّهذا الهُمَامُ ؟ ... نَحْنُ نَبْتُ الرُّبَا وَ أَنْتَ الغَمَامُ [23]

حيث اكتفى بالمشبه (نَحْنُ ، أَنْتَ) و المشبّه به (نَبْتُ الرُّبَا ، الغَمَامُ)

ويكون تمثيليا إذا كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد

كقوله تعالى : {وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إذا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً} [24].

حيث شبّه سبحانه وتعالى حالة الكفّار و اعتقادهم أنّ أعمالهم نافعتهم و خيبة اعتقادهم هذا حالة الظّمآن الذي يرى سرابا فيظنّ أنّه ماء فعندما يأتيه لا يجد شيئا ، فوجه الشبه هنا منزوع من متعدد (الظّن الخاطئ ،عدم الانتفاع).

ويسمى ضمنيا عندما لا يوضع فيه المشبّه و المشبّه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب كقول أبي العتاهية:

تَرْجُوا النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا ... إنَّ السَّفِينَةَ لاَ تَجْرِي عَلى اليَبَسِ

حيث شبّه حالة من يرجو النّجاة من النّار دون أن يقدّم لها عملا صالحا بحالة من يريد أن تجري السفينة على اليبس ، فصورة التشبيه تلمح ضمنيا في التركيب .

* **بلاغة التشبيه** :

التشبيه فن من فنون البيان ، بالغ الأثر لأنّه يجمع في الخيال صورتين متباعدتين لم تخطر على الفكر من قبل ، وكلما كان التباعد بين طرفي التشبيه كان التشبيه أشدّ إدهاشاً وإعجابا ، فإذا قلنا : إنّ الأرض تشبه الكرة في الشكل لم يكن لهذا التشبيه أثر للبلاغة لظهور المشبه وعدم احتياج العثور عليها إلى براعة

و جهد و هذا الضرب من التشبيه يقصد منه البيان و الإيضاح ، ولكنّك تأخذ روعة التشبيه في قول المعري :

يُسْرِعُ الّلمْحَ في احْمِرَارٍ كَمَا تُسْـ ... رِعُ في اللمْحِ مُقْلَةُ الغضبانِ

فإنّ جمال هذا التشبيه جاء من شعورك ببراعة الشاعر وحذقه في عقد المشابهة بين حالتين ما كان يخطر بالبال تشابههما (احمرار النجم بلمحة الغضبان) .

و الهدف من التشبيه هو ترسيخ المعنى في النفس عن طريق التعبير عن الشيء المعنوي بالشيء المحسوس و تقوية المعنى و تأكيده وهذا كله من أهداف الصورة الشعرية

فالتشبيه من عناصر الصورة الشعرية و بلاغته تكمن في إيضاح المعنى و بيان المراد من النص بنقلة من العقل إلى الإحساس فيزول الشك و الريب ومن بلاغة التشبيه هو التماس شبهٍ للشيء في غير جنسه وشكله فيكون له موقع لدى المتلقي .

د ـ الكنايـــــــــة :

*** لغـــــــة:**

هي مصدر كنيت أو كنوت بكذا، تركت التصريح به ،" و كنى عن الأمر بغيره يكني كناية"[25]، والكنية للرجل إذ نقول فلان يكني عبد الله .

و الكنية هي على ثلاثة أوجه :

أحدهما أن يكني عن الشيء الذي يستفحش ذكره في قوله تعالى :{ مَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إلاَّ رَسُول قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، وَأُمُّهُ صِدِّيقَة كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ } [26].

و الثاني أن يكنى الرجل باسم توقيرا و تعظيما ، أبو عبد الله و الثالث أن تقوم الكنية مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه كأبي لهب عرف بكنيته فسماه الله بها لقوله تعالى{تَبَّتْ يَداَ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ،ماَ أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَماَ كَسَبَ} [27]و الكناية أن تتكلم بشيء و تريد غيره .

*** اصطلاحاً :**

الكناية : هي لفظ أريد به لازم معناه و مع جواز إرادة ذلك المعنى وجواز إرادة المعنى الأصلي في الكناية كقولنا :عبد الله نقيّ الثوب فيجوز فهمه على حقيقته وهو أن يكون الثوب نقيّا فلا يكون ثمّة كناية إذا ينبغي علينا تجاوز المعنى الأصلي إلى معنا آخر وكقولنا أيضا: فُلاَنِ طَوِيلُ النَّجَادِ و المراد طول القامة مع جواز أن يراد حقيقة طول النجاد أيضا فالنّجاد حمائل السّيف وطول النّجاد يستلزم طول القامة فإذا قيل: فلان طويل النجاد فالمراد أنّه طويل القامة ،فقد استعمل اللفظ في لازم معناه مع جواز أن يراد بذلك الكلام الإخبار بأنّه طويل حمائل السّيف وطويل القامة أي بطول النّجاد معناه الحقيقي و الإلزامي كقوله تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى} [28] كناية عن تمام القدرة و التمكن فلا يجوز إرادة المعنى الحقيقي .

وفي حديث الجاحظ [29] عن بلاغة الخطابة يقول : " لكلّ ضرب من الحديث ضرب من اللّفظ و لكلّ نوع من المعاني نوع من الأسماء ، فالسّخيفُ للسخيفِ و الخفيفُ للخفيفِ و الجزلُ للجزلِ و الإفصاحُ للإفصاحِ و الكناية في موضع الكناية و الاسترسالُ في موضع الاسترسالِ " ، ومن ذلك يظهر لنا أنّ الخطابة عنده تقابل الإفصاح و التصريح فالكناية عنده هنا معدودة من الأساليب البلاغية التي يتطلبها المعنى للتعبير عنه ولا يجوز إلاّ فيها وأنّ العدول عن صريح اللفظ في المواطن التي تتطلبها مخّل بالبلاغة.

تنقسم الكناية إلى :الكناية عن صفة و كناية عن موصوف :

فالكناية عن الصفة في قول محمود درويش [30] في قصيدة لا مفر :

مطر على الإسفلت يجرفني إلى

ميناء موتانا ... و جرحك ناه .

في قوله ميناء موتانا كناية عن كثرة الوفيات من المواطنين ذلك لما في لفظة ميناء من كثرة ورود الناس إليه وهي كناية عن صفة ، وظفها الشاعر للمبالغة في المعنى و التأكيد عليه .

و في قوله تعالى :{ فَأَصْبَح يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ وَ هِيَ خاَوِيَة على عُرُوشِها } [31]،فقد كُنِي عن صفة الندم بتقليب النادم كفيه و هذا عين ما يفعله النادم.

أما الكناية عن الموصوف في قوله تعالى : { القَارِعَةُ مَا القَارِعَةُ ،ومَا أَدْرَاكَ مَا القَارِعَةُ} [32]،كناية عن القيامة وقد عدل عن التصريح بلفظها إلى الكناية عنها بلفظ (القَارِعَةُ) تعظيما وتفخيما لشأنها في النفوس لما في هذا اللفظ من قرع للأسماع و تهويل في العقول .

و الكناية عن نسبة في قول شاعر مادحا :

وَلا يَزَالُ بَيْت الملك فوقك عاليا .. تشيد أطبابا له وعمود

فأنظر كيف عدل عن نسبة صفة الرفعة إلى الممدوح وعدل عنها لكي يثبتها لبيت ملكه.

*** بلاغة الكناية :**

هي من أساليب البيان التي لا يقوى عليها إلاّ كلّ بليغ متمرّس بفن القول وما من شكّ في أنّها أبلغ من الإفصاح وأوقع من التصريح .

وإذا كانت للكناية مزيّة على التصريح فليست تلك المزيّة في المعنى المكنىّ عنه وإنّما هي في إثبات ذلك المعنى للذي ثبت له و السّر في بلاغتها أنّها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها وذلك في قول أبي فراس الحمداني وهو أسير في بلاد الروم يخاطب ابن عمه سيف الدولة :

وقد كنت أخشى الهجر و الشمل جامع ... وفي كل يوم لقية وخطاب

وفيما بيـننا ملك قيصـر ... وللبحر حولي زخرة وعباب؟

ففي البيت الثاني يريد أبو فراس أن يقول :" فكيف وفيما بيننا بعد شاسع ولكنّه كنى عن هذا المعنى بقوله: ملك قيصر وللبحر حولي زخرة وعباب " [33]فجمال هذه الكناية ليس في المعنى المكنّى عنه وهو

البعد الشاسع الذي يفصل بين الرجلين و إنّما هو الإتيان بملك قيصر و البحر الزاخر العباب و إثباته للمكنى كأنّه في صورة دليل محسوس به .

من الصور الرائعة للكناية تفخيم المعنى في نفوس السامعين كقوله تعالى:

{ الحَاقَّةُ مَا الحَاقَّةُ، ومَا أَدْرَاكَ مَا الحَاقَّةُ } [34]كناية عن القيامة، وذلك لأنّ القارعة و الحاقة تفزع القلوب وترهبها بأهوالها وذلك تفخيما ليوم القيامة في النفوس .

من محاسن الكناية أنّها قد تكون طريقا من طرق الإيجاز و الاختصار كقوله تعالى : { َلَبِيسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [35] كناية عن كثرة الأفعال السيئة .

الكناية كالاستعارة من حيث قدرتها على تجسيم المعاني و إخراجها في صور محسوسة تزخر بالحياة و الحركة أي تصوّر المعاني تصويرا مرئيا ترتاح له النفس قال تعالى : { يَوْمَ يَعُضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ } [36] .

وفي قوله أيضا :{ وَامرَأَتُهُ حَمّالَةَ الحطَب} [37]و المقصود بها أم جميل زوجة أبي لهب ، ومن المؤكد و أنت تقرأ هذه الجملة القرآنية تتخيل أنّها تمسك الحطب بيدها و توقد نيران العداوة والبغضاء بين القوم ، وبكل ذلك كانت الكناية

هي الوسيلة الوحيدة التي تيسّر للمرء أن يقول كل شيء وأن يعبّر بالرمز و الإيحاء عن كل ما يجول في خاطرنا حراما كان أم حلالا حسنا كان أم قبيحا محرجا كان أم غير محرج و تلك هي مزيّة الكناية على غيرها من أساليب البيان .

هـ ـ الاستعارة :

يقترب معنى الاستعارة مجازا من معناها حقيقة ، فالرجل يستعير من الرجل بعض ما ينتفع به ممّا عند المعير و ليس عند المستعير ، ويشترط لتمام هذه العملية أن يكون بين الطرفين (المعير و المستعير) تعارف وتعامل يقتضيان استعارة أحدهما من الآخر ، وهو حكم ينطبق على الاستعارة المجازية ، فلا يستعير أحد لفظين لآخر إلاّ إذا توافر التعارف المعنوي .

يعرفها أبو هلال العسكري [38] بقوله :" الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة لغرض، وذلك الغرض إمّا أن يكون شرح المعنى و فضل الإبانة عنه تأكيده و المبالغة فيه أو الإشارة بالقليل من اللفظ أو لحسن الغرض الذي يبرز فيه " .

تعتبر الاستعارة ضرب من المجاز اللغوي وهي تشبيه حذف أحد طرفيه فعلاقتها مشابهة دائما بين المعنى الحقيقي و المعنى المجازي.

تطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به في المشبه فيسمى المشبه به مستعارا منه و المشبه مستعارا له و اللفظ مستعارا .

فالمستعار له : وهو اللفظ الذي تستعار من أجله الكلمة أو الصفة أو المعنى وهو يقابل المشبه في أسلوب التشبيه.

المستعار منه : وهو اللفظ الذي تستعار منه الصفة أو المعنى وهو يقابل المشبّه به في أسلوب التشبيه .
المستعار: وهو المعنى الجامع بين طرفي الاستعارة أي المستعار له و المستعار منه وهو يقابل في أسلوب التشبيه وجه الشبه ففي قول الشاعر:

عَضَّنَا الدَّهْرُ بِنَابِهِ ... لَيْتَ الذِي حَلّ بِنَا بِهِ

نجده استعار للدّهر حيوانا مفترسا يعضّ ، إذْ العضّ لا يكون للدّهر فاستعار له لفظة النّاب و على ذلك :

المستعار له: الدهرُ ،وهو يعادل المشبّه .

المستعار منه :الحيوان المفترس ، وهو يعادل المشبّه به.

المستعار: العضّ و الافتراس ، وهو يعادل الجامع أو وجه الشبه .

و لا أداة في عملية الاستعارة.

يلاحظ حذف أحد طرفي الاستعارة ولا يذكر المستعار بل يمكن أن ندّل عليه بشيء من لوازمه.

و قرينة الاستعارة التي تمنع إرادة المعنى الحقيقي قد تكون لفظية أو حالية

فباعتبار الطرفين تقّسم الاستعارة إلى تصريحية و مكنية.

1ـ الاستعارة التصريح: وهي ما يصرّح فيها بلفظ المشبه به ،أوما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه كقول محمود درويش [39] في قصيدة جبين وغضب : أيُّها النَّسْرُ الّذي في الأغْلالِ من دُونِ سَبَبْ . فقد صرح بالمشبه به (النسر) و حذف المشبه به (الوطن) على سبيل الاستعارة التصريحية ، وقد جسدت معنى الوطن في صورة حسية مرئية فيها فيها تفخيم لعظمة الوطن و لكن للأسف فإنّه يرصف في الأغلال ممّا يثير في القارئ ـ بهذه الصورة الشعرية عاطفة الإشفاق و الأسف .

وفي قوله تعالى :{ لِيُخْرِجَكُمْ مِن الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ} [40] فقد ذكرت كل من الظلمات والنور على سبيل الاستعارة التصريحية فقد شبهت حالة العرب و الأمم جميعا قبل مجيء الإسلام من فوضى و جهل وعداء و... وهي صورة معنوية بصورة حسية الظلمات .

2 ـ الاستعارة المكنية : هي ما حذف فيها المشبه به ، أو المستعار منه ورمز إليه بأحد لوازمه كقول محمود درويش [41] في قصيدة لا مفر :

وَطَنِي أفَتِّشُ فِيكَ عَنْكَ فَلا أرَى   إلاّ شُقُوقَ يَدَيْكَ فَوْقَ جِبَاهِ

في البيت تشبيه للوطن بإنسان ، فقد حذف المشبه به (الإنسان)و ذكر المشبه (الوطن) و قد ترك قرينة تدل على المشبه به المحذوف (تشقق اليدين) و في هذه القرينة إشارة إلى مدى الألم الذي يعاني منه الوطن وفي الاستعارة هذه تجسيد للشيء المعنوي في صورة حسية مؤثرة في القارئ .

و كذلك في قول شاعر: إذا ما الدّهر جرّ على أناس ... كلاكله أتاح بآخرين.

ففي تشبيه الشاعر للدهر وهو شيئ معنوي – بجمل– على سبيل الاستعارة المكنية ، بعد حذفه للجمل و الإشارة إلى شيء من لوازمه الكلاكل و الإتاحة

ففي هذا تجسيد للدهر في تلك الصورة التي توحي بتحول مصائبه من قوم لقوم فيعاني الأولون من أهواله مثلما يعاني الآخرون ؟ ، وفي قوله تعالى :{قال رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي و اشْتَعَلَ الرَأْسُ شَيْبا} [2 4] كناية عن الكبر .

*** بلاغة الاستعارة :**

الاستعارة صورة من صور التوسع و المجاز في الكلام ،وهي بجميع ضروبها وتعدد مذاهبها و شعوبها من أوصاف الفصاحة و البلاغة العامة التي ترجع إلى المعنى .

فمن خصائصها شرح المعنى و فضل الإبانة عنه ، فبالاستعارة تشخّص و تجسّد المعنويات و تبثّ الحركة و الحياة والنطق في الجماد فهي ترينا المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنّها قد جسّمت حتى رأتها العيون ،و تلطف الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلاّ الظنون في قوله تعالى { ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّمَاءِ وَهِي دُخَان فَقَالَ لَهَا وَ لِلأَرْضِ إِيتِيا طَوْعًا وكُرْهًا قَاَلَتَا أَتَيْنَا طَائِعْينَ } [3 4] ، فالسّماء و الأرض هذان الجماد قد تحول بالتوسع الذي هيأته الاستعارة و استحال بسحرها إلى إنسان حيّ ناطق يعبّر بلسانه عن طاعته لله ربّ العالمين ،فجمال هذه الصورة هو السّر في قوة تأثيرها راجع إلى مفعول الاستعارة هذا المفعول الذي انتقل بالفكرة من عالم المعاني إلى عالم المدركات .

من خصائص الاستعارة الإيجاز : فهي تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة دّررا ، ويجني من الغصن الواحد أنواعا من الثّمر ومثال ذلك قول المعتز:

أَثْمَرت أَغْصَانُ راحتِه ... بِجنَانِ الحُسنِ عنَابا.

فلو أردنا إظهار التشبيه والإفصاح به لاحتجنا إلى أن نقول : أثمرت أصابع يده التي هي كالأغصان لطالب الحسن تشبيه العناب بأطرافه المخضبة ، ولا يخفي في البيت و تحقيق المراد من التجميل مع هذا الإيجاز و الاختصار المختّص به في مجامل النشاط الجمالي للاستعارة ،وكذا قول محمود درويش في إحدى القصائد :وليلنا المتلألئ بالمدفعية ،فقد استعار الشاعر المدفعية بدلا من النّجوم ليقرّبنا من معاناة الفلسطينيين .

ومن مزايا الاستعارة أيضا تأكيد المعنى و المبالغة فيه كقوله تعالى في الإخبار عن الظالمين و مقاومتهم لرسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم : {وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وعِنْدَ الله مَكْرُهُمْ ، وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ } [4 4] فالجبال استعارة طوي فيها ذكر المستعار له وهو أمر رسول الله .

و ـ البديــع :

لقد أولى النقاد منذ القدم الأهمية البالغة لوظيفة الصورة البديعية الشكلية المتمثلة في تحميل العبارة الشعرية وتحسينها حيث اشترطوا في كل تصوير بديعي ألا يكون إلا بعد رعاية المطابقة و وضوح الدلالة أي أن تكون الصورة البديعية و المعنى الذي تنقله أو الشعور الذي تعبر عنه بينها ارتباط و تلاحم، لأن المحسنات البديعية لاسيما اللفظية منها لا تحل محلها من القول ، و لا تقع موقعها من

الحسن، حتى يكون المعنى هو الذي استدعاها و ساقها نحوه. لكن ما ينبغي تسجيله أن المحسنات البديعية غدت في عصور الضعف و الانحطاط شكلا بلا روح.

ومن ضروب و أمثلة الصور البديعية قول عبد الله القشيري " و هو يصور ما ألم به من حزن و انتداب قلبه من جزع و هو يودع العزيز عليه " نجد " فيقول:

أقول لصاحبي و العيس تهوي بنا بين المنيفة فالضمار

تمتـــع من شميـم عــرار نجـد فما بعد العشية من عرار

ففي هذه الصورة الشعرية ما يسميه البلاغيون " التصدير " أو رد العجز على الصدر و التصدير في الشعر هو أن يكون أحد اللفظين المكررين في آخر البيت و الآخر في صدر البيت الأول حشوه أو في صدر الصراع الثاني ، و هو خاصية بديعية يقوم مجمل الصور عليه و لا تقوم على شيء آخر لأن البيتين يخلوان من التشبيه و الاستعارة والكناية.

هوامش البحث:

[1] ـ لويس هورتيك ،الفن والأدب ، ترجمة :بدر الدين الرفاعي ،ص19.

[2] ـ ابن منظور ،لسان العرب ، م4 ، ص:118 .

[3] ـ المرجع نفسه ،ص: 118.

[4] الكندي ، رسالة في حدود الأشياء ضمن رسالة الكندي الفلسفية ، ج1،تحقيق :محمد عبد الهادي أبي رديه، دار الفكر العربي مصر ، 1990،ص: 167.

[5] ـ ينظر: ألفت كمال الروبي ،نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين ،دار التنوير للطباعة والنشر ،2007،ص:123.

[6] ـ ينظر: المرجع نفسه ،ص:21.

[7] ـ نفسه ،ص:22.

[8] ـ ابن منظور ، لسان العرب ،م5، ص: 193.

[9] ـ المرجع نفسه ،ص:192.

[10] ـ أحمد الشايب ، أصور النقد الأدبي ، ص:221.

[11] ـ جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ،ص: 210.

[12] ـ المرجع نفسه ، ص:82.

[13] ـ ينظر: ابن سينا ، فن الشعر، تحقيق عبد الرحمن بدوي ،مكتبة النهضة المصرية ،1954، ص:102.

[14] ينظر :عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ،ص: 270 و271.

[15] ـ ابن منظور ،لسان العرب ،م8 ،ص:18.

[16] ـ المرجع نفسه ، ص:18.

[17] – حازم القرطاجني ،منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة ، دارالكتب الشرقية تونس، 1966،ص:220.

[18] –المرجع نفسه ،ص:221.

[19] – عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة، ص :79.

[20] – السكاكي ، مفتاح العلوم ، ضبط و تعليق :نعيم زرزور ، ط2، دار الكتب العلمية بيروت ،1987، ص :322.

21 ـ علي الجارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة البيان و المعاني و البديع ، ط17 ، دار المعارف مصر ، 1964 ص: 54.

[22] ـ محمود درويش ، ديوان أوراق الزيتون 1964، ط8 ، دار العودة بيروت ، 1981 ، ص: 233.

[23] ـ الشيخ ناصيف اليازجي ، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ،دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ،1981 ،ص:58.

24ـ سورة النور : الآية: 39.

[25] ـ ابن منظور ، لسان العرب ،م13 ، ص: 124.

26ـ سورة المائدة، الآية:.75

[27] ـ سورة المسد، الآية:1 و2.

[28] ـ سورة طه ، الآية : 5.

[29] ـ الجاحظ ، الحيوان ، ص:39.

[30] ـ محمود درويش ، ديوان أوراق الزيتون 1964 ، ص: 237.

[31] –سورة الكهف، الآية:42.

[32] ـ سورة القارعة، الآية: 2و1.

[33] ـ ابن عبد الله شعيب ، الميسر في علم البيان ، علو المعاني ، علم البديع ، دار الهدى عين الميلة الجزائر ،ص: 86.

[34] ـ سورة الحاقة ، الآية: 2و1 .

[35] ـ سورة المائدة ،الآية: 79.

[36] ـ سورة االفرقان ، الآية: 27.

[37] –سورة المسد، الآية: 4.

[38] أبو هلال العسكري ، الصناعتين، تحقيق :علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية صيدا بيروت،1986، ص:295.

[39] ـ محمود درويش ، ديوان أوراق الزيتون 1964 ، ص: 233.

[40] . سورة الحديد ،الآية :9.

[41] ـ محمود درويش ، ديوان أوراق الزيتون 1964 ، ص : 237.

[42] ـ سورة مريم ، الآية :4

[43] ـ سورة فصلت، الآية : 11.

[44] ـ سورة إبراهيم ، الآية : 46.